بسم الله الرحمن الرحيم

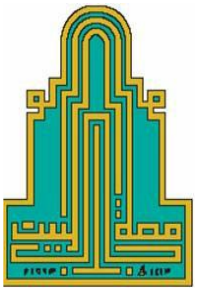

جامعة آل البيت

كلية الآداب والعلوم

الإنسانية

قسم اللغة العربية وآدابها

رسالة ماجستير بعنوان

ألفاظ الماء ودلالاتها عند الشعراء الصعاليك

دراسة لغوية دلالية

Terms of water and its Indication in the brats poetry

A Linguistic and Symantec Study

إعداد الطالب

حسن جويعد العجمي

إشراف

د. محمود الديكي

2017م

التفويــض

أنا حسن جويعد العجمي أفوض جامعة آل البيت بتزويد نسخ من رسالتي للمكتبات أو المؤسسات أو الهيئات أو الأشخاص عند طلبهم حسب التعليمات النافذة في الجامعة.

التوقيع:

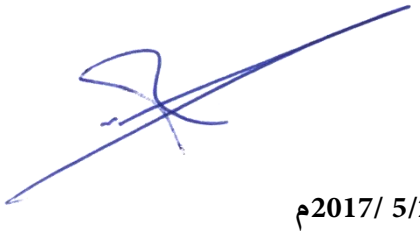

التاريخ: 2017/ 5/24م

إقرار والتزام بقوانين جامعة آل البيت وأنظمتها وتعليماتها

أنا الطالـب: حسن جويعد العجمي **الرقم الجامعي: 1470301003**

التخصص: اللغة العربية وآدابها **الكليـــــــــة: كلية الآداب والعلوم الإنسانية**

أعلن بأنني قد التزمت بقوانين جامعة آل البيت وأنظمتها وتعليماتها وقراراتها الســارية المعمول بها المتعلقة بإعداد رسائل الماجستير والدكتوراه عندما قمت شخصياً بإعداد رسالتي بعنوان:

ألفاظ الماء ودلالاتها عند الشعراء الصعاليك: دراسة لغوية دلالية

وذلك بما ينســجم مع الأمانة العلمية المتعارف عليها في كتابة الرســائل والأطاريح العلمية. كما أنني أعلن بأن رســالتي هذه غير منقولة أو مســتلة من رســائل أو أطاريح أو كتب أو أبحاث أو أي منشــورات علمية تم نشرـها أو تخزينها في أي وسـيلة إعلامية، وتأسـيسـاً على ما تقدم فإنني أتحمل المســؤوليـة بـأنواعها كافة فيما لو تبين غير ذلك بما فيه حق مجلس العمداء في جامعة آل البيت بإلغاء قرار منحي الدرجة العلمية التي حصلت عليها وسحب شهادة التخرج مني بعد صدورها دون أن يكون لي أي حق في التظلم أو الاعتراض أو الطعن بأي صـورة كانت في القرار الصـادر عن مجلس العمداء بهذا الصدد.

توقيع الطالب:

الإهداء

إلى كل من حمل كتابه بيمينه وقنديله بيساره بحثًا عن المعرفة

إلى الأهل، والأصدقاء، والزملاء، والأحبة.

الشكر والتقدير

إلى كل من وقف بجواري وساندني لأرتقي في فضاء العلم

الدكتور محمود الديكي

إدارة جامعة آل البيت في المملكة الأردنية الهاشمية

الدكتور أحمد عجمي

الأصدقاء داخل دولة الكويت وخارجها

شكرًا لكم..

فهرس المحتويات

فهرس المحتويات ..... و

الملخص ..... ح

Abstract ..... ط

مقدمة 1

أهمية الدراسة 2

إشكالية الدراسة 2

منهج الدراسة 3

حدود الدراسة 3

الدراسات السابقة والموازية 3

الفصل الأوَّل الماء ومكوِّناته والألفاظ الدَّالة عليها 16

مدخل 17

المبحث الأول: الماء ودلالاته في شعر الصعاليك 17

المبحث الثاني: الألفاظ الدالة على تكوين الماء 22

المطلب الأول: الألفاظ الدالة على السَّحاب 23

المطلب الثاني: الألفاظ الدالة على الرعد 38

المطلب الثالث: الألفاظ الدالة على البرق 41

المطلب الرابع: الألفاظ الدالة على الماء النازل من السماء 47

الفصل الثاني المجمَّعات المائية والألفاظ الدالة على أحوال تكوينها في شعر الصعاليك 61

مدخل 62

السيول 62

أولاً: السياق المائي للفظ السيل: 63

ثانيًا: السياق الجغرافي لألفاظ السيل 68

الفصل الثالث الألفاظ المتصلة بالماء ودلالاتها 111
المبحث الأول: الاشتقاقات المتصلة بالماء ودلالاتها..... 113
المبحث الثاني: الألفاظ المتصلة بالماء وتطورها الدلالي 138
نتائج الدراسة 151
قائمة المصادر والمراجع 154
مصادر الدراسة..... 154
مراجع الدراسة 155

الملخص

تضمنت دراسة (ألفاظ الماء ودلالاتها عند الشعراء الصعاليك: دراسة لغوية دلالية) مقدمةً وثلاثةَ فصولٍ، جاء الفصل الأول تحت عنوان (الماء ومكوناته والألفاظ الدالة عليها) وضمَّ السحاب والألفاظ الدالة عليه، والرعد والبرق في التوظيف الحسي ـ والمعنوي، والمطر والألفاظ الدالة عليه. وجاء الفصل الثاني تحت عنوان (المجمعات المائية والألفاظ الدالة عليها) وضمَّ السيول وأنواعها، والأحواض والغدران والقيعان والأودية والآبار بين دلالتي العموم والخصوص، وعيون الماء والبحر ومتعلقاته والندى. وجاء الفصل الثالث تحت عنوان (الألفاظ المتصلة بالماء ودلالاتها) وضم مبحثين اثنين، الأول الاشتقاقات المتصلة بالماء ودلالاتها، والثاني الألفاظ المتصلة بالماء وتطورها الدلالي.

خلصت الدراسة إلى جملة من النتائج، منها الخاص بعنصر ـ الماء وتوظيفه في الشعر، ومنها الخاص باهتمامات الشعراء وتوجهاتهم فيما يتعلق بالحقل الدلالي للماء ومواضعه، حيث كان حضور عنصر ـ الماء واضحًا ومميزًا في شعر الصعاليك مما يدل على أهميته لديهم. كما أن استعمال الشعراء الصعاليك الألفاظ الدقيقة لكل حال من أحوال الماء في التكوين أو التجمّع يدل على بلاغتهم وحرصهم على تسمية الأشياء بمسمياتها الدقيقة. وكان لأسماء المطر النصيب الأكبر فورد ستة عشرة مرة فيما وقفت عليه من شعرهم.

بيَّنت الدراسة تميّز الشاعر القتَّال الكلابي بأنه أكثر الشعراء الصعاليك عناية بذكر مواضع الآبار والأودية وإيراد القرائن البيئية للبادية في شعره، وهذا يشير إلى سعة اطلاعه ومعرفته الجغرافية، إضافة إلى معرفة بعض الشعراء الصعاليك بعلم النجوم ومواضعها ودلالاتها. وبيّنت الدراسة مواضع التطور الدلالي في مفردات الحقل المائي بين السلبية والإيجابية، ومدى عناية الشعراء الصعاليك بتوظيف الألفاظ وفق معناها اللغوي بما يخدم السياق، وكل ذلك تم توضيحه بالتفصيل في ثنايا الدراسة.

Abstract

This Study included (pronunciations of the water and her signs at the wretch poets': Linguistic semantic study) introduction and three chapters, the first chapter called (formed of the water and the indicative pronunciations on him) it includes the clouds and the indicative pronunciations on it, and the thunder and the lightning in the perceptual and moral use, and the rain and the indicative pronunciations on it. The second chapter indicated (the hydro accumulators- Lakes and waterfalls- the indicative pronunciations on them) it includes the floods and its kinds, the troughs and the brooks, the bottoms and the indicative pronunciations on them, also the valleys and the wells between two evidences of the generality and the regard, the conscious water or sea related words. The third chapter was called (the pronunciations that is connected or meant the water and its signs). In addition, this chapter has two parts, first derivations of the connected acts in the water and its signs, and the second part has the pronunciations of the water and its semantic development.

The study ended up to a number of the results of the water relative elements and its use in the poetry, also wretch poets relative interests and their directions in what the semantic field of the water and its hangs in places, where their use of water and water elements was clear and distinguished in poetry of the wretches. This indicates the importance of the water for them. Also, the usage of accurate pronunciations for each situation or forming for the water indicates and shows their eloquence and their compliance of giving specifications and exact naming of the water types or formation. For example, using the names of the rain were the biggest share in the wretch poetry, were found sixteen times during this study.

In addition, this study showed the excellences and distinctive of ALkattal ALkalabi as one of the best wretch poet of using water related words and mentioning the places of the wells and the valleys and citation of the environmental spouses for the steppe that he described in his poetry, this capacity of information indicates his knowledge of the geography of the area. Also, this study showed the steps of development of using such meaning that the water field's poetry has, by showing advantages and disadvantages. In this stay, all that was clearly described in a detailed manner.

مقدمة

لم يكن الشعراء الصعاليك في مرحلة ما قبل الإسلام وما بعده إلى العصر الأموي، محدودي التفكير، جزئيي النظرة، بل إنهم نظروا إلى الكون وموجوداته بتمعن، واستوعبوا تفاصيل الطبيعة أمامهم، وحصروها في حقول دلالية تجمع بينها بحسب أحوالها وصفاتها. ومن ذلك، عنصر الماء، حيث إنه المكون الرئيس للحياة في الوجود.

لألفاظ الماء دلالات متنوعة بتنوع حالاته وصفاته منذ مرحلة التكوين إلى مرحلة الاستهلاك، وهي الدلالات التي تحيل إلى مادة الماء بحالاتها الفيزيائية بداية من تكوينه في الغيم إلى أن يستقر في الأرض على أشكال متنوعة في الكم والحجم والمساحة والهدوء أو الصخب.

ويعد الماء أساس الحياة في الأرض بعامة، كما قال تعالى في محكم التنزيل: ﴿وَجَعَلْنَا مِنَ الْمَاء كُلَّ شَيْءٍ حَيٍّ أَفَلَا يُؤْمِنُونَ﴾[1]، وفي البوادي القاحلة الشحيحة به بخاصة، وهي البيئة التي سكنها الشعراء الصعاليك المعنيون بالدراسة؛ إذ إنهم اتكأوا في استيحاء الصورة الفنية والكنايات التعبيرية على العناصر الطبيعية المحيطة بهم، سواء أكانت وافرة أم نادرة، ومن ذلك، عنصر الماء، فاستعملوا دلالاته في بناء القصيدة جماليًّا وفنيًّا مستندين إلى تجسيد الأبعاد المادية والإيحائية المتعددة والمتداخلة لهذا العنصر، ثم أسقطوا دلالاته على الوصف الشعري، وتفسير أحوالهم النفسية، للتعبير عن رهافة الوجدان الداخلي لديهم من جهة، والتركيز على تفتيق دلالات الماء و تعارضاته في محيط الشعراء من جهة أخرى. وتنوع توظيفهم لألفاظ الماء بين دلالتي السلبية والإيجابية.

وللماء قداسة خاصة في جميع الديانات دون سائر الموارد الطبيعية، فإضافة إلى ذكره في القرآن الكريم، وله قداسة في الديانة المسيحية في التعميد، فلا يستعاض عنه بغيره. وفي الديانة اليهودية يستعملون الماء في طقوس التنظيف وتبرئة الذات من الذنوب وفي التعميد أحيانًا. وكان القدماء يرون في أعماق الآبار والينابيع والأنهار العذبة قوى خفية مؤثرة تمنح

---

1 - الأنبياء: 30.

مياه تلك المواضع قدسية خاصة. وفي الواقع أننا لانزال نرى هذا التقديس باقيًا حتى الآن[1]؛ ويتمثل ذلك في الاستشفاء بماء زمزم مثلاً، والتعميد بالمياه المقدسة في الكنائس.

وبما أن الحضارات القديمة والحديثة تقدر أهمية الماء، فهذا يمنحه إيجابية في حضوره، وحيث إن قصائد الشعراء العرب تكاد لا تخلو من الإشارة إليه، فإنه يجدر الوقوف عند دلالته ورموزه، وقد ارتأينا دراسته في شعر الصعاليك، حيث إن دراسة سابقة قد تناولت رمز الماء عند شعراء الجاهلية بشكل عام، ولما كان لحياة الصعاليك وتجربتهم الفنية والمجتمعية خصوصية فقد رأيت أن أستقرئ أبعاد تلك الألفاظ والعبارات عند هذه المجموعة من الشعراء.

أهمية الدراسة

تأتي الأهمية في ثلاثة جوانب:

1- مكانة الماء في ذاته وحضوره في الشعر.
2- غنى المعجم اللغوي الخاص بالماء والألفاظ المتصلة به في شعر الصعاليك.
3- الوقوف على التوظيف الشعري للماء والألفاظ الدالة عليه والمتصلة به في جميع مكوناته وحالات استعماله.
4- تبيين قدرة الشعراء الصعاليك على توظيف ألفاظ الماء ضمن الدلالات الملائمة للسياق والمعنى اللغوي الأصلي للمفردة.

إشكالية الدراسة

تحاول الدراسة الإجابة عن عدد من الأسئلة:

1- ما هي أبرز الألفاظ التي استعملها الشعراء الصعاليك للدلالة على عنصر الماء وما يتصل به؟

---

1 - انظر: علاء النشمي، أسطورة الماء في الأديان فكرًا وطقسًا، مقال منشور في الموقع الإلكتروني لاتحاد الجمعيات المندائية في المهجر، الجمعة، 05 نيسان/ أبريل 2013م. http://www.mandaeanunion.org/ar

2- إذا كـان حضـور المـاء إيجابيًّـا، فهـل وردَ سـلبيًّا؟ وهـل تطـرق الشـعراء الصـعاليك إلى رمز الماء في الدلالتين، أو اكتفوا بتصويره على أنه مصدر الحياة وقوامها؟

3- هـل اشـتمل توظيـف الشـعراء للألفـاظ الدالـة عـلى المـاء تطـورًا دلاليًّـا في مسـتوى المفردة؟

منهج الدراسة

إن المـنهج المتبـع في الدراسـة وصـفي تحلـيلي، بتتبـع مـواطن ورود ألفـاظ المـاء في قصـائد أبـرز الشـعراء الصـعاليك، ثـم تصـنيفها حسـب سـياقها الـذي وردت فيـه، أو حقلهـا الـدلالي، ثـم تحليلها وصولاً إلى النتائج.

حدود الدراسة

1- الحدود الزمانية: تمتد من مرحلة ما قبل الإسلام إلى العصر الأموي.

2- الحـدود المكانيـة: معظـم شـبه الجزيـرة العربيـة، مـوطن الشـعراء الصـعاليك وبيئـتهم التي نظموا فيها ومنها أشعارهم.

3- الحـدود الموضـوعية: القصـائد والمقطعـات والمفـردات الشـعرية التـي نظمهـا أبـرز الشعراء الصعاليك وتضمنت رمز الماء أو ما يتصل به من ألفاظ وعبارات.

الدراسات السابقة والموازية

لم أقـف في حـدود مـا بحثـت فيـه عـلى دراسـة تناولـت دلالـة ألفـاظ المـاء عنـد الشـعراء الصـعاليك عـلى أهميـة هـذا المكـون وأبعـاده الرمزيـة عنـد هـؤلاء الشـعراء، ومـن الدراسـات التـي عنيت بعنصر الماء في الشعر:

- إبـراهيم أبـو علـوش؛ أحمـد الحراحشـة، "المقاصـد الدلاليـة المسـتخفية لآيـات المـاء في القـرآن الكـريم"، مجلّـة المنـارة للبحـوث والدراسـات، جامعـة آل البيـت، المملكـة الأردنية الهاشمية، مجلد 11، العدد (2)، 28 مارس 2013م.

- إحسان يعقوب حسن، الماء في الشعر الجاهلي، إشراف: يسري سلامة، جامعة الإسكندرية، كلية الآداب- قسم اللغة العربية، 1982م.
- إدريس الناقوري، مصطلح الماء في الأدب والنقد، مجلة كلية الآداب، جامعة شعيب الدكالي (الجديدة)، المملكة المغربية، مجلد 2، العدد (2)، 1995م.
- أنور أبو سويلم، المطر في الشعر الجاهلي، دار عمّار- عمّان؛ دار الجيل للطباعة والنشر- بيروت، 1987م.
- ثناء أنس الوجود، رمز الماء في الأدب الجاهلي، مكتبة الشباب، القاهرة، 1986م.
- حاتم حسين البصيص، دلالة الماء في الشعر الجاهلي، رسالة مقدمة لنيل درجة الماجستير في الآداب (الدراسات الأدبية)، إشراف: الأستاذ الدكتور عبدالرزاق الخشروم، قسم اللغة العربية، كلية الآداب والعلوم الإنسانية، جامعة حلب، سورية، 2005م.
- رائدة زهدي رشيد حسن، الماء في شعر البحتري وابن زيدون: دراسة موازنة، إشراف: الأستاذ الدكتور وائل أبو صالح؛ الدكتور إحسان الديك، قدمت هذه الأطروحة استكمالاً لمتطلبات درجة الماجستير في اللغة العربية بكلية الدراسات العليا في جامعة النجاح الوطنية- كلية الدراسات العليا، نابلس، فلسطين. 2009م.
- عبدالملك مرتاض، طقوس الماء في المعلقات، منشورات اتحاد الكتاب العرب، دمشق، 1998م.
- عزيز العرباوي، "رمزية الماء في التراث الشعري العربي: دراسة سيميائية"، كتاب تم توزيعه مجانًّا مع مجلة الرافد- الشارقة، العدد (87)، فبراير 2015م.
- علي معدلي، محبوبه محمد زاده سيرازي، المطر وتجلياته في شعر امرئ القيس وعبيد بن الأبرص، مجلة التراث الأدبي، السنة 2، العدد (7)، د. تا.
- فتحي عبدالعزيز العبادسة، "الماء في القرآن الكريم: دراسة موضوعية"، رسالة ماجستير، الجامعة الإسلامية – غزة، كلية أصول الدين، 2002م.

كما حظي شعر الصعاليك بعدد من الدراسات، منها:

- أحلام عبد العالي غالي الصاعدي، شعر الصعاليك في حماسة أبي تمام من منظور شُرَّاحها: دراسة نقدية، رسالة ماجستير، جامعة أم القرى - مكة المكرمة، 2012م.
- أحمد سلمان مهنا، المرأة في شعر الصعاليك في الجاهلية والإسلام، إشراف: الأستاذ الدكتور نبيل خالد أبو علي، رسالة ماجستير مقدمة إلى قسم اللغة العربية بكلية الآداب في الجامعة الإسلامية – غزة، كمتطلب تكميلي لنيل درجة الماجستير، 2007م.
- الأمين محمد عبد القادر، القيم الاجتماعية والفنية في شعر الصعاليك، إشراف الأستاذ الدكتور إبراهيم أحمد الحاردلو، دراسة مُقدمة لنيل درجة الماجستير في الأدب والنقد، قسم اللغة العربية، كلية الآداب- كلية الدراسات العليا، جامعة الخرطوم، السودان، 2008م.
- زكية بنت عوض بن يوسف الحارثي، الليل في شعر الصعاليك من الجاهلية إلى نهاية العصر ـ الأموي، إشراف: الدكتور صالح بن معيض الغامدي، قدمت هذه الرسالة استكمالاً للحصول على درجة الماجستير في قسم اللغة العربية وآدابها بكلية الآداب- جامعة الملك سعود، 2009م.
- زيدان محمد صالح عودة، ظاهرة الانزياح في شعر الصعاليك: دراسة أسلوبية، رسالة ماجستير، جامعة عدن، كلية التربية، 2008م.
- عبد الحليم حفني، شعر الصعاليك منهجه وخصائصه، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، 1987م.
- فاضل عبود التميمي، البنية المتجاورة الرمزية وأبعادها في شعر الصعاليك والفتّاك حتّى نهاية العصر ـ الأموي، مجلة ديالي، العدد (66)، كلية التربية للعلوم الإنسانية، جامعة ديالي، 2015م.

- **مفهوم الصعلكة وأسبابها**

1- الصعلكة لغة: من الجذر اللغوي (صعلك) ومن معانيها: "الصعلوك: الفقير الذي لا مال له، زاد الأزهري: ولا اعتماد. وقد تصعلك الرجل إذا كان كذلك... وتصعلكتِ الإبلُ: خرجتْ أوبارها، وانجردتْ وطرَحَتْهَا... والتصعلك: الفقر. وصعاليك العرب: ذؤبانها. وكان عُروة بن الورد يُسمَّى: عُروة الصعاليك؛ لأنه كان يجمع الفقراء في حظيرةٍ فيرزقها مما يغنم"[1]. وفي الصحاح: "وذُؤبَان العَرب صَعَاليكها الذين يتلَصَّصُون"[2].

2- الصعلكة اصطلاحًا: حددها يوسف خليف بما نصه: "مادة (صعلك) تدور في دائرتين: إحداهما الدائرة اللغوية التي تدل فيها على معنى الفقر وما يتصل به من حرمان في الحياة وضيق في أسباب العيش، والأخرى نستطيع أن نطلق عليها الدائرة الاجتماعية، وفيها نرى المادة تتطور لتدل على صفات خاصة تتصل بالوضع الاجتماعي للفرد في مجتمعه وبالأسلوب الذي يسلكه في الحياة لتغيير هذا الوضع"[3].

وتابع في تحديد المصطلح وتبيينه: "إن الصعلوك في اللغة هو الفقير الذي لا مال له يستعين به على أعباء الحياة، ولا اعتماد له على شيء أو أحد يتكئ عليه أو يتكل عليه ليشق طريقه فيها ويعينه عليها، حتى يسلك سبيله كما يسلكه سائر البشر- الذين يتعاونون على الحياة ويواجهون مشكلاتها يدًا واحدة. أو هو بعبارة أخرى الفقير الذي يواجه الحياة وحيدًا وقد جردته من وسائل العيش فيها وسلبته كل ما يستطيع أن يعتمد عليه في مواجهة مشكلاتها. فالمسألة ليست فقرًا وحسب، ولكنّها فقر يغلّقُ أبواب الحياة في وجه صاحبه، ويسد مسالكها أمامه"[4].

---

1 - ابن منظور، لسان العرب، ط3، دار صادر، بيروت، 2003م، (مادة: صعلك).
2 - محمد بن أبي بكر الرازي، مختار الصحاح، تحقيق: يوسف الشيخ محمد، ط5، المكتبة العصرية- الدار النموذجية، بيروت- صيدا، 1999م، (مادة: صعلك).
3 - يوسف خليف، الشعراء الصعاليك، ط3، دار المعارف، القاهرة، 1978م، ص 26- 27.
4 - يوسف خليف، الشعراء الصعاليك، ص 23.

ومن تعاريفها أنها: "حركة من الثورة على النظام القبلي شارك فيها أفراد خلعتهم قبائلهم لكثرة جناياتهم وجرائرهم. وآخرون من أبناء الحبشيات، أخذوا منهن سواد اللون فنبذهم المجتمع ظلمًا، وهم (أغربة العرب). أفراد احترفوا هذا السلوك كعروة بن الورد"[1].

لكن التركيز الشديد على الجانب الاقتصادي من الحياة الجاهلية باعتباره سببًا رئيسًا للصعلكة ليس بالأمر الدقيق؛ لأن الأصل في ذلك كلّه سلّم القيم المختلّ الذي يميز بين أفراد المجتمع على أسس غير عقلانية، "فالصعلَكَةُ في حد ذاتها كانت تريد أن تؤكّد ذاتها، نظامًا لقيمٍ عليا مثالية لا مجرد ظاهرة اقتصادية"[2].

3- أسباب ظاهرة الصعلكة

تكاد الأسباب التي أدت إلى ظاهرة الصعلكة تكون محصورة في عاملين اثنين: الأول اقتصادي، والثاني اجتماعي، فكان لهما دور كبير في نشوء حركة الصعلكة التي بدأت في مرحلة ما قبل الاسلام، حيث إن حركة الصعاليك وأخبارهم تتصل بمشكلة الفقر والغنى في المجتمع العربي وقتئذٍ، وتنادي بثورة المستضعفين من الفقراء، والمضطهدين فيه على طبقة الأغنياء، بخاصة البخلاء منهم، كما تستهدف هذه الثورة – في منظورهم- تحقيق صورة من صور العدالة الاجتماعية، والتوازن الاقتصادي في المجتمع.

وفصَّل الدكتور يوسف خليف في أسباب نشوء حركة الصعلكة الجاهلية ودوافعها مركّزًا على الجانب الاقتصادي[3]. ولعل هذه الرؤية لدى الصعاليك انطوت على إحساس عميق بمشكلات المجتمع الاقتصادية ومحاولة حلها، ويمثل العامل الاقتصادي صراعًا بين طبقات الفقراء المتمثلة بالشعراء الصعاليك، وطبقة البخلاء والأغنياء[4].

1 - محمود حمدي زقزوق، الموسوعة الإسلامية العامة، مطابع الأهرام، قليوب، مصر، ص 864.
2 - هلال الجهاد، فلسفة الشعر الجاهلي، ط1، دار المدى، دمشق، 2001م، ص 113.
3 - يوسف خليف، الشعراء الصعاليك في العصر الجاهلي، ط3، دار المعارف، القاهرة، مكتبة الدراسات الأدبية، كتاب رقم (8)، 1978م. في الفصلين الأول والثاني شرح وافٍ لأسباب الصعلكة في العصر الجاهلي.
4 - الفيروزأبادي، القاموس المحيط، دار الفكر، بيروت، 1983م،ج1، ص 310.

انقسم الشعراء الصعاليك إلى طائفتين؛ أولى قبلت الوضع الاجتماعي الذليل رضيه لهم ضعف النفس والجسد، وثانية رفضت ذلك الوضع، وأبت أن تعيش تلك الحياة المهينة، ووجدت في قوة العزيمة وقدرة الجسد وسيلة تشق بها طريقها في الحياة[1].

وتنبّه أبو زيد القرشي إلى معنى سلوكي عُرفي في كتابه (جمهرة أشعار العرب) فيما نصه: "والصعلوك الفقير، وهو المتجرد للغارات"[2].

تقوم حياة الشعراء الصعاليك على الغزو والإغارة لتحقيق غايات سامية في المساواة بين الفقير والغني، والأخذ من أموال الأغنياء لإطعام الفقراء، ويعد هذا السلوك سرقةً في حد ذاته، لذلك عاش الصعاليك صراعًا اجتماعيًّا شديد الوطأة بسبب هذه الإشكالية بين النظرية الأخلاقية ووسائل تطبيقها.

- تعريف الدلالة وعلاقتها بالماء والألفاظ الدالة عليه

يعد الماء المكون الرئيس للحياة في الأرض، به قوام معيشة الكائنات الحية، واتزان الطبيعة وجمالها، فهو ذو حضور أساسي إلى درجة عدم القدرة على الاستغناء عنه مطلقًا. وتأتي إيجابية الماء وفقًا لأهميته وضرورته في الحياة، فإن له صفات إيجابية خاصة بالرحمة والريِّ والخير والدلالة على دوام الحياة، في مقابل بعض الدلالات السلبية التي سيشار إليها في مكانها من الدراسة.

وأبدى العرب اهتمامهم بالماء في بيئتهم بأن أطلقوا على كل حالٍ من أحواله منذ التكوين إلى التجمع اسمًا دقيقًا يوافق طبيعته، وهي من بلاغة اللغة العربية في موافقة اللفظ للمعنى دون زيادة أو نقصان، حيث لا مجال للتأويل أو التبديل.

وبنظرة دقيقة إلى حياة العربي قديمًا في الصحراء، كان مهددًا على الدوام، غير مستقر في موضع محدد، إلا إذا توافرت أسباب الاستقرار الرئيسة كالماء والمرعى. وإن هذا التهديد الحاصل آتٍ من جانبين؛ الأول من البيئة الصحراوية حيث قسوة البادية القاحلة، والثاني من المجتمع القبلي، حيث الغزوات المستمرة والسلب والنهب. والدافع في تينك الجانبين معاشي

1 - يوسف خليف، الشعراء الصعاليك في العصر الجاهلي، ج1، ص 34.
2 - أبو زيد القرشي، جمهرة أشعار العرب، دار نهضة مصر للطباعة والنشر، مصر، ص 565.

في المقام الأول، ولأن قوام الجانب المعاشي هو الماء، فقد اعتنى العرب به وبحثوا عن مواضعه ولزموها، واستبشروا ببوادره وملامح نزوله.

وقد اعتنى اللغويون العرب منذ القدم بإطلاق أسماء خاصة لكل حال من أحوال الماء ومراحل تكوينه، فجاء إبداع الشعراء الصعاليك في توظيف هذه الأسماء للدلالة على الماء وتكويناته من خلال الألفاظ المخصصة لذلك. وهو ما سنعرضه بالتفصيل في هذه الدراسة.

وحيث إن أحد أبرز جوانب التحليل النقدي تقوم على حسن استخراج الدلالات من سياق النصوص الشعرية، والوقوف على مدى قدرة الشاعر في توظيف الألفاظ للدلالة على المعنى بشكل دقيق، ومدى اقتران هذه الألفاظ بسياقي الحال والمقام، فإنه من المناسب أن نتناول تعريف الدلالة فيما يأتي:

- الدلالة لغة: من الجذر اللغوي (دلَـلَ) ومن معانيه في لسان العرب: "الدلُّ قريب المعنى من الهَدْي... ودللتُ بهذا الطريقِ: عرفتهُ"[1]، و"دلَّهُ عليه دلالةً... سدَّده إليه"[2].
- الدلالة اصطلاحًا: كما حددها الشريف الجرجاني فإنها: "كون الشيء بحالة يلزم من العلم به العلم بشيء آخر، والشيء الأول هو الدال والثاني هو المدلول"[3]. وهذا التعريف يشمل كل أنواع العلامات لغوية كانت أو غير لغوية، فهو أدخل في علم السيمياء منه في علم اللسانيات.
- الدلالة عند علماء أصول الفقه: "هي العلاقة المتبادلة بين اللفظ والمعنى"[4]، وسبب قربه هذا هو تركيزه على دلالة الألفاظ اللغوية لأن الأصوليين يشتغلون بالدلالات في النصوص من قرآن وسُنَّة[5].

---

1 - ابن منظور، لسان العرب، مادة (دلل).
2 - الفيروز أبادي، القاموس المحيط، مادة (دلّ).
3 - الشريف الجرجاني، التعريفات، ط1، مؤسسة الحسني، الدار البيضاء، المملكة المغربية، 2006م، ص 97- 98.
4 - السيد أحمد عبدالغفار، التصور اللغوي عند علماء أصول الفقه، دار المعرفة الجامعية، الإسكندرية، 1995م، ص 142.
5 - طاهر سليمان حمود، دراسة المعنى عند الأصوليين، الدار الجامعية، الإسكندرية، 1997، ص 11.

- في اللسانيات: للدلالة تعريفات عدة، هي على النحو الآتي:
  - دي سوسير: الدلالة "هي العلاقة المتولدة من تآلف الدال والمدلول"[1]. فهو يرى أن العلامة اللغوية تتكون من وجهين: الدال، والمدلول.
  - إميل بنفينيست: الدلالة "هي قدرة الوحدة اللغوية على التكامل مع وحدة من مستوى أعلى"[2]. ويتميز تعريفه بالربط بين مكونات اللغة في مستوياتها اللسانية المختلفة متعديًا بذلك اقتصار مفهوم الدلالة على الكلمة حسب دي سوسير. وتجدر الإشارة هنا إلى أن بعض اللغويين "رفضوا أن تكون الكلمة قادرة على تقديم المعنى، ويذهبون إلى أن ما يقدمه هو الجملة؛ لأنها وحدة صالحة للتفكر"[3].
  - كاتي هِرش: وهو صاحب كتاب (الصلاحية في التأويل) يرى وجود فرق بين المعنى والدلالة؛ فالمعنى "هو ما تمثله الأدلة، وأما الدلالة فهي العلاقة بين المعنى والشخص أو المفهوم أو الواقع أو أي شيء يمكن تخيله"[4].

وتجدر الإشارة هنا إلى أن المنهج اللغوي المسمى بـ(الحقول الدلالية) ليس وليد جهود اللغويين الغربيين، فاللغويون العرب سبقوا إلى فكرة تقسيم مادة المعجم إلى حقول دلالية، "فقد عرف علماء اللغة القدامى الرسائل اللغوية، دون الإشارة إلى المصطلح؛ إذ تضمنت تصنيفًا شاملاً لألفاظها منذ العصر الجاهلي إلى ظهور الإسلام، فالدارس يلفيما يدل على تصنيف الموجودات بمجموعها"[5].

---

1 - فؤاد زكريا، مشكلة البنية، دار سحنون، تونس، مكتبة مصر، مصر، د.ت، ص 44- 45.
2 - سعيد الغانمي، اللغة والخطاب الأدبي، ط1، المركز الثقافي العربي، بيروت- الدار البيضاء، 1993م، ص 47.
3 - رشيد الحاج صالح، التحليل اللغوي ونظرية المعنى عند فتجنشتين، عالم الفكر، المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب، الكويت، أبريل/ يونيو، 2001، مجلد (29)، العدد (4)، ص 225.
4 - محمد مفتاح، مجهول البيان، دار توبقال، الدار البيضاء، 1990م، ص 105.
5 - أحمد عزوز، أصول تراثية في نظرية الحقول الدلالية، منشورات اتحاد الكتاب العرب، دمشق، 2002م،ص 21.

وإن حسن اختيار الشعراء من ألفاظ الحقل الدلالي ثم إجادة توظيفها بالتوافق مع معنى السياق، يتطلب مقدرة لغوية فائقة يوظفها الشعراء لتحديد مفردات الطبيعة والحياة وثنائياتهما ويحبك منها جميعًا متنًا شعريًّا منسجم المعنى متسق اللفظ، وهو ما سنقوم بعرضه في فصول الدراسة الأربعة فيما يأتي.

4- الشعراء الصعاليك الذين تضمنتهم الدراسة:

وقع الاختيار في الدراسة على سبعة عشر شاعرًا من الشعراء الصعاليك في الجاهلية وصدر الإسلام إلى العصر الأموي، وقمتُ بترتيبهم فيما يأتي ترتيبًا ألفبائيًّا، وهم على النحو الآتي:

1- أبو الخراش الهذلي: من الشعراء الصعاليك في قبيلة هذيل، ويعد من المخضرمين بين الجاهلية والإسلام، واسمه: خويلد بن مرة، كان مشهورًا من عدائي العرب وقتئذٍ، فكان يسبق الخيل. أسلم وهو شيخ كبير، وعاش إلى زمن الخليفة عمر بن الخطاب. وتوفي في حدود سنة 636م[1].

2- أبو الطمحان القيني: من الشعراء الصعاليك المخضرمين بين الجاهلية والإسلام، واسمه: حنظلة بن شرقي، من قبيلة بني قضاعة. وقيل في اسمه ونسبه: ربيعة بن عوف بن غنم بن كنانة بن القين بن جسر. وهو صاحب البيت المشهور:

أضاءتْ لهم أَحسابهم ووجوهُهمْ دُجَى الليلِ حتَّى نظمَ الجزعَ ثاقبُهُ

توفي في حدود سنة 650م[2].

3- أبو صخر الهذلي: من الشعراء الصعاليك في العصر الأموي، واسمه: عبدالله بن سلمة السهمي، وهو صاحب الأبيات المشهورة التي أولها:

عَجبتُ لسعي الدَّهرِ بيني وبَينها فلمَّا انقضَى ما بَيننا سَكَنَ الدَّهرُ

توفي في حدود سنة 700م[3].

---

1 - خير الدين الزركلي، الأعلام: قاموس تراجم لأشهر الرجال والنساء من العرب والمستعربين والمستشرقين، ط15، دار العلم للملايين، بيروت، 2002م، ج2، ص 325.
2 - خير الدين الزركلي، الأعلام، ج2، ص 286.
3 - خير الدين الزركلي، الأعلام، ج 4، ص 90- 91.

4- أبو كبير الهذلي: من الشعراء الصعاليك المخضرمين بين الجاهلية والإسلام، واسمه: "عامر بن الحليس الهذلي، من بني سهل بن هذيل، يلقب بأبي كبير، وهو شاعر فحل من شعراء الحماسة"[1]. ولم تشر مصادر ترجمته إلى سنة وفاته.

5- تأبَّط شرًّا: يعد من أشهر الشعراء الصعاليك في مرحلة ما قبل الإسلام، واسمه "ثابت بن جابر بن سفيان، أبو زهير، الفهميّ، من مضر"[2] اشتهر عنه سرعته فهو عدّاء قومه، ومما يدل على جزالة شعره أن الضّبيَّ استفتح مفضَّليَّاتِهِ بقصيدة له، مطلعها: "يا عيد ما لك من شوقٍ وإيراق"[3]. تذكر الروايات أنه قتل في بلاد هذيل وألقي في غار (رخمان)، وذلك في حدود سنة 540م.

6- حاجِز بن عَوف الأزدي: وهو من الشعراء الصعاليك في مرحلة ما قبل الإسلام، واسمه "حاجز بن عوف بن الحارث من بني مفرّج من الأزد"[4]، ويعد من الشعراء المقلّين في أشعارهم، كما أنه يعد "من أغربة العرب الذين كانوا يغزون على أرجلهم"[5].

7- الحارث بن ظالم المرِّي: وهو من الشعراء الصعاليك في مرحلة ما قبل الإسلام، واسمه "الحارث بن ظالم بن غيظ المري، أبو ليلى"[6]. نشأ يتيمًا بعد أن قُتلَ أبوه، ولما شبَّ آلت إليه سيادة غطفان، وحينها تمكن من الثأر لأبيه في قصر النعمان بن المنذر، ثم هرب خشية من بطش النعمان، حتى وصل الشام، فقتل في منطقة حوران في حدود سنة 600م[7].

8- حبيب الأعلم الهذلي: من الشعراء الصعاليك في قبيلة هذيل في مرحلة ما قبل الإسلام، واسمه: "حبيب بن عبدالله الهذلي أحد بني عمرو بن الحارث بن تميم بن سعد بن هذيل بن مدركة"[8]. وهو أخو صخر الغَيِّ... وكان مشهورًا من عدائي العرب آنذاك.

---

1 - خير الدين الزركلي، الأعلام، ج3، ص 250.
2 - خير الدين الزركلي، الأعلام، ج2، ص 97.
3 - خير الدين الزركلي، الأعلام، ج2، ص 97.
4 - خير الدين الزركلي، الأعلام، ج 2، ص 153.
5 - خير الدين الزركلي، الأعلام، ج 2، ص 153.
6 - خير الدين الزركلي، الأعلام، ج2، ص 155- 156.
7 - خير الدين الزركلي، الأعلام، ج2، ص 155- 156.
8 - علي بن الحسين بن محمد، أبو الفرج الأصفهاني، الأغاني، ط1، دار إحياء التراث العربي، بيروت، 1415هـ، ج22، ص 502.

9- السُّـلَيك بـن السُّـلَكَة: مـن الشـعراء الصـعاليك في مرحلـة مـا قبـل الإسـلام، واسـمه: السـليك بن عمير بـن يـثربي بـن سـنان السـعدي التميمـي، والسـلكة أمـه، وإليهـا انتسـب، فيلقـب بـابن السُّلَكة، وبالرئبـال. ومـن أبـرز صـفاته أنـه: فاتـك، عـدّاء، شـاعر، أسـود اللـون. كـان أدلّ النـاس بالأرض وأعلمهم بمسالكها. قتله أسد بن مدرك الخثعميّ في حدود سنة 605م[1].

10- الشنفرى: مـن أشـهر الشـعراء الصـعاليك في مرحلـة مـا قبـل الإسـلام، واسـمه: عمـرو بـن مالـك الأزدي، مـن قحطـان. يعـدُّ مـن فرسـان العـرب وعـدّائيهم. وهـو أحـد الخلعـاء الـذين تـبرأت مـنهم عشـائرهم. قتلـه بنـو سـلامان. وهـو شـاعر فحـلٌ مـن شـعراء الطبقـة الثانيـة، ومـن أشهر قصائده لامية العرب التي مطلعها:

أَقيمُوا بني أُمِّي صُدورَ مَطيِّكمْ فإنّي إلى قَومٍ سِواكُمْ لَأَميلُ

توفي في حدود سنة 525م[2].

11- صـخر الغـي الهـذلي: مـن الشـعراء الصـعاليك في قبيلـة هـذيل، واسـمه: صـخر بـن عبـد الله الخيثمـي. قـال الأصـفهاني: "لقـب بصـخر الغـيّ لخلاعتـه وشـدة بأسـه وكـثرة شره. وأورد أبياتًا مـن قصـيدة تنسـب إليـه، قيـل في سـببها: إن صـخرًا قتـل جـارًا لشـاعرٍ مـن هـذيل يـدعى (أبـا المـثلَّم) ودارت بـين أبي المـثلَّم وصـخر الغـيّ مناقضـات وقصـائد يطـول ذكرهـا"[3]. قتـل على يد بني المصطلق من قبيلة خزاعة، ولا يُعلم تاريخ وفاته.

12- عَبْـدَة بـن الطَّبيـب: مـن الشـعراء الصـعاليك المخضـرمين بـين الجاهليـة والإسـلام، واسـمه: عبـدة بـن يزيـد بـن عمـرو بـن عـلي، اشـتهر بلقـب عبـدة ابـن الطبيـب. وهـو صـاحب المرثيـة التي منها:

---

1 - خير الدين الزركلي، الأعلام، ج3، ص 115.

2 - ديـوان الشـنفرى: عمـرو بـن مالـك، جمعـه وحققـه وشـرحه: إميـل بـديع يعقـوب، ط2، دار الكتاب العربي، بيروت، 1996م، 9- 13.

3 - خير الدين الزركلي، الأعلام، ج3، ص 201.

وما كانَ قيسٌ هلكُهُ هلك وَاحدٍ ولكنَّهُ بُنيانُ قَومٍ تَهدَّمَا

ويقال: إنه أرثى بيت قالته العرب. توفي في حدود سنة 645م[1].

13- عُـروة بـن الـوَرد العَبسي: مـن أشـهر الشـعراء الصـعاليك في مرحلـة مـا قبـل الإسـلام، واسـمه: عروة بن الورد بن زيد العبسيّ، من قبيلة غطفان، كان يلقب بعروة الصعاليك، لجمعه

14- إيـاهم، وقيامـه بـأمرهم إذا أخفقـوا في غـزواتهم. قـال عبـد الملـك بـن مـروان: "مـن قـال إن حاتمًا أسمح الناس فقد ظلم عروة بن الورد"[2]. توفي في حدود سنة 594م.

15- عَمـرو بـن برَّاقـة: مـن الشـعراء الصـعاليك المخضرمين بـين الجاهليـة والإسـلام. واسـمه: عَمـرو بـن برَّاقـة الهمـداني النهمـي، اشـتهر بلقـب (ابـن برَّاقـة) وبرّاقـة هـي أُمُّـه نسـب إليهـا. كـان معاصرًا للشاعر الصعلوك تأبَّط شرًّا. ولا يوجد تحديد دقيق لتاريخ وفاته[3].

16- فَضَـالة بـن شُرَيـك: مـن الشـعراك الصـعاليك المخضرمين بـين الجاهليـة والإسـلام، واسـمه: فَضَالة بـن شُرَيـك بـن سـلمان بـن خويلـد الأسـدي. وهـو شـاعر بليـغ، يعـد شـعره حجـة عنـد اللغـويين، وتنسـب إليـه أبيـات في رثـاء يزيـد بـن معاويـة، فـإن صـح أنهـا لـه فتكـون وفاتـه بعد سنة 46هـ[4].

17- القتَّـال الكِـلابي: مـن الشـعراء الصـعاليك في العصر الأمـوي، واسـمه: عبـد الله بـن مُجيـب بـن المضرّحي. اختلـف في اسـمه فقيـل: هـو عبيـد الله، أو عبيـد، أو عبـادة، أو عبّـاد، كـما اختلفـوا في اسـم أبيـه فقيـل: محبـب وجـده هـو المضرحي وقـد افتخـر بـه في شـعره. و(القتّـال): لقـبٌ أُطلـق عليـه لتمـرّده وفتكـه، وهـو المشـهور بهـذا اللقـب، وبعضـهم يجعلـه مخضرمًا أدرك الجاهليـة والإسـلام، وهـذا التنـاقض والاخـتلاف في اسـمه وأخبـاره نـاتج عـن حياتـه المتمـردة وعيشـه في الباديـة بعيـدًا عـن الاخـتلاط بالنـاس وأولي الأمـر. ولم تشر المصـادر إلى زمـن ولادته أو وفاته[5].

---

1 - خير الدين الزركلي، الأعلام، ج4، ص 172.

2 - خير الدين الزركلي، الأعلام، ج4، ص 227.

3 - شـريف راغـب علاونـة، عمـرو بـن برّاقـة الهمـداني مـن مخضـرمي الجاهليـة والإسـلام: سيرته وشعره، ص17- 24.

4 - خير الدين الزركلي، الأعلام، ج5، ص 146.

5 - ديوان القتال الكلابي، حققه وقدَّم له: إحسان عباس، دار الثقافة، بيروت، 1989م، ص 12-15.

-18

19- قَـيس بـن الحَدَاديـة: مـن الشـعراء الصـعاليك في مرحلـة مـا قبـل الإسـلام، واسـمه: قـيس بـن منقذ بن عمـرو، مـن بنـي سـلول بـن كعـب مـن قبيلـة خزاعـة. واشـتهر بلقـب ابـن الحداديـة، حيـث تـبرأت منـه قبيلتـه في سـوق عكـاظ، فنُسـب إلى أمـه وهـي حضرمية مـن بنـي حـداد. وهو شاعر فحل من شعراء الطبقة الثانية. قتله بعض بني مزينة في غارة لهم[1].

1 **- خير الدين الزركلي، الأعلام، ج5، ص 209.**

الفصل الأوَّل

الماء ومكوِّناته والألفاظ الدَّالة عليها

مدخل

تعد الدقة في تسمية الأشياء بمسمياتها من أظهر الأساليب البلاغية في اللغة العربية، ومن أبرز الأمثلة على ذلك أن العرب جعلوا للماء وصفاته وأحوال تكوينه ألفاظًا دقيقة تدل على جميع حالاته، فأسموا كل مرحلة من مراحل تكوينه اسمًا خاصًّا، بدءًا بالسحاب وأسمائه، والبرق والرعد وأسمائهما، ثم المطر وألفاظه الدالة على حالاته بين الغزارة والضعف.

ويسير المنهج المتبع في هذا الفصل على تتبع مواضع ألفاظ الماء في شعر أبرز الشعراء الصعاليك، وذلك ضمن مبحثين اثنين على النحو الآتي:

المبحث الأول: الماء ودلالاته في شعر الصعاليك

الماء في اللغة: "هو الذي يشرب، والهمزة فيه مبدلة من الهاء في موضع اللام، وأصله مَوَهٌ بالتحريك؛ لأنه يجمع على أمواه في القلة، ومياه في الكثرة"[1]. والماء: "سائل عليه عماد الحياة في الأرض، يتركب من اتحاد الهيدروجين والأوكسجين، بنسبة حجمين في الأول، إلى حجم من الثاني، وهو في نقائه شفاف لا لون له، وطعم، ولا رائحة فيه"[2].

"ودور الماء الظاهر في إنبات كل شيء دور واضح، يعلمه البدائي والمتحضر، يعرفه الجاهل والعالم... ولكن دور الماء في الحقيقة أخطر وأبعد مدى من هذا الظاهر الذي يخاطب به القرآن الناس عامة، فقد شارك الماء ابتداء - بتقدير الله - في جعل تربة الأرض السطحية صالحة للإنبات. والماء إما أن يكون مستعملا أو مطلقاً، فأما المستعمل؛ فكل ما أزيل به الحدث، أو استعمل في البدن على وجه التقرب. وأما المطلق؛ فهو: الذي بقي على أصل خلقته، ولم تخالطه النجاسة، ولم يغلب عليه شيء طاهر"[3].

---

1 - إسماعيل بن حماد الجوهري، الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية، تحقيق: أحمد عبدالغفور عطار، دار الكتاب العربي، مصر، ج6، د. ت، مادة (موه).
2 - هارون عبدالسلام وآخرون، المعجم الوسيط، مجمع اللغة العربية، مطبعة مصر، 1961م، ج 2، مادة (موه).
3 - صلاح الدين سليم محمد، لفظ الماء وما يدل عليه في نصوص من التنزيل: دراسة دلالية، مجلة أبحاث كلية التربية الأساسية، المجلد 9، العدد (4)، كلية العلوم السياسية - جامعة الموصل، 2010م، ص 281.

ويعد الماء أهم عنصر في الوجود، وبه قوام الحياة، فلا يمكن الاستغناء عنه، وأشار إلى هذه الأهمية الشاعر عروة بن الورد في قوله:

فلا أتركُ الإخوانَ ما عِشتُ للرَّدى كما أنَّه لا يتركُ الماءَ شاربُهُ[1]

يفاخر الشاعر بمروءته وأنه باقٍ على عهدهِ مع إخوانه، ويؤكد هذا باستدعاء صورة مشابهة من البيئة الطبيعية يوضح فيها بأنه لن يتركهم كما لا يستطيع الإنسان ترك شرب الماء، والدلالة المشتركة بينهما تتجلى في فقد الحياة في حال الترك والتخلي.

وقد ركز بعض الشعراء الصعاليك على صفة محددة من الماء في أشعارهم، وهو الماء القراح، ومن ذلك ما نظمه السليك بن السُّلَكة:

وأَصْطَبِحُ المَاءَ القَرَاحَ فأكتَفِي إذا الزَّادُ أَضْحَى للمزلَّجِ ذا طَعْمِ[2]

ولعروة بن الورد:

وإنْ أخنى عليكَ فلم تجدهُ فنبتُ الأرضِ والماءُ القَراحُ[3]

وله أيضًا:

وآستْ نفسَها وطَوَتْ حَشَاها على المَاءِ القَرَاحِ مع المَليلِ[4]

والقَرَاحُ في اللغة: "القراح: الماء الذي لا يخالطه ثفل من سويق ولا غيره، وهو الماء الذي يشرب إثر الطعام... والماء القَرَاحُ هو: الماء الذي لم يخالطه شيء يطيَّبُ به؛ كالعسل، والتمر، والزبيب"[5].

---

1 - ديوان عروة بن الورد أمير الشعراء الصعاليك، دراسة وشرح وتحقيق: أسماء أبو بكر محمد، منشورات محمد علي بيضون، دار الكتب العلمية، بيروت، 1998م، ص 37.
2 - حميد آدم ثويني؛ كامل سعيد عواد، السليك بن السلكة: أخباره وشعره، ط1، مطبعة العاني، بغداد، 1984م، ص 37.
3 - ديوان عروة بن الورد، ص 53.
4 - ديوان عروة بن الورد، ص 96.
5 - ابن منظور، لسان العرب، مادة (قرح).

وفي الأبيات الثلاثة السابقة ربط الشعراء الماء القَراح بالكفاية الناتجة عن قلة الحيلة، إضافة إلى تبيين عزة النفس.

واستعمل بعض الشعراء لفظ الماء بمعنى المطر النازل من السماء، وهو توظيف للفظ في دلالة على حقل السماويات أو العلويات، وذلك فيما نظمه تأبَّط شرًّا في قوله:

على الشَّنفرى ساري الغَمامِ فَرائِحُ غزيرَ الكُلَى وصيِّبِ المَاءِ باكرُ[1]

يرثي الشاعر معاصره وصاحبه الشاعر الشنفرى، ويدعو له بالرحمة والمغفرة، وذلك بطلب الرحمة والسقاية بماء المطر لروحه وقبره، فوصف الماء بالصيِّب، والصيِّب يعني ماء المطر الغزير.

وقوله أيضًا:

عَارِي الظَّنَابِيْبِ مُمتَدٌّ نَواشِرُهُ مِدلاجَ أدهمَ واهي المَاءِ غَسَّاقِ[2]

ومعنى البيت: عوّلي على رجلٍ لا يهمه بطنه، وإنما وكدُهُ مقصورٌ على عمارة المحامد لا على مصالح الأبدان، ومن صفات هذا الرجل أنه شديد الجسم ضموره، ركّاب الليل أشدَّ ما يكونُ هولاً، وذلك في ظلمةٍ شديدةٍ ومطرٍ غزير[3].

ومن ذلك قول الشاعر القتَّال الكلابيِّ:

نجاءُ الثُّريَّا كلَّما ناءَ كوكبٌ أَهَلَّ يَسحُّ المَاءَ فيه دُجُونُ[4]

أشار الشاعر إلى صنف خاص من السحب التي تأتي بالتوافق مع فترة زمنية محددة بحسابات النجوم، وبيَّن أنها مقرونة بنجم الثريا، وهذه السحب تمطر الماء الغزير، والدجون هو الماء المطبق في هطوله.

---

1 - ديوان تأبط شرًّا وأخباره، جمع وتحقيق وشرح: علي ذو الفقار شاكر، ط1، دار الغرب الإسلامي، 1984م، ص 78. وانظر: ديوان الشنفرى، ص 95.
2 - ديوان تأبط شرًّا وأخباره، ص 136.
3 - ديوان تأبط شرًّا وأخباره، ص 136. الحاشية.
4 - ديوان القتَّال الكلابي، ص 91. ناء الكوكب: سقط ومال، والعرب تضيف الأمطار إلى الساقط من الكواكب فكأن ناء معناه أهل بالنوء. دجون: مطر مطبق.

واستعمل بعض الشعراء الصعاليك لفظ الماء، في الدلالة على تشكل الماء في حقل الأرضيات، ومن ذلك قول تأبَّط شرًّا:

ومررنَ حتَّى كُنَّ للماءِ مُنتهًى وغادَرَهُنَّ السَّيلُ فيما يُغادِرُ[1]

فالشاعر يشير إلى أن السيل بعد جريانه يترك وراءه نقعًا من الماء تظل في التجويفات الصخرية، وهي من المياه التي ينتفع بها من مياه السيل.

ويشير الشاعر إلى بقية الماء في دلالة مشابهة في قوله:

به نُطَفٌ زُرْقٌ قليلٌ تُرابُها جَلا الماءُ عن أرجائِها فهوَ حَائِرُ[2]

وقصد الشاعر بقوله: "نطفٌ زرقٌ"، أي؛ بقية من الماء الصافي التي ترى انعكاس لون السماء فيها من نقائها، فلا يخالط هذا الماء تراب أبدًا.. كما أنها من شدة نقائها يتموج الماء فيها إلى أطراف المكان المنخفض الذي يتضمن هذه البقية من الماء.

واستعمل بعض الشعراء لفظ الماء في غير ما يدل عليه حقيقة، كما في قول الشنفرى في وصف السيف:

وأبيضُ من مَاءِ الحَدِيدِ مُهنَّدٌ مُجِذٌّ لأطرافِ السواعِدِ مُقطِفُ[3]

يصف الشاعر سيفه المهنَّدَ بأنه صقيلٌ ذو لونٍ أبيض، كناية عن لمعانه وحدته وجودة صناعته، استعمل لهذا التشبيه (ماء الحديد) وهو تركيب لغوي استعمله الشعراء في هذا الموضع من التشبيه في كثير من الأبيات، كناية عن بياض السيف، وتقدير ذلك: وأبيض كائن من ماء الحديد.

وفي التوظيف نفسه للفظ الماء في دلالته على اللون، ما نظمه الشاعر الشنفرى في وصف الوجوه المشرقة بالماء المذهّب، في قوله:

---

1 - ديوان تأبط شرًّا وأخباره، ص 96.
2 - ديوان تأبط شرًّا وأخباره، ص 96.
3 - ديوان الشنفرى، ص 53.

سراحينُ فتيانٍ كأنّ وُجوهَهمْ مَصابِيحُ أو لَونٌ من المَاءِ مُذهَبُ[1]

وظف الشاعر لفظ الماء مقرونًا باللون الذهبي اللامع ليضفي على الصورة واقعية في التشبيه، فاستعمال لفظ الماء في هذا الموضع لم يكن إلا للتشبيه بلون الماء، دون التعرض إلى أهمية الماء أو قدسيته أو مكوناته.

وورد لفظ الماء في سياق الكناية في وصف الدموع بالماء، ومن ذلك ما نظمه الشاعر عروة بن الورد:

فإنِّي وإيَّاكمْ كذي الأمِّ أرهنتْ لهُ ماءَ عينيها تفدى وتحملُ[2]

وللقتال الكلابي في المهنى نفسه قوله:

أباكيةٌ بَعدِي جنوبُ صَبابَةً عليَّ وأُختَاهَا بِمَاءِ عُيونِ؟[3]

وإن تشبيه الشاعرين الدموع بماء العينين يعود إلى اتفاق الحال الفيزيائية لكل من الماء والدمع في اللون والشكل وانتفاء الرائحة، واختلافها معها في التكوين والطعم. ويعود هذا التشبيه إلى اعتماد الشاعرين على المحسوسات المادية في صياغة التراكيب والتشبيهات الشعرية، وعقدهم المقارنة بين أوجه الشبه القائمة بين العناصر ومحاولة تأليفها مع بعضها بعضًا في سياق فني.

ويعد الماء من العناصر الطبيعية الرئيسة التي تدخل في سلسلة الغذاء، وذلك حين يستعمله الإنسان مخلوطًا ببعض الأصناف الطبيعية لصنع طعام خاص، وأشار إلى هذا الشاعر السليك بن السلكة في قوله:

سيكفيكَ فقدُ الحيِّ لحمٌ مغرضٌ وماءُ قُدورٍ في الجِفانِ مَشوبِ[4]

1 - ديوان الشنفرى، ص 28.
2 - ديوان عروة بن الورد، ص 92.
3 - ديوان القتال الكلابي، ص 92.
4 - السليك بن السلكة: أخباره وشعره، ص 57.

حيث يشير الشاعر إلى الماء المغلي في القدور لتحضير الطعام. أما الشاعر عبدة بن الطبيب فذكر نوعًا من الشراب الذي يكون مزاجًا من العسل والماء، فقال:

حَرَّانُ لا يَشفِي غَليلَ فُؤادِهِ عَسَلٌ بِمَاءٍ في الإِنَاءِ مُشَعْشَعُ[1]

فلا يشفي غليل الحران الظامئ إلا إناء من العسل الممزوج مع الماء، وهذا لا يكون من باب الشرب لإرواء الظمأ فقط، بقدر ما هو شربٌ على غير ظمأ من باب البذخ، فالحرّان يرضى بالماء القَراح الذي لم يخالطه شيء، إذا اشتد به الظمأ.

من خلال ما وقفت عليه من أمثلة على حضور لفظ الماء في قصائد أبرز الشعراء الصعاليك، لاحظت أنهم استعملوا اللفظ ووظفوه في سياقات متنوعة، منها الصريحة الخاصة بحقل العلويات والمطر، ومنها الخاصة بحقل الأرضيات ونقاع الماء، ومنها في سياق الكناية على اللون، أو في سياق الكناية عن ماء العيون، وأشار بعضهم إلى أهمية الماء لكونه من أهم عناصر السلسلة الغذائية لدى الإنسان.

المبحث الثاني: الألفاظ الدالة على تكوين الماء

يندرج تحت هذا المبحث أربعة مطالب، وهي: السحاب، والرعد، والبرق، والمطر، حيث سيتم فيها تناول الألفاظ الدالة على كل منها، ثم التفصيل في هذه الألفاظ وتبيين معانيها في قواميس اللغة ومعاجمها، وذكر الموضع الذي ورد فيه اللفظ لدى الشعراء الصعاليك، وتحليل توظيف الشاعر للمفردة المستعملة في موضعها دون سواها من المفردات، ودلالة هذا الاستعمال حسب السياق والمعنى اللغوي.

1 - يحيى الجبوري، شعر عبدة بن الطبيب، دار التربية للطباعة والنشر والتوزيع، بغداد، 1971م، ص 47.

المطلب الأول: الألفاظ الدالة على السَّحاب

فصَّل عبدالملك الثعالبي بأسماء السحب وأحوالها في كتابه (فقه اللغة وأسرار العربية) بما نصُّهُ:

"أَوَّلُ مَا يَنْشَأُ السَّحابُ، فَهُوَ النَّشْءُ، فإذا انْسَحَبَ في الهَوَاءِ، فَهُوَ السَّحابُ، فإذا تَغَيَّرَتْ له السّماء، فَهُوَ الغَمَامُ، فإذا كَانَ غَيْماً يَنْشَأ في عُرْضِ السّماءِ فلا تُبْصِرُهُ ولكنْ تَسْمَعُ رَعْدَهُ مِنْ بَعِيدٍ، فَهُوَ العَقْرُ، فإذا أَطَلَّ أظلَّ السّماءَ، فَهُوَ العَارِضُ... فإذا ارْتَفَعَ وحَمَلَ المَاءَ وكَثُفَ وأطْبَقَ، فَهُوَ العَمَاءُ والعَمَايَةُ والطَّخَاءُ والطَّخَافُ والطَّهَاءُ... فإذا أظلَ الأرْضَ، فَهُوَ الدَّجْنُ... فإذا تَعَلَّقَ سَحابٌ دُونَ السَّحَابِ، فهوَ الرَّبابُ... فإذا تَدَلَّى ودَنَا مِنَ الأرْضِ مِثْلَ هُدْبِ القَطِيفَةِ، فَهُو الهَيْدَبُ... فإذا كَانَ أبْيَضَ، فَهُوَ المُزْنُ والصَّبِيرُ، فإذا كَانَ لِرَعْدِهِ صَوت، فَهُوَ الهَزِيمُ، فإذا اشتَدَّ صَوْتُ رَعْدِهِ، فَهُوَ الأجَشُّ... فإذا كَانَ ذَا صَوْتٍ شَدِيدٍ، فَهُوَ الصَّيِّبُ، فإذا هَرَاقَ ماءَهُ، فَهُوَ الجَهَامُ"[1].

تقترن دلالة الغيمة أو السحابة بالماء النازل من السماء الذي يحمل الخير للناس، ولذلك اعتنى الشعراء الصعاليك بذكرها وأبدعوا في تصوير المشاهد الطبيعية، ومنها وصف الغيمة بدلالاتها المتعددة من شاعر إلى آخر، فمنهم من عدَّها رمز الخير والعطاء، ومنهم من عدَّها رمز التطهير وغسل الذنوب. ومن أسماء السحاب التي وردت في شعر الصعاليك ما يأتي:

- **السَّحابة: وهي من الجذر اللغوي (سحب) ومن معانيها في اللغة: "السحابة: الغيم. والسحابة التي يكون عنها المطر، سميت بذلك لانسحابها في الهواء، والجمع سحائب وسحاب وسحب وخليق أن يكون سحب جمع سحاب الذي هو جمع سحابة، فيكون جمع جمع"[2].**

---

1 - عبدالملك بن محمد الثعالبي، فقه اللغة وأسرار العربية، ضبطه وعلّق حواشيه وقدم له ووضع فهارسه: ياسين الأيوبي، ط2، المكتبة العصرية للطباعة والنشر، صيدا- بيروت، 2000م، ص 302؛ وانظر: أحمد بن عبد الوهاب بن محمد بن عبد الدائم النويري، نهاية الأرب في فنون الأدب، ط1، دار الكتب والوثائق القومية، القاهرة، 2002م، ج1، ص 72.
2 - ابن منظور، لسان العرب، مادة (سحب).

والســـحابـة في معجم ألفـاظ المطر هي: "المطر القليـل العرض[1]، قـلَّ قطره أو كثر وهو مثـل الشؤبوب"[2].

وتكون السحابة في استعمالين اثنين؛ الأول أن تأتي بدلالة العموم حيث يسمِّي الشعراء بها تشكُّل الغيوم في الســماء بمختلف هيئاتها كثافة أو تفرقًا، والثاني أن يعني انســحاب بداية تشــكله في الهواء، كما حددها الثعالبي بما نصــه: "فإذا انْسَــحَبَ فِي الهَوَاءِ، فَهُوَ السَّــحابُ"[3]. وهي عند ابن فارس في مقاييس اللغة: "السِّـينُ وَالْحَاءُ وَالْبَاءُ أَصْـلٌ صَـحِيحٌ يَدُلُّ عَلَى جَرِّ شَيْءٍ مَبْسُـوطٍ وَمَدِّهِ. تَقُولُ: سَـحَبْتُ ذَيْلِي بِالْأَرْضِ سَـحْبًا. وَسُـمِّي السَّـحَابُ سَـحَابًا تَشْـبِيهًا لَهُ بِذَلِكَ، كَأَنَّهُ يَنْسَحِبُ فِي الْهَوَاءِ انْسِــحَابًا. وَيَسْــتَعِيرُونَ هَذَا فَيَقُولُونَ: تَسَــحَّبَ فُلَانٌ عَلَى فُلَانٍ، إِذَا اجْتَرَأَ عَلَيْهِ، كَأَنَّهُ امْتَدَّ عَلَيْهِ امْتِدَادًا"[4].

ومن ذلك، قول الحارث بن ظالم المرّي يذكر قريشًا:

فلو أنِّي أشاء لكنتُ منهم وما سيَّرتُ أتَّبعُ السَّحابا[5]

وظـف الشـاعر لفـظ السـحابة بمعناهـا اللغـوي المتوافـق مـع دلالـة السـياق، حيـث إنـه جمع بين السير واتباع السحاب، وهـو مـا أشرنـا إليـه بـأن معناهـا مـأخوذ مـن انسـحابها في الهواء، فتوافق توظيف سير الشاعر مع انسحابها. ومن ذلك، قول القتَّال الكلابي:

ترعى الفضاء كلُّ مجرى سحابة وفي النفس منه رأفة وهواجس[6]

حيــث وافــق اللفــظ دلالــة الســياق في الجانــب اللغــوي ، مــن خــلال اقــتران الجريــان بالسحابة.

---

1 - عبـدالفتاح الصـعيدي وحسـين يوسـف موسـى، الإفصـاح فـي فقـه اللغـة، ط1، مطبعـة دار الكتب العلمية، بيروت، 1987م، ص 484.

2 - صـلاح مهـدي جـابر، "معجـم ألفـاظ المـاء"، مجلـة أهـل البيـت، العـدد (7)، لا تـا، ص 198.

3 - أحمد بن عبدالوهاب النويري، نهاية الأرب في فنون الأدب، ج1، ص 72.

4 - أحمـد بـن فـارس الـرازي، معجـم مقـاييس اللغـة، تحقيـق: عبدالسـلام محمـد هـارون، دار الفكر، 1979م، ج3، ص 142. مادة (سَحَبَ).

5 - ابـن قتيبـة الـدينوري، المعـاني الكبيـر، تحقيـق: عبـد الـرحمن بـن يحيـى اليمـاني، ط1، دار الكتب العلمية، بيروت، 1984، ص 522.

6 - ديوان القتَّال الكلابي، ص 66.

واستعمل بعض الشعراء الصعاليك لفظ السحابة بدلالة العموم، كما في قول قيس بن الحدادية:

تهتلُّ عن شنبِ اللثاثِ كأنَّها عسلٌ بماءِ سحابةٍ مبرودُ[1]

فالشاعر جاء على لفظ السحابة للإشارة إلى الماء النازل منها.

ومن ذلك، ما نظمه :

وقد يلتقي بعد الشتات أولو النوى ويسترجعُ الحيُّ السحابَ اللوامعَ[2]

والمقصود بالسحاب اللوامع، أي؛ ذات البروق المبشرة بنزول الماء.

ومنه ما نظمه أبو كبير الهذلي:

في رأسِ مشرفَةِ القذَالِ كأنَّمَا أُطُرُ السَّحابِ بها بياضُ المِجْدَلِ[3]

فهو يحدثنا بأنه كان ربيئة لقومه في رأس هضبة فوصفها لنا وصفًا رائعًا وصورها وشبهها ومن فوقها السحاب الأبيض كما القصر الأبيض. ولم يحدد الشاعر طبيعة هذا القصر وإنما جاء بالتشبيه فقط.

- الغَمام: وهو لغةً: "غيمٌ مغمَّمٌ: كثير الماء. والغَمامة بالفتح: السَّحابة، والجمع غَمام وغَمائِم. وقد أغمَّت السماء أي؛ تغيَّرت. وحَبُّ الغَمام: البَرَد. وسحابٌ أغمٌّ: لا فُرجة فيه"[4]. وفي وصفه قال الثعالبي: "فإذا تَغَيَّرَتْ له السّماء، فَهُوَ الغَمَامُ"[5].

1 - حاتم صالح الضامن، المستدرك على دواوين الشعراء، ط1، عالم الكتب للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت، 1999م، ص 12.

2 - حاتم صالح الضامن، "شعر قيس بن الحدادية"، مجلة المورد، بغداد، 1979م، المجلد الثامن، العدد (9)، ص 211.

3 - ديوان الهذليين، تحقيق: أحمد الزين؛ محمود أبو الوفا، دار الكتب المصرية، القاهرة، 1965م، ج2، ص 96.

4 - ابن منظور، لسان العرب، مادة (غَمَمَ).

5 - أحمد بن عبدالوهاب النويري، نهاية الأرب في فنون الأدب، ج1، ص 72.

-

ومن ذلك، قال أبو صخر الهذلي في الغزل متحسِّرًا على لذَّة العيش التي ضاعت:

لنا مثلُ ما كُنَّا إذا الحيُّ جيرةٌ سَقَى ذلكَ العَيشَ الغمامُ اللوامِعُ[1]

استعمل الشاعر الفعل (سقى) مع لفظ (الغمام) في توافق دلالي لغوي ظاهر، حيث إن الغمام في اللغة يفيد بأنه كثير الماء، ولو أن الشاعر استعمل لفظًا آخر من ألفاظ السحاب مكان الغمام- كاستعماله لفظ البرَّاقة مثلاً- لما توافق ذلك مع المعنى والدلالة؛ حيث إن البرَّاقة يعني السحاب الذي يبرق ولا يمطر، فلا يلائم موضعه استعمال الفعل (سقى) معه لأن دلالة الفعل مقترنة بالماء ضرورة.

أما قول الشاعر تأبَّط شرًّا في رثاء صديقه ورفيق دربه الشاعر الشنفرى، من قصيدة طويلة نظمها في رثائه:

على الشَّنفرى ساري الغَمامِ فرائحُ غزيرُ الكُلَى وَصَيِّبُ المَاءِ بَاكِرُ[2]

وظف الشاعر (الغمامَ) في سياق الدعاء واستنزال الرحمة على قبر صديقه الشنفرى، وهو توظيف إيجابي.

---

1 - الحسن بن الحسين السُّكَّري، شرح أشعار الهذليين، تحقيق: عبدالستَّار أحمد فرَّاج، مراجعة: محمود محمَّد شاكر، مطبعة المدني، القاهرة، ج2، ص 934.

2 - ديوان تأبط شرًّا وأخباره، ص 78. وانظر: ديوان الشنفرى، ص 95. الكُلى: كُلى الوادي: جوانبه، ولعل الشاعر يقصد بها غزارة الماء في السحاب.

- العارض: وهو من الجذر اللغوي (عَرَضَ) ومن معانيه في اللغة: "العارض: السَّحاب الذي يعترض في أفق السماء، وقيل: العرض ما سدَّ الأفق، والجمع عروض. والعارض: السحاب المطل يعترض في الأفق، ومنه قوله تعالى: ﴿فَلَمَّا رَأَوْهُ عَارِضًا مُسْتَقْبِلَ أَوْدِيَتِهِمْ قَالُوا هَذَا عَارِضٌ مُمْطِرُنَا﴾[1]، أي: قالوا هذا الذي وعدنا به سحاب فيه الغيث، فقال الله تعالى: ﴿بَلْ هُوَ مَا اسْتَعْجَلْتُمْ بِهِ رِيحٌ فِيهَا عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾[2]، وقيل: أي: ممطر لنا؛ لأنه معرفة لا يجوز أن يكون صفة لعارض وهو نكرة، والعرب إنما تفعل مثل هذا في الأسماء المشتقة من الأفعال دون غيرها"[3].

والسحاب العارض كما حدده الثعالبي: "فإذا أَطَلَّ أظلَّ السّماءَ، فَهُوَ العَارِضُ"[4].

ومن الأمثلة على توظيف لفظ (العارض) في شعر الصعاليك، ما نظمه أبو كبير الهذلي في سياق المدح في وصف وجه الشاعر المعاصر له تأبَّط شرًّا:

وإذا نظرتَ إلى أسرَّةِ وجههِ بَرقتْ كبرقِ العَارِضِ المُتَهَلِّلِ[5]

شرح التبريزيُّ هذا البيت بما نصُّهُ: "أسرة وَجهه أَي؛ خطوط جَبهته، والعارض من السَّحَاب مَا يعرض فِي جَانب السَّمَاء والمتهلل المتلألئ بالبرق. يَقُول: إِذا نظرت فِي وَجهه رَأَيْت أسارير وَجهه تشرقُ إشراقَ السَّحَاب المتهلِّلِ بالبرق"[6].

وظف الشاعر لفظ العارض ضمن حقله الدلالي الموافق لسياق المدح. ويلاحظ فيما وقفت عليه من قصائد الشعراء الصعاليك ندرة استعمال هذا اللفظ قياسًا إلى تفاوت استعمالاتهم لألفاظ مختلفة من المعجم المائي بين الندرة والقلة والكثرة.

---

1 - الأحقاف: 24.
2 - الأحقاف: 24.
3 - ابن منظور، لسان العرب، مادة (عَرَضَ).
4 - عبدالملك الثعالبي، فقه اللغة وأسرار العربية، ص 302.
5 - ديوان الهذليين، ج2، ص 94. المتهلل: المشرق.
6 - يحيى بن علي بن محمد الشيباني التبريزي، شرح ديوان الحماسة، د.ط، دار القلم، بيروت، لا، تا، ص 21.

- **النَّجَـاء: ورد في مقـاييس اللغـة لابـن فـارس: "وَمِـنَ الْبَـابِ النَّجْـوُ: السَّـحَابُ، وَالْجَمْـعُ النِّجَـاءُ؛ وَهُـوَ مِـنَ انْكِشَـافِهِ لِأَنَّـهُ لَا يَثْبُـتُ"[1]. و"النَّجَـاء: جمـع نَجـو وهـو السـحاب أوَّل مـا ينشـأ"[2]. وهـو : "السـحاب الـذي هـراقَ مـاءَهُ ثـمَّ مضى-"[3]. والنجـاء في لسـان العـرب "فُسِّرَ- بالسـحاب الكثـير المـاء، وفسر- بـالبروج، وقيـل في تفسـير النجـاء: السـحاب الـذي نشـأ في نـوء الحمـل، وقيـل: النجـاء: السـحاب الـذي هـراق مـاءه، واحـده نجـو. والنجـاء: السـحاب؛ لأنـه نوع منه، كما تقول: حشف التمر؛ لأنَّ الحشف نوع منه"[4]. ومن ذلك، قول تأبَّط شرًّا:**

به من (نجاء الدَّلْوِ) بيضٌ أقرَّها جُبَارٌ لصُمِّ الصَّخرِ فيه قَرَاقِرُ[5]

النجـاء المقصـودة في هـذا البيـت هـي السـحب الممطـرة، ولعلهـا السـحب التـي تـأتي في الصـيف فقـط فيكـون إمطارهـا غزيـرًا، حيـث إن (الـدلو) هـو تحديـد الفـترة الزمنيـة بحسـاب النجـوم والتـي توافـق الصـيف. كـما أن روايـة البيـت وردت عنـد الأصـمعي بإبـدال الـدلو بالصـيف في قولـه: "بـه مـن سـيول الصَّـيف"[6]، وعـلى هـذا يكـون التأويـل سليمًا. ويؤكد هذا الرأي أبو صخر الهذلي في وصف إحدى الرياض، بقوله:

---

1 - ابن فارس، معجم مقاييس اللغة، ج5، ص 398. مادة (نجو).
2 - ديوان القتَّال الكلابي، ص 91.
3 - ديوان تأبط شرًّا وأخباره، ص 95.
4 - ابن منظور، لسان العرب، مادة (حمل).
5 - ديوان تأبط شرًّا وأخباره، ص 95.
6 - ديوان تأبط شرًّا وأخباره، ص 95. (الحاشية).

فما روضةٌ بالحَزمِ طاهرةُ الثَّرى وَلَثْهَا (نجاء الدَّلـو) بعدَ الأبارِدِ

يمجُّ خُزَامَاها النَّدَى وعرَارَها بعَليَاء لم يُؤثر بها جَرسُ وَارِدِ[1]

أورد الشـاعر (نجـاء الـدلو) كـما فعـل الشـاعر تـأبَّط شرًّا، مـما يؤكـد لنـا أن (النجـاء) مقرونة بنوء (الدلو)، ونوء الدلو: "كوكبان مضيئان أحدهما شمالي والآخر جنوبي"[2].

فالشاعر يصـف روضـة في مكـان مُشرفٍ أصـابها مطـر الـولي -وهـو النـوع الثـاني مـن مراتـب المطر بعـد الوسـمي- مـن السـحاب المسـمى (النجـاء) المتعلـق بـزمن نـوء الـدلو، وهـو يريـد (الـدلو المـؤخر) لأن وقتـه بعـد ذهـاب الـبرد، وكـذلك أصـاب النـدى شـجرها وخزاماهـا بعـد الولي، وهي بمنطقة لـم يسمع بها صوت أحد.

ومن اقتران هذا النوع من السحب بالأنواء، قول القتَّال الكلابي:

(نجاءُ الثُّريَّا) كلَّما ناءَ كوكبٌ أَهَلَّ يَسحُّ المَاءَ فيه دُجُونُ[3]

قصـد الشـاعر بـ(نجاء الثريـا) صـنفًا خاصًّـا مـن السـحب التـي تـأتي بـالتوافق مـع فـترة زمنيـة محـددة يـتم تحديـدها بحسـابات الأنـواء والنجـوم، وأوضـحها الشـاعر هنـا بأنهـا مقرونـة بـنجم الثريـا، وهـو المعنـى نفسـه الـذي قصـده تـأبط شرًّا في قولـه (نجـاء الـدلو) عـلى اعتبـار أن الـدلو مـن أبـراج علـم التنجـيم عنـد العـرب قـديمًا، وإن معرفـة الشـعراء الصـعاليك بهـذه العلـوم يعـود إلى حصـافة سـكان البـوادي وفطنـتهم في الاسـتدلال بـالنجوم ومواضـعها لتحديـد الاتجاهـات والفصـول، ومـا إلى ذلـك لأن حيـاتهم في البوادي تحتم عليهم مثل هذا العلم.

---

1 - الحسن بن الحسين السكري، شرح أشعار الهذليين، ج2، ص 932.

2 - زكريـا بـن محمـد بـن محمـود القزوينـي، عجائـب المخلوقـات وغرائـب الموجـودات، لا . ط، مطبعة التقدم، مصر، د.ت، ص 49.

3 - ديـوان القتَّـال الكلابـي، ص 91. نـاء الكوكـب: سـقط ومـال، والعـرب تضـيف الأمطـار إلـى الساقط من الكواكب فكأن ناء معناه أهل بالنوء. دجون: مطر مطبق.

وقال أبو خراش الهذلي :

فسائل سبرةَ الشِّجعيَّ عنَّا غداة تخالُنا نَجواً جنيبا[1]

يشير السياق في هذا البيت إلى أن توظيف الشاعر للنجاء في قوله (نجوًا جنيبًا) توظيفٌ إيجابيٌّ، حيث إنه يصف شجاعته وبني قومه في المعارك، بخاصة إذا علمنا أن الشاعر نظم القصيدة مشبهًا وهو يمنُّ على أحد بني شجع بن عامر بن ليث عندما أطلق أسرهم، فشبه وقع السيوف والرماح عليهم بالمطر المصحوب برياح الجنوب.

من خلال ما وقفت عليه من أمثلة، وجدت التزام الشعراء الصعاليك بالمنطق في ربط تكوين الماء بالفترات الزمنية الخاصة به، حتى وإن كانت الصورة الشعرية بعيدة عن البيئة المائية، استعمل الشعراء مكونات المعجم المائي بأمانة معرفية تعطي للقارئ التصور السليم والدقيق عن حال البيئة الصحراوية في مواسم المطر، والمفردات المستعملة للتعبير عن كل حال منها.

- البَرَّاق: "من البرق، أي؛ إنَّهُ سحابٌ خُلَّب، يُبرِقُ ولا يُمطِر"[2]. ومن ذلك، قول تأبَّط شرًّا:

تُعطيك وعدَ أمانيٍّ تغرُّ به كالقطر مرّ على ضجنان برّاق[3]

بيّن شارح الديوان أن الشاعر استعمل لفظ (القطر) بمعنى السحاب في هذا البيت، كما أنه استعمل لفظًا آخر للسحاب في ضرب البيت وهو (البرَّاق)، فوظف السحاب في إشارة إلى الملامة والعتاب حول الشخصية المخصوصة بالنقد من حيث عدم صدقها في الإيفاء بوعودها، فأشبهت بذلك سحابة تبرق وترعد وتنبئ بهطول المطر، بيد أنها لا تمطر، وهي سحابة (البرَّاق) التي تعد من الخلَّب غير الممطر.

1 - ديوان الهذليين، ج2، ص 134. جنيبًا: أصابته ريح الجنوب.
2 - ديوان تأبط شرًّا وأخباره، ص 129.
3 - ديوان تأبط شرًّا وأخباره، ص 129.

- **الرَّباب: وهي من الجذر اللغوي (رَبَبَ) ومن معانيها في لسان العرب: "والسحاب يربُّ المطر، أي: يجمعه وينميه. والرَّباب - بالفتح: سحاب أبيض، وقيل هو السحاب، واحدته ربابة، وقيل: هو السحاب المتعلق الذي تراه كأنه دون السحاب. قال ابن بري: وهذا القول هو المعروف، وقد يكون أبيض، وقد يكون أسود. وفي حديث النبي صلى الله عليه وسلم: أنه نظر في الليلة التي أسري به إلى قصر مثل الربابة البيضاء. قال أبو عبيد: الرَّبابة: السحابة التي قد ركب بعضها بعضًا، وجمعها: رباب، وبها سمِّيت المرأة الرباب"[1]. وفي معجم ألفاظ المطر: "الرباب في الأصل يطلق على السحابة**
- **الرقيقة السوداء تكون دون الغيم في المطر، ولا يقال لها ربابة إلا في مطر، وقد أخذ هذا المعنى في الدلالة على المطر"[2]. ومن ذلك، قول عروة ابن الورد:**

إذا قلتُ استهلَّ على قديدٍ يَحُورُ ربابُهُ حَوْرَ الكسيرِ[3]

لعل الشاعر يقصد في توظيف اسم الرباب في البيت موافقة المعنى اللغوي للمفردة كما أشرنا إليها، فهو يصف مشي السحاب المتمهل البطيء وكأنه كائن حيٌّ يمشي على مهل، ويوافق هذا الوصف طبيعة سحب الرباب. ولم أقف فيما وقفت عليه من قصائد في شعر الصعاليك على لفظ الرباب في غير الموضع الذي ذكرته؛ حيث استعمل الشعراء الصعاليك ألفاظًا متنوعة للدلالة على السحاب وأحواله.

---

1 - **ابن منظور، لسان العرب، مادة (ربب).**

2 - **صلاح مهدي جابر، "معجم ألفاظ الماء"، مجلة أهل البيت، جامعة كربلاء، كلية الإدارة والاقتصاد، العدد (7)، لا تا، ص 194. نقلاً عن: سعيد بن أوس الأنصاري، كتاب المطر، ط2، المطبعة الكاثوليكية، بيروت، 1914م.**

3 - **ديوان عروة بن الورد، ص 63. قديد: موضع قريب من مكة.**

- **الطخا: وهي من الجذر اللغوي (طخا) ومن معانيه في لسان العرب: "طخا الليل طخوًا وطخوًّا: أظلم. والطخوة: السحابة الرقيقة. وليلة طخواء: مظلمة. والطخية والطخية عن كراع: الظلمة. وليلة طخياء: شديدة الظلمة قد وارى السحاب قمرها. وأصل الطخاء والطخية الظلمة والغيم... والطخية: السحابة الرقيقة. اللحياني: ما في السماء طُخية، بالضم، أي؛ شيء من سحاب، قال: وهو مثل الطخرور"[1]. ولعلها هي ما أسماها الثعالبي في قوله: "فإذا كانت قِطعًا مُسْتَدِقَّةً رِقاقًا، فهيَ الطَّخاريرُ (وَاحِدَتُهَا طُخْرُورٌ)"[2]. ومن ذلك، قول تأبَّط شرًّا:**

لَدُنْ مَطْلَعِ الشّعرَى قليلٍ أنيسهُ كأن الطّخَا في جانبيه مَعاجرُ[3]

وقد أشار شارح ديوان (علي ذو الفقار شاكر) تأبط شرًّا إلى أن (مطلع الشعرى) كناية عن أشد الحر، والطخا من الطخاء وهو السحاب الرقيق، والمعاجر جمع معجر وهو ثوبٌ تلفّه المرأة على رأسها، وهو العمامة يتعممها الرجل ويردُّ طرفها على وجهه ولا يجعل منها شيئًا تحت ذقنه. بيد أن التشبيه الذي قصده الشاعر ربما يجعلنا ننظر في تأويل البيت مرة ثانية، ليكون الشعرى جبلاً، والسحاب الخفيف يطوقه وكأنه عمامة.

إن استعمال الشعراء الصعاليك للفظ الطخا نادر في الشعر، وذلك قياسًا إلى استعمالهم ألفاظًا أخرى في الحقل الدلالي عينه، كما في لفظ السحابة على سبيل المثال، التي تصدرت هذا الفصل.

---

1 - **ابن منظور، لسان العرب، مادة (طخا).**
2 - **أحمد بن عبدالوهاب النويري، نهاية الأرب في فنون الأدب، ج1، ص 72.**
3 - **ديوان تأبط شرًا وأخباره، ص 95.**

- **الساريةُ: وهي من الجذر اللغوي (سَرَا) ومن معانيه في لسان العرب: "السارية من السحاب: التي تجيءُ ليلًا. والسارِية: السحابة التي تَسْري ليلًا، وجمعها: السَّواري. قال ابن سيده: و السارِيَة السحابة التي بين الغادِيَة والرائحة. وقال اللحياني: السارِيَة المَطْرة التي تكون بالليل. والسارية: السحابة تُمْطِر ليلًا، فاعِلة من السُّرى سَيرِ الليلِ، وهي من الصفات الغالبة"[1]. ومن ذلك، ما نظمه حاجز بن عوف الأزدي:**

لِمَنْ طَلَلٌ بِعثمَةَ أو حفَارِ عَفَتهُ الريحُ بعدكَ والسَّواري[2]

وما نظمه تأبَّط شرًّا مضيفًا السارية إلى الغمام:

على الشنفرى ساري الغَمامِ فَرائحُ غَزِيرُ الكُلَى وصيِّبُ الماءِ بَاكرُ[3]

وما نظمه القتَّال الكلابي:

سرى بديارِ تَغلِبَ بَينَ حَوضَى وبينَ أبارقِ الثمدين سَارِ[4]

حيث استعمل الشاعر الفعل (سرى) ثم الاسم (سارٍ) إشارة إلى السحاب دون التصريح به حقيقة، ودون الإتيان على ذكر الاسم المشتق من سرى لمعنى السحاب (سارية)، لدلالة السياق على المعنى المقصود حفاظًا على الإيجاز، وفتق الذهن للتشارك في التأويل مع النص الشعري، وهي أساليب يتبعها بعض الشعراء كي لا يكون النص واضحًا جليًّا في عمومه، إنما تأتي جماليته -بحسب رأيهم- في احتياجه للتفكر والإمعان من قبل جماعة المتلقين للوقوف على المعنى الحقيقي الذي يقصده الشاعر.

وإن استعمال الشعراء الصعاليك للفظ السارية كان قليلاً، قياسًا إلى الألفاظ التي اتصف استعمالها بالندرة لدى ورودها مرة واحدة لدى ما وقفت عليه من قصائد الشعراء الصعاليك.

---

1 - **ابن منظور، لسان العرب، مادة (سرا).**
2 - **أحمد محمد عبيد، شعراء جاهليون، المجمع الثقافي، أبو ظبي، مؤسسة الانتشار العربي، بيروت، 2001م، ص 167.**
3 - **ديوان تأبط شرًّا وأخباره، ص 78. وانظر: ديوان الشنفرى، ص 95.**
4 - **ديوان القتَّال الكلابي، ص 62. الثمد: الماء القليل.**

- **الديمة: وهي في معجم ألفاظ الماء: "المطر الذي يدوم مع سكون لا رعد فيه ولا برق، أقلها ثلث النهار وثلث الليل"[1]. والديمة "المطر يدوم اليوم أو اليومين والثلاثة من دامت السماء تدوم ديمًا ودومًا، وأصل الديم السكون، وأصل الديم من الدوم، فاقلبت العين (الواو) ياء لكسرة قبلها، فقالوا: دوم. يدوم على القياس ويديم على القلب حتى كثر وشاع"[2]. ومن ذلك، قول تأبَّط شرًّا:**

فإذا تقومُ فَصَعْدَةٌ في رَمْلَةٍ لَبِدَتْ بِرَيِّقِ دِيمَةٍ لم تُغدِقِ[3]

أراد الشاعر بالصعدة القناة، والصعدةُ هي القناة التي تنبت مستوية فلا تحتاج إلى تثقيف، والشاعر هنا يصف المرأة بأنها ممشوقة القوام كأنها قناة رمحٍ مستقيمة ممشوقة القد، وهو معنى يكثر وروده لدى الشعراء. وقوله: (في رملةٍ لبدت...) أي؛ أن القناة نبتت في أرض روتها ديمة -سحابة- ليست بالشديدة المغدقة التي تغرق الأرض وتسيل بها. فهي مروية على مهل.

على أهمية الديمة في المعجم المائي إلا أن استعمالها اتصف بالندرة لدى ما وقفت عليه من أمثلة لدى ما وقفت عليه من قصائد الشعراء الصعاليك.

- **العماء: وهو لغةً: "العماء ممدود: السحاب المرتفع، وقيل: الكثيف؛ قال أبو زيد: هو شبه الدخان يركب رؤوس الجبال. قال أبو عبيد: العماء في كلام العرب السحاب. والعماءة: السحابة الكثيفة المطبقة، قال: وقال بعضهم هو الذي هراق ماءه ولم يتقطع تقطع الجفل"[4]. وهو عند الثعالبي في أسرار العربية: "أرفع السحاب في**

---

1 - صلاح مهدي جابر، **"معجم ألفاظ الماء"، مجلة أهل البيت، العدد (7)، ص 194. نقلاً عن: سعيد بن أوس الأنصاري، كتاب المطر، ص 102.**

2 - **سعيد بن أوس الأنصاري، كتاب المطر، ص 102.**

3 - **ديوان تأبط شرًا وأخباره، ص 146. بريّق: الريّق: أول الشيء، وريّق المطر: أوله. انظر: ابن منظور، لسان العرب، مادة (ريق).**

4 **ابن منظور، لسان العرب، مادة (عمي).**

- السماء"[1]. ومن مواضع توظيف هذا المسمى في شعر الصعاليك قول حبيب الأعلم الهذلي[2]:

يُغرونَ صَاحِبَهمْ بنا جهدًا وأَغرى غيرَ كاذبْ
أغرى أبا وهبٍ ليُعـ ـجِـزَهُم ومَدُّوا بالحَلائبْ
مَدَّ المُجلجلِ ذي العما ءِ إذا يُراحُ مِنَ الجَنائبْ[3]

ونظم الشاعر هذه القصيدة بعد أن لحق به قوم كانوا على نبع ماء وردَ إليها خلسةً، ففرَّ الشاعر هاربًا على قدميه وكان معروفًا بسرعته في العدو، فلم يستطيعوا اللحاق به، فأغروا رجلاً يقال له أبا وهب ليجري في أثره، لكنه لم يستطع إدراكه، ولما فرغ الأعلم من مراقبتهم نظم قصيدة منها الأبيات السابقة.

فهو يصف سرعة أبا وهب في أثره حيث انطلق وراءه مسرعًا وكأنه سحابةٌ مرتفعة مجلجلة دفعتها ريح الجنوب نحو الشمال. و"المجلجل: الذي له جلجلة، والجلجلة في السحاب، والجلجلة في الرعد. والجلجلة الصوت الصافي. والمعنى على السحاب. والسيل في المطر، والعماء: السحاب الرقيق، ويُراح: تصيبه الريحُ. الجنائب: جمع الجنوب"[4].

- الخال: "السحاب لا يخلف مطره، أو لا مطر فيه، والبرق"[5]. ومن ذلك، قول صخر الغي الهذلي[6]:

أَجَشَّ رِبَحْلاً لهُ هَيْدَبٌ يَرَفِّعُ للخالِ رَيْطًا كَشِيفَا[7]

---

1 - ديوان الهذليين، ج2، ص 78. وانظر: يوسف خليف، الشعراء الصعاليك في العصر الجاهلي، ص 219.
2 - وهو أخو الشاعر صخر الغي. انظر: ديوان الهذليين، ج2، ص 77.
3 - يوسف خليف، الشعراء الصعاليك في العصر الجاهلي، ص 219.
4 - ديوان الهذليين، ج2، ص 78.
5 - القاموس المحيط، مادة (خال).
6 - الحسن بن الحسين السكري، شرح أشعار الهذليين، ج1، ص 294.
7 - الحسن بن الحسين السكري، شرح أشعار الهذليين، ج1، ص 294. وورد البيت منسوبًا للشاعر الأعلم الهذلي في: يوسف خليف، الشعراء الصعاليك في العصر الجاهلي، ص 311.

نظم الشاعر هذا البيت في وصف الرعد، والأجش هو الصوت الشديد للرعد، و"الربحل: الضخم الطويل. والخال هنا: السحاب لا يخلف مطره أو البرق. والريط: جمع ريطة وهي الملاءة من نسج واحد وقطعة واحدة، أو كل ثوب لين رقيق"[1].

- الهيدب: وهو "السحاب المتدلِّي". وفي لسان العرب: "والهيدب: السحاب الذي يتدلَّى ويدنو مثل هدب القطيفة. وقيل: هيدب السحاب ذيله؛ وقيل: هو أن تراه يتسلسل في وجهه للودق، ينصب كأنه خيوط متصلة؛ الجوهري: هيدب السحاب ما تهدب منه إذا أراد الودق كأنه خيوط؛ وقال عبيد بن الأبرص:

دَانٍ مُسِفٍّ فُويقَ الأرضِ هَيدَبُهُ يَكادُ يَدفَعهُ مَن قامَ بالرَّاحِ

يصف الشاعر في هذا البيت السحاب كثير المطر، ولشدة قرب السحاب المتدلي يكاد الإنسان يدفعه عنه براحة يده.

- المزن: ورد في لسان العرب لابن منظور ما نصه: "والمزن: السحاب عامة... وقيل: المزنة السحابة البيضاء، والجمع مزن، والبرد حب المزن، وتكرر في الحديث ذكر المزن . قال ابن الأثير: المزن وهو الغيم والسحاب، واحدته مزنة، ومزينة تصغير مزنة وهي السحابة البيضاء، قال: ويكون تصغير مزنة. يقال: مزن في الأرض مزنة واحدة أي؛ سار عقبة واحدة، وما أحسن مزنته، وهو الاسم مثل حسوة وحسوة. والمزنة: المطرة"[2]. ومن ذلك، قول تأبَّط شرًّا:

ظَاعِنٌ بالحَزمِ حَتّى إِذا ما حَلَّ، حَلَّ الحَزمُ حَيث يَحُلُّ

غَيثُ مُزنٍ غامِرٌ حيثُ يُجدِي وَإِذا يَسطُو فَلَيثٌ أَبَلُّ[3]

وصفه بأنه مستعملٌ للحزم وآخذٌ به، ظاعنًا كان أو مقيمًا. "والظعن: ضد الْإِقَامَة، وَالْمعْنَى أَنه متصف بالحزم فِي جَمِيع شؤونه وأحواله حلاًّ وترحلاً. والمزن: جمع مزنة، وَهِي فِي الأَصْل السحابة الْبَيْضَاء، وَالْمرَاد السحابة فِيهَا المَاء لِأَن السَّحَاب الْأَبْيَض لَا مَاء فِيهِ. وغمره المَاء: علاهُ، ويجدي: يُعْطي الجدوى؛ وَهِي الْعَطِيَّة. ويسطو: يقهر

1 - يوسف خليف، الشعراء الصعاليك في العصر الجاهلي، ص 311. (الهامش).
2 - ابن منظور، لسان العرب، مادة (مزن). أبلُّ: المصمم الماضي في أمره.
3 - ديوان تأبط شرًّا وأخباره، ص 249. منهم من نسب الأبيات للشاعر الشنفرى، لكنها وردت في ديوانها فأثبتناها باسمه كما هي.

ويصول. وَاللَّيْث: الْأسد. والأَبَلُّ: المصمم الْمَاضِي على وَجهه لَا يُبَالِي مَا لَقِي. وَالْمعْنَى أَنه جواد كريم شُجَاع إِذا أعْطى أجزل الْعَطاء كالسحاب الَّذِي يغمر النَّاس بِكَثْرَة أمطاره، وَإِذا صال فكالأسد الهصور لَا يُبَالِي بالعدو"[1].

في البيت السابق توظيف دقيق للشاعر تأبط شرًّا يدل على دقته اللغوية في التوظيف، حيث إنه قال: "غيث مزن" في سياق وصف الممدوح بالكرم، ثم أتبعها بقوله (غامرٌ) إشارة إلى المطر المنهمر من السحب البيضاء التي لا يكون مطرها إلا خيراً، بَرَدًا أو ثلجًا أو ماءً نافعًا لا ضرر فيه، على عكس السحاب المطبق المظلم وما يحمله من غزارة مطر ربما تؤدي إلى السيول والفيضانات فيخرج المطر من دلالته الإيجابية إلى السلبية.

ومن ذلك، ما نظمه أبو صخر الهذلي في المدح:

حدتْ مُزْنَةٌ مِن حَضرموتَ مَريَّةٌ ضَجوجٍ لها منها مدرٌّ وحَالبُ[2]

شبه الشاعر السحابة بالناقة كثيرة اللبن. والمزنة هي السحابة البيضاء، والمريَّةُ هي الناقة الغزيرة الدرِّ، والضجوج أي؛ إنها تصدر ضجيجًا لدى حلبها. فإن التوظيف في هذا البيت توظيف إيجابي للفظ المزنة، حيث يؤكد الشاعر غزارة مياه السحابة.

من خلال الألفاظ الدالة على السحاب واستعمالاتها لدى ما وقفت عليه في قصائد أبرز الشعراء الصعاليك، وجدت حضور الألفاظ كان بحسب الترتيب الآتي: (السحابة، النجاء، السارية، المزن، الغمام، الهيدب، العارض، البرَّاق، الرباب، الطخا، الخال، الديمة، العماء).

1 - يحيى بن علي بن محمد التبريزي، شرح ديوان الحماسة، د.ط، دار القلم، بيروت، لا تا، ص 344.
2 - الحسن بن الحسين السكري، شرح أشعار الهذليين، ج2، ص 949.

المطلب الثاني: الألفاظ الدالة على الرعد

الرعدُ لغةً في لسان العرب: "والرعد: الصوت الذي يسمع من السحاب. وأرعد القوم وأبرقوا: أصابهم رعد وبرق. ورعدت السماء ترعد وترعد رعدا ورعودا وأرعدت: صوّتت للإمطار. وسحابة رعَّادة: كثيرة الرعد. وقال اللحياني: لقد أرعدنا أي: أصابنا رعد... وقال الأخفش: أهل البادية يزعمون أن الرعد هو صوت السحاب، والفقهاء يزعمون أنه ملك. ورعدت المرأة وأرعدت: تحسنت وتعرضت. ورعد لي بالقول يرعد رعدًا وأرعد: تهدد وأوعد. وإذا أوعد الرجل، قيل: أرعد وأبرق ورعد وبرق. ولا يجيز أرعد ولا أبرق في الوعيد ولا السماء"[1].

ويعد كل من الرعد والبرق "من مدبرات الآثار العلوية الظاهرة في الجو"[2]، أي؛ يندرجان ضمن حقل العلويات في الألفاظ الدالة على مكونات الماء، وكلاهما يلحقان المعجم المائي من حيث الدلالة. وقد وظف الشعراء الصعاليك الرعد في قصائدهم ضمن وظيفتين اثنتين، وهما على النحو الآتي:

1- التوظيف الحسيّ: إن الصفة الحسية الوحيدة للرعد متعلقة بالصوت الناتج عنه، وهي ما يمكن للإنسان إدراكه بحاسة السمع دون غيرها، ولهذا فلم يجد الشعراء الصعاليك إلا هذه الصفة الحسية لتوظيفها في أشعارهم، فأبدعوا في وصفها وتفننوا في تسمية صوت الرعد بأسماء مختلفة، وقد ورد منها في شعر الصعاليك ما يأتي من الأسماء بتوظيفات مختلفة:

- **الخَوَاتُ: وهو لغةً صوتُ الرعد، "خاتَه يَخُوتُه خَوْتًا طَرَده، والخَواتُ والخَواتةُ الصَّوْتُ، وخصَّ أَبو حنيفة به صَوْتَ الرَّعدَ والسَّيل"[3].**

---

1 - **ابن منظور، لسان العرب، مادة (رعد).**
2 - **أحمد بن عبدالوهاب النويري، نهاية الأرب في فنون الأدب، ج1، ص 60.**
3 - **ابن منظور، لسان العرب، مادة (خوت).**

وقد وظف الشاعر عروة بن الورد هذا اللفظ في وصف قوة صوت الرعد مشبهًا إياه بزئير الأسد، فقال:

كأنَّ خَوَاتَ الرَّعدِ رِزُّ زَئيرِهِ منَ اللَّاءِ يَسْكُنَّ العَرينَ بَعِثَّرا[1]

- الهَزِيْمُ: وهو لغةً صوتُ الرَّعدِ، "الهَزِيمُ والمُتَهزم: نقول غيثٌ هَزيمٌ: أي؛ لا يستمسك كأنَّه مُنهزمٌ من سَحَابِهِ، وهو المطرُ الذي لرعدِهِ صَوتٌ، وأصلُ الهزيمِ هو صوتُ الرَّعدِ"[2].

ومن ذلك، قول القتَّال الكلابي في وصف شدة صوت الرعد:

سمَاكِيُّ تلألأ في ذُرَاهُ هَزِيْمُ الرَّعدِ رَيَّانَ القَرَارِ[3]

وقد ربط الشاعر في البيت بين صوت الرعد وانهمار المطر الغزير، ولم يكتفِ بالتركيز على حال واحدة من أحوال تكوين المطر. كما أنه وصف المطر المنهمر المصاحب لهزيم الرعد بأنه ريَّان القرار حافل بالماء، أي؛ سحاب ممطر، وهو توظيف إيجابي على الرغم مما يحمله صوت الرعد من تهديد ووعيد، كما سيمر معنا فيما يأتي.

- الأَجَشُّ: لغةً هو صوت الرعد إذا اشتدَّ ويدلُّ على غزارة المطر القادم، وقد ورد ذلك لدى النويري فيما نصه: "فإذا كَانَ لِرَعْدِهِ صَوت، فَهُوَ الهَزِيمُ، فإذا اشتَدَّ صَوْتُ رَعْدِهِ، فَهُوَ الأَجَشُّ"[4]. ومن ذلك، ما نظمه الشاعر صخر الغيِّ:

أَجَشَّ رِبَحْلاً لهُ هَيْدَبٌ يَرَفِّعُ للخالِ رَيْطاً كَشِيفَا [5]

ورد في شرح البيت ما نصه: "يعني أَن البرق إذ لَمَع أَضاء السحابَ فتراه أَبيض فكأَنه كشَف عن رَيْطٍ، يقال: تكشَّف البرق إذا ملأَ السماء"[6].

1 - ديوان عروة بن الورد، ص 65.
2 - صلاح مهدي جابر، "معجم ألفاظ المطر"، مجلة أهل البيت، العدد (7)، ص 209.
3 - ديوان القتَّال الكلابي، ص 62.
4 - أحمد بن عبد الوهاب بن محمد بن عبد الدائم النويري، نهاية الأرب في فنون الأدب، ط1، دار الكتب والوثائق القومية، القاهرة، 1423 هـ، ج1، ص 72.
5 - الحسن بن الحسين السكري، شرح أشعار الهذليين، ج1، ص 294.
6 - ابن منظور، لسان العرب، مادة (كشف).

فالشاعر استعمل اسمًا دقيقًا في الدلالة على صوت الرعد، فهو يريد أن يوضح أن صوت الرعد المقصود في البيت ليس صوتًا عاديًّا فهو ليس هزيمًا مثلاً، بل إنه أعلى درجة منه، فهو الصوت الأجش، وهذا الصوت يوحي بغزارة المطر المرتقب من السحب ذات الصوت الأجش، فجاء توظيف الشاعر موفقًا ملائمًا للسياق.

- الجَلْجَلَة: وهي عند الثعالبي: "الرعدُ إذا صَوتُهُ بَلَغَ النهايَة"[1]، ومن خواص قوة الصوت أنها تدل على الكثرة. ومن ذلك، ما نظمه صخر الغي في أبيات يذكر فيها أبا المثلم وقومه الذين كانوا بين موضعين هما: (عكوتين) و(بس)، مكنِّيًا بالرعد عن كثرتهم:

كأنَّهم بينَ عكوَتَينِ إلى أَكنافِ بَسٍّ مُجَلْجَلِ بَرَدُ[2]

فهو يشبههم بالسحاب الممطر ذي الرعد، ومجلجل كناية عن الكثرة. وإن السياق الذي ورد فيه استعمال صوت الرعد هنا سياق إيجابي حيث إن وصف كثرة أعداد القوم إشارة إلى القوة وموضع للفخر والمدح.

2- التوظيف الدلالي: وقد أشار ابن منظور إلى هذا بما نصه: "ورعد لي بالقول يرعد رعدًا وأرعد: تهدد وأوعد. وإذا أوعد الرجل، قيل: أرعد وأبرق ورعد وبرق"[3]، فقد ورد هذا الاستعمال في قول حاجز بن عوف الأزدي:

وإني لمن إرعادكمْ وبُروقكم وإيعادكم بالقتل صمٌّ مسامعي[4]

يبدو الشاعر غير مكترث بكل ما يسمعه من تهديد ووعيد وإنذار بالقتل من أعدائه، وقد شبه غضبهم وتهديدهم بالرعد والبرق، وأظهر أنه يصم مسامعه عن سماع هذه التهديدات، لكنه لم يتطرق إلى حاسة البصر- المتعلقة بالبرق، وهذا يحمل إشارة دلالية إلى أنه وإن صم مسامعه فإنه سيظل يقظًا محتاطًا لأي محاولة غدر منهم.

1 - عبدالملك الثعالبي، فقه اللغة وأسرار العربية، ص 285.
2 - الحسن بن الحسين السكري، شرح أشعار الهذليين، ج1، ص 259.
3 - ابن منظور، لسان العرب، مادة (رعد).
4 - أحمد محمد عبيد، شعراء جاهليون، ص 176.

ومن ذلك، ما نظمه أبو صخر الهذلي:

فلمَّا تغشَّى نقريات سَحيلِهِ ودافعهُ من شامه بالرواجبِ

ألحَّ رجيفًا يهربُ الوحشُ حسَّه كلحة حوم المنهل المتجاوبِ

رفعتُ له صَوتي وأيقنتُ أنَّه إزامل نجم خاله غير كاذبِ[1]

يصف الشاعر كثافة وكثرة السحاب الذي في صوته رعد يهرب منه الوحش من شدته، وشبه صوت الرعد بصوت الإبل الكثيرة حينما ترد المنهل واستعار الرعد للإنسان في "ألحَّ رجيفًا" فلما سمع أبو صخر صوت الرعد أنصت له وقال "رفعت له صوتي" تعبير قوي عن مدى استجابته له، وأيقن أنه أصوات نوء نجم سحابه غير كاذب، أي؛ مخيل بالمطر. وهذا دليل على استدلال الهذليين للمطر بصوت الرعد.

ورد للرعد أربعة أسماء (الخوات، الهزيم، الأجش، الجلجلة) تدل على الصفة الحسية الوحيدة الخاصة به وهي الصوت. وقد وظف الشعراء الرعد ضمن دلالتين اثنتين، الأولى حسية تتعلق بصوت الرعد المصاحب للمطر، والثانية دلالية تتعلق بالتهديد والوعيد كما بيّنَّا.

المطلب الثالث: الألفاظ الدالة على البرق

البرق لغةً من الجذر اللغوي (بَرَقَ) وجاء في مقاييس اللغة لابن فارس: "الْبَاءُ وَالرَّاءُ وَالْقَافُ أَصْلَانِ تَتَفَرَّعُ الْفُرُوعُ مِنْهُمَا: أَحَدُهُمَا لَمَعَانُ الشَّيْءِ؛ وَالْآخَرُ اجْتِمَاعُ السَّوَادِ وَالْبَيَاضِ فِي الشَّيْءِ. وَمَا بَعْدَ ذَلِكَ فَكُلُّهُ مَجَازٌ وَمَحْمُولٌ عَلَى هَذَيْنِ الْأَصْلَيْنِ. أَمَّا الْأَوَّلُ فَقَالَ الْخَلِيلُ: الْبَرْقُ وَمِيضُ السَّحَابِ، يُقَالُ: بَرَقَ السَّحَابُ بَرْقًا وَبَرِيقًا. قَالَ: وَأَبْرَقَ لُغَةٌ. قَالَ بَعْضُهُمْ: يُقَالُ: بَرْقَةٌ لِلْمَرَّةِ الْوَاحِدَةِ: إِذَا بَرَقَ، وَبُرْقَةٌ بِالضَّمِّ: إِذَا أَرَدْتَ الْمِقْدَارَ مِنَ الْبَرْقِ. وَيُقَالُ: لَا أَفْعَلُهُ مَا بَرَقَ فِي السَّمَاءِ نَجْمٌ، أَيْ: مَا طَلَعَ. وَأَتَانَا عِنْدَ مَبْرَقِ الصُّبْحِ، أَيْ: حِينَ بَرَقَ"[2].

1 - الحسن بن الحسين السكري، شرح أشعار الهذليين، ج2، ص 922.
2 - ابن فارس، معجم مقاييس اللغة، ج1، ص 221. مادة (برق).

وجاء من معانيه في لسان العرب: "قال ابن عباس: البرق سوطٌ من نورٍ يزجرُ به الملكُ السَّحابَ. والبرق: واحد بروق السحاب. والبرق الذي يلمع في الغيم، وجمعه بروق. وبرقت السماء تبرق برقا وأبرقت: جاءت ببرق. والبرقة: المقدار من البرق... ومرت بنا الليلة سحابة برَّاقة وبارقة، أي؛ سحابة ذات برق، عن اللحياني. وأبرق القوم: دخلوا في البرق، وأبرقوا البرق: رأوه"[1].

استعمل الشعراء الصعاليك عنصر البرق ضمن وظيفتين اثنتين، أولى حسية، وثانية دلالية، وهما على النحو الآتي:

1- التوظيف الحسي: أي؛ حين يستعمل الشعراء الصعاليك لفظ البرق في وصف السحاب وتبيين أحواله. وتجدر الإشارة هنا إلى استعمالهم ألفاظًا محددة للدلالة على البرق وأنواعه وأحواله، وجاءت في معظمها تحاكي الصفة الحسية الوحيدة للبرق وهي الإضاءة، وهي صفة حسية بصرية لا سمعية هي على النحو الآتي:

- الخال: السحاب لا يخلف مطره، أو البرق[2]. ومن أمثلة هذا الاستعمال قول الشاعر صخر الغي:

أَجَشَّ رِبَحْلاً لهُ هَيْدَبٌ يُرَفِّعُ للخالِ رَيْطاً كَشِيفَا[3]

حيث إن من خواص البرق الإضاءة، وتختص الإضاءة بالكشف عن كل ما أخفته الظلمة، فقد ربط الشاعر بين هاتين الخاصيتين معًا، في توظيف مناسب للبرق وخواصه الفيزيائية في إضاءة الأفق.

- المُستَطير: وهو لغةً: "التطاير والاستطارة: التفرق. واستطار الغبار: إذا انتشر في الهواء. وغبار طيَّار ومستطير: منتشر. وصبح مستطير: ساطع منتشر. وكذلك البرق والشيب والشر"[4]. كما في قول عروة بن الورد:

1 - ابن منظور، لسان العرب، مادة (برق).
2 - انظر معناها في حاشية البيت نفسه في: يوسف خليف، الشعراء الصعاليك في العصر الجاهلي، ص 311.
3 - الحسن بن الحسين السكري، شرح أشعار الهذليين، ج1، ص 294.
4 - ابن منظور، لسان العرب، مادة (طير).

أرِقْتُ وصُحْبَتي بِمضِيقِ عَمْقٍ لِبَرْقٍ في تِهامَةَ مُستَطيرِ[1]

وظف الشاعر خواص البرق في وصف الوحدة التي عاناها في رحلته التي قطعها ليلاً عبر مضيق بلدة (عمق) من نواحي المدينة، فالتوظيف في هذا الموضع إخباري حيث يخبر الشاعر عن رحلته الشاقة وموضعها وحال لمعان البرق في السماء في أثناء هذه الرحلة.

- المتألِّق: وهو لغة: "وألقَ البرقُ يألقُ ألقًا وتألَّقَ وائتَلَقَ يَأتَلِقُ ائتلاقًا: لمعَ وأضاء"[2]. قال أبو صخر الهذلي مشبهًا وجه محبوبته بالبرق المتألق:

بل قد عجبتُ لبارقٍ متألقٍ بعد الهدوء خفا ببرقٍ عاملِ[3]

يصف الشاعر حُسن محبوبته متعجبًا حيث شبه بالبارق المتألق، وبحسب توظيف الشاعر فإن القاسم المشترك بين المحبوبة والبرق هو البياض واللمعان، وهو أراد أن يشبه جمالها بجمال البرق عندهم بمنزلة الضوء الذي ينير لهم الصحراء بانفساحها وظلامها.

وتجدر الإشارة إلى أن توظيف لمعان البرق وإنارته في الجانب الإيجابي جاء في مواضع متعددة في الشعر، ومن ذلك، ما نظمه أبو كبير الهذلي في وصف وجه الشاعر تأبَّط شرًّا:

وإذا نظرتَ إلى أسرَّةِ وجههِ بَرقتْ كبرقِ العَارِضِ المُتَهَلِلِ[4]

حيث يقول الشاعر: إنك إذا لحظت وجه الممدوح أضاء لك كما يضيء البرق السحاب المعترض، فهو شبه وضاءة وجمال تأبط شرًّا وبياض وجهه بالبرق، ولعلَّ هذا الوصف قبل أن يتصعلك؛ لأن الصعلكة تذهب بهذه الصفات التي رآها نسبة لتعرضه للشمس كثيراً في الصحراء والصعاليك يغلب على لونهم السواد، وربما كانت في سياق تهكمه على سبيل المداعبة.

---

1 - ديوان عروة بن الورد، ص 62.
2 - ابن منظور، لسان العرب، مادة (ألق).
3 - خالد الحسن الخزينة، الأنواء في أشعار الهذليين: دراسة وصفية فنية تحليلية، رسالة مقدمة لنيل درجة الماجستير في اللغة العربية وآدابها، قسم اللغة العربية، كلية الآداب، جامعة الخرطوم، السودان، 2005م، ص 184.
4 - ديوان الهذليين، ج2، ص 94.

2- التوظيف الدلالي: وظف بعض الشعراء الصعاليك دلالة لفظ البرق في الجوانب المعنوية، فجعلوا الدلالة محصورة في جانب واحد فقط، وهو:

- التهديد والوعيد: وهو ما مثلنا له في المطلب السابق الخاص بالرعد، ومن أمثلة ذلك قول حاجز بن عوف الأزدي :

وإني لمن إرعادكمْ وبُروقكم وإيعادكم بالقتل صمٌّ مسامعي[1]

صرّح الشاعر بأن الإرعاد والإبرَّاقة يوازي الإيعاد بالقتل، أي؛ يتوعدونه ويهددونه بقتلهم إياه، وهذا التهديد يشبه صوت الرعد في غضبه وهيجانه، وسياط البرق وهي تجلد الأرض كناية عن الحدة والغضب . ونلاحظ، من خلال ما وقفت عليه في استعمال البرق، في حقل العلويات أن الشعراء استندوا إلى صفات هذا البرق في التمثيل والتصوير والتشبيه، فتارة، في بريقه، وأخرى، في صوته.

- خَلْفُ الوعد: ويستعمل البرقُ الخلَّبُ في الإشارة إلى خلفِ الوعد في أمثال العرب، ومما جاء في العقد الفريد: "منه قولهم: ما وعده إلا برق خلّب، وهو الذي لا مطر معه. ومنه ما وعده إلا وعد عرقوب. وهو رجل من العماليق"[2]. ومن هذا عند الشعراء الصعاليك استعمال الشاعر تأبَّط شرًّا لفظ (برَّاق) للسحاب الذي يبرق ولا يمطر، أي؛ السحاب الخلَّب، في قوله:

تُعطيكَ وعدَ أمانيٍّ تغرُّ به كالقَطرِ مرّ على ضجنان بَرَّاقِ[3]

وظف الشاعر لفظ البرق (برَّاق) في سياق سلبي يمثل لإخلاف الوعد وعدم الالتزام بإيفائها، فأشبه بذلك السحابة التي تمر وتبرق دون أن تمطر، فيستبشر الناس بها في بداية الأمر، ثم إنهم يفقدون أمل إمطارها بعد مرورها عنهم.

---

1 - أحمد محمد عبيد، شعراء جاهليون، ص 176.

2 - أحمد بن محمد بن عبد ربه الأندلسي، العقد الفريد، ط1، دار الكتب العلمية، بيروت، 1404هـ، ج3، ص 25.

3 - ديوان تأبط شرًّا وأخباره، ص 129. ضجنان: جُبيل بناحية مكة. وقال الأزهري: هو جبل بناحية تهامة.

- **اللمعان والإنارة: وهي دلالة مشتقة من المعنى اللغوي للبرق المستفاد من بريقه ولمعانه في السماء، والمعنى الوصفي للبرق في شكله المضيء الذي يشق عباب السماء إلى الأرض بشكل أفقي، كما في قول تأبط شرًّا:**

وإنِّي ولا عِلْمَ لأَعْلَمُ أَنَّني سَألقَى سنَانَ المَوتِ يَبرقُ أَصلَعَا[1]

استعمل الشاعر الفعل (يبرق) الملازم لدلالةً البرق، كناية عن اللمعان، ولعلَّ استعارة دلالة لفظ (البرق) للسيف يكثر في الأشعار التي تصف الحروب والوقائع بعامة، وفي أشعار الفرسان بخاصة.

ومما نظمه تأبَّط شرًّا في وصف السيوف التي تتضارب في ساح الحرب قائلاً:

كل ماضٍ قد تردى بماضٍ كسنا البرقِ إذا ما يسلّ[2]

أي: سيفٌ ماضٍ حادٌّ[3]، حذف الشاعر المشبه وأبقى على صفته، والشاعر يشبه السيوف المتضاربة تحت أشعة الشمس وكأنها سنا البرق إذا ما أسلته السماء على الأرض، وهي صورة فنية إبداعية استعار الشاعر فيها دلالة اللمعان من البرق والسيف معًا، ووظفها في وصف البرق، مشبهًا السماء بالفارس الذي يستل البرق سيفًا دون التصريح بذلك.

ومن هذا التشبيه ما نظمه أبو صخر الهذلي وهو يرثي أخاه متمنيًّا له السقيا ومشبهًا حركة السيوف الهندية ولمعانها في المعركة بالبرق:

كأنَّ سيوفَ الهند تخفض تارةً وترفع بين العسكر المُتقاربِ

سَنَا لَوحُهُ لمَّا استقلَّتْ عرُوضُهُ وأحيا ببرقٍ في تِهامَةَ واصِبِ[4]

---

1 - **ديوان تأبط شرًّا وأخباره، ص 118.**
2 - **ديوان تأبط شرًّا وأخباره، ص 249.**
3 - **ابن منظور، لسان العرب، مادة (مضى).**
4 - **الحسن بن الحسين السكري، شرح أشعار الهذليين، ج2، 919.**

فهو يصف لنا السيوف الهندية التي تتحرك في المعركة ارتفاعًا وانخفاضًا بين العساكر المتقاربين المتحاربين ولمعانها بالبرق اللامع في السحاب الظاهر.

ورد للبرق ثلاثة أسماء (الخال، المستطير، المتألق) تدل على الصفة الحسية الخاصة به وهي الرؤية البصرية. وقد وظف الشعراء البرق ضمن أربع دلالات وهي: (التهديد والوعيد، إخلاف الوعد، اللمعان والإنارة). واتجهت الدلالة إلى السلبية حينًا وإلى الإيجابية حينًا آخر، فكانت السلبية في الاستعمال واضحة في سياق التهديد والوعيد، وقرنها الشاعر بالرعد في هذه الدلالة، كما جاءت الدلالة السلبية في وصف سلوك غير حميد وهو إخلاف الوعد. أما الدلالة الإيجابية فكانت في مواضع عدة؛ كما في الوصف الحسي- لحال البرق الموافق للمطر والخير، والكناية الدالة على اللمعان والإنارة، وتجدر الإشارة هنا إلى أن مواضع اللمعان والإنارة اقتصرت على وصف أحوال المعتركات الحربية وما تتضمنه من قتل، وخصوصًا في وصف السيوف الحادة المصقولة اللامعة كأنها، وهي تهوي على الأعداء، سيوفٌ هندية.

المطلب الرابع: الألفاظ الدالة على الماء النازل من السماء

يسمى الماء النازل من السماء مطرًا؛ وورد هذا المعنى في لسان العرب بما نصه: "المطر: الماء المنسكب من السماء، والمطر ماء السحاب، والجمع: أمطار وأكثر ما يجيء في الشعر، وقد مطرتهم السماء تمطرهم مطرًا، وأمطرتهم: أصابتهم بالمطر"[1].

واصطلاحًا: هو الهبة السماوية بنزول الماء من السماء إلى الأرض لاستمرار الحياة ونماء الخيرات، وقد ورد ذكر ماء السحاب بكثرة في القرآن الكريم، قال تعالى في محكم التنزيل: ﴿وينزِّلُ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَيُحيي بِهِ الأرضَ بَعدَ مَوتِها﴾[2]. وقوله تعالى: ﴿وأنزلنا مِنَ السَّماءِ مَاءً طَهُورا﴾[3]. وقوله تعالى: ﴿وهُوَ الذي يُنزلُ الغَيثَ مِنْ بَعدِ مَا قَنَطُوا ويَنْشُرُ رَحْمَتَه﴾[4].

وأكثر العرب من استعمال ألفاظ الماء النازل من السماء في أمثالهم، واستعملوا لذلك لفظ المطر في دلالة عامة على جميع أحوال الماء النازل وصفاته، فقالوا لمن خاف في رخاء ورغد فظن أن الناس كلهم في مثل حاله: "يحسب الممطور أن كلًّا مطر"[5]، والمتتبع لألفاظ المطر في الأمثال يجد لها حضورًا واضحًا.

وذكر العرب للمطر في أمثالهم نابعٌ من أهميته لديهم؛ فهو مبعث الحياة الخصب وبه حصول معايشهم من رعي وسقي وزرع، لذلك عرفوا خصائصه وأحواله واستدلوا على نزوله بالرياح وألوان السحب، وأنواع البرق وأصوات الرعد وصار لديهم علم كثير عنه، وقد ورد في كلامهم المنثور والمنظوم ما يشير إلي رسوخ هذا العلم، وعمق هذه المعرفته التي نتجت عن طول تجاربهم اليومية المستمرة.

---

1 - ابن منظور، لسان العرب، مادة (مطر).
2 - الروم: 24.
3 - الفرقان: 48.
4 - الشورى: 28.
5 - أبو الفضل أحمد بن محمد بن أحمد بن إبراهيم النيسابوري الميداني، مجمع الأمثال، تحقيق: محمد محيي الدين عبدالحميد، مطبعة السنة المحمدية، 1955م، ج2، ص 417.

"للمطر مظهر إبداعي متميز فى الشعر الجاهلي، فهو مصدر الخصب والنماء، وأحد مظاهر الطبيعة التي بهرت الجاهليين، بإعتباره سببًا من أسباب الحياة والخصب، فبرع الشاعر الجاهلي فى استغلاله مصدرًا لإبداعه الشعري، فاستقى منه الصور بدقة متناهية أثارت فكر المتلقِّي الجاهلي، خاصة أن الشاعر قد يكون ممثلاً للساحر صانع المطر في عصور سبقت العصر ـ الجاهلي"[1]. فالصورة الشعرية التى رسمها الشعراء للمطر تحمل فى ثناياها صور الخصب والحياة والانبعاث، ويبدو الشاعر فيها مناجيًا مبتهلاً من أجل نزول المطر وبث الحياة على الأرض.

ومن ألفاظ المطر التي وردت في شعر الصعاليك:

1- المطر: وهو الاسم العام للباب في معناه وألفاظه الدالة عليه، وهو "الماء المنسكب من السحاب... وناس يقولون: مطرت السماء وأمطرت بمعنى. وأمطرهم الله مطرًا أو عذابًا. ابن سيده: أمطرهم الله في العذاب خاصة، كقوله تعالى: ﴿وأَمْطَرْنَا عَليهِمْ مَطَرًا فَسَاءَ مَطَرُ المُنذَرين﴾[2]، وقوله تعالى: ﴿وَأَمْطَرنَا عَلَيهَا حِجَارَةً مِنْ سِجِّيل﴾[3]؛ جعل الحجارة كالمطر لنزولها من السماء"[4].

وفي مقاييس اللغة لابن فارس: "الميم والطاء والراء أصلٌ صحيح فيه معنيان: أحدهما الغيث النازل من السماء، والآخر جنس من العدو. فالأول المطر، ومطرنا مطرًا. وقال ناس: لا يقال أمطر إلا في العذاب؛ قال الله تعالى: ﴿أَمْطَرَت مَطَرَ السّوء﴾[5]. وتمطَّر الرجل: تعرَّض للمطر. ومنه المُستمطِر: طالبُ الخير. والثاني قولهم: تمطَّر الرجلُ في الأرض، إذا ذهب. والمُتَمَطِّرُ: الراكبُ الفَرَسَ يَجري به. وتمطَّرَتْ به فَرَسُهُ: جَرَتْ"[6].

وجاء لفظ المطر باشتقاقاته الدالة عليه في موضع واحد وقفت عليه في قصائد الشعراء الصعاليك، وهو قول الشاعر تأبَّط شرًّا:

---

1 - نصرت عبدالرحمن، الصورة الفنية في الشعر الجاهلي في ضوء النقد الحديث، دار كنوز المعرفة، عمّان، 2013م، ص 72.
2 - النمل: 58.
3 - هود: 83.
4 - ابن منظور، لسان العرب، مادة (مطر).
5 - الفرقان، 41.
6 - ابن فارس، معجم مقاييس اللغة، ج 5، ص 333. مادة (مطر).

جَزَى اللهُ فِتيانًا على العَوصِ أَمْطَرَتْ سَمَاؤهمْ تحتَ العجَاجَةِ بالدَّمِ[1]

ونلاحظ أن توظيف لفظ المطر في استعمال الفعل (أمطرت) جاء سلبي الدلالة في السياق؛ حيث إنه قرن المطر بالدم، ويتوافق هذا الاستعمال للفظ المطر في الدلالة على العذاب كما أشرنا إلى ذلك.

2- الرّهم: هو المطر الضعيف الساكن اللين، والرِّهمةُ بالكسر: "المطر الضعيف الدائم، وهو من أمطار الديم، وهي أشد وقعًا من الدِّيمة وأسرع ذهابًا"[2]. وعن أبي حنيفة أنَّه قال: "الرِّهمةُ أن تطبق السماء على الأرض ليالي بأمطار وضرٍّ شديد، ليس فيها برق ولا رعد، وهي من الدِّيم"[3]. ومن الملاحظ أن "الصفة المشتركة في الديم دوام المطر واستمراره وأنَّه مطر لا رعد فيه ولا برق، ورِهْمَت السماءُ إرهامًا: أمطرت، وجمع رِهْمَة: رِهَامٌ للكثير، ورِهْمُ. وأما ابن دريد فقد ذهب إلى أنَّ "الرِهْمَةَ المطرُ اللين، ومنه اشتقاق المَرْهم لِلِينَتِهِ"[4]. وقد ورد في قول الشاعر أبي الخرّاش الهذلي:

ونعلٍ كأشلاءِ السُّمانى نبذتُها خلاف ندًى من آخر الليلِ أو رهمِ[5]

فالشاعر يشبه نعله المهترئة التي تعيقه عن الركض، "ببقايا الطائر المأكول الذي لم يتبق منه غير جناحيه وجلده. وكلمة نبذتها توحي لنا بمدى الكره الذي بلغه من وسخها وثقلها وتقطعها، ثم يعكس لنا حالة الشاعر النفسية المكتئبة القلقة قليلة الصبر، وكذلك يظهر لنا مدى قلقه وعدم استبانته تمامًا من نوع المطر، ندي هو أم رهمة. ووحشة الليل تزيد من قلقه الذي يعيشه"[6].

وفق الشاعر في هذا التوظيف حيث إنه يقصد أن المطر كان ضعيفًا، فهو متيقن من هذا، لكنه لم يتبين إن كان هذا ندًى أو رهمًا، وفي كلا الحالتين فإنه يشير إلى المطر الضعيف.

---

1 - ديوان تأبط شرًا وأخباره، ص 206.
2 - سعيد بن أوس الأنصاري، كتاب المطر، ص 103.
3 - ابن منظور، لسان العرب، مادة (رهم).
4 - ابن دريد، جمهرة اللغة، ط1، طبعة الدكتور رمزي منير بعلبكي، دار العلم للملايين، بيروت، 1987م، ج2، ص 417.
5 - يوسف خليف، الشعراء الصعاليك في العصر الجاهلي، ص 226.
6 - خالد الحسن الخزينة، الأنواء في أشعار الهذليين: دراسة وصفية فنية تحليلية، ص 151.

3- الغدق: والغدق في لسان العرب: "غدق: الغدق: المطر الكثير العام، وقد غيدق المطر: كثر؛ عن أبي العميثل الأعرابي. والغدق: الماء الكثير وإن لم يك مطرًا. وقال الزجاج: الغدق المصدر، والغدق اسم الفاعل؛ يقال: غدق يغدق غدقًا، فهو غدق إذا كثر الندى في المكان أو الماء، قال: ويقرأ: ماءً غدقًا[1]"[2]. ومن ذلك، قول تأبَّط شرًّا:

فإذا تقوم فصَعدةٌ في رملةٍ لبدت بريِّق ديمة لم تغدقِ[3]

جاء البيت في سياق الغزل ووصف الحُسن، فشبه الشاعر الفتاة بأنها ممشوقة كالقناة التي نبتت في أرض روتها ديمة -سحابة- ليست بالشديدة المغدقة التي تغرق الأرض وتسيل بها. فهي مروية على مهل. وقد وفق الشاعر في توظيف الغدق في هذا البيت لمناسبة المعنى العام للبيت.

وحدد الثعالبي معنى الغدق في كتابه "فقه اللغة وأسرار العربية" في (فصل في تفصيل كمية المياه وكيفيتها) بما نصه: "فإذا كان كثيراً عذبًا فهو غدق، وقد نطق به القرآن"[4].

4- الوَدَق: وجاء معناه في لسان العرب: "والودق: المطر كله شديده وهيِّنهُ، وقد وَدَقَ يَدِقُ وَدْقًا، أي؛ قطر. ووَدَقَتِ السماء وأَودَقَت. ويقال للحرب الشديدة: ذات ودقين، تشبه بسحابة ذات مطرتين شديدتين. ويقولون: سحابة وادقة، وقلما يقولون: ودقت تدق. ويقال: سحابة ذات ودقين، أي؛ مطرتين شديدتين"[5]. وحدد الثعالبي سمة الودق من الأمطار، بما نصه: "فإذا كَانَ المَطَرُ مُسْتَمِرًّا، فَهُوَ الوَدْقُ"[6].

وقال أبو كبير الهذلي واصفًا قوم الشاعر المعاصر له تأبط شرًّا مشبهًا إيَّاهم بسحابة ممطرة:

---

1 - الجن: 16.
2 - ابن منظور، لسان العرب، مادة (غَدَقَ).
3 - ديوان تأبط شرًّا وأخباره، ص 146.
4 - أبو منصور الثعالبي، فقه اللغة وأسرار العربية، ص 306.
5 - ابن منظور، لسان العرب، مادة (وَدَقَ).
6 - أبو منصور الثعالبي، فقه اللغة وأسرار العربية، ص 305.

حتَّى رأيتهم كأنَّ سحابةً صابتْ عليهم وَدْقَها لم يَشملِ[1]

يقصد الشاعر بالودق غير المشمول، أي؛ الذي لم تصبه ريح الشمال التي من شأنها أن تفرق السحب وتقطع المطر الغزير وتبعثره، ولذا وظف الشاعر لفظ الودق دون سواها من أسماء المطر في إشارة إلى أنه مطر غزير لا ينقطع، وأكد هذه الدلالة قول الشاعر بأن هذا الودق لم يصب بريح الشمال فيتفرق وينقطع.

5- القَطْرُ: جاء في لسان العرب: "القطر: المطر. والقطار: جمع قطر وهو المطر. والقطر: ما قطر من الماء وغيره، واحدته قطرة، والجمع قطار. وسحاب قطور ومقطار: كثير القطر"[2]. ومن مواضع توظيفه في شعر الصعاليك ما نظمه الشاعر تأبط شرًّا:

تُعطيكَ وعدَ أمانيٍّ تغرُّ به كالقَطرِ مرّ على ضجنان بَرَّاقِ[3]

وربما قصد الشاعر بالقَطْرِ: "المطر الخفيف على الجبل الصلد حيث لا يغني ولا يغيث"[4].

ومنه قول القتَّال الكلابي:

بشرقيِّ حَوْضَى أخَّرتني مَنازلٌ قفارٌ جلا لي عن مَعَارِفِها القَطْرُ[5]

يبين الشاعر أنه لما صار في جهة الشرق من موضع حوضى استوقفته آثار دارسة لمنازلٍ لم تكن لتتضح لولا أن المطر غسلها من الرمال وأظهر ما تبقى من معالمها.

فالشاعر استعمل (القَطْرَ) الخاص بحقل العلويات مستندًا إلى صفات نتائج هذا القطر المؤثر في حقل الأرضيات، والتي منها الجلاء والوضوح وغسل الأرض.

6- الوابل[6]: الوبل والوابل: "هو المطر الشديد ضخم القطر"[7]. ومن ذلك، قول عبدة بن الطبيب:

---

1 - ديوان الهذليين، ج2، ص 95.
2 - ابن منظور، لسان العرب، مادة (قطر).
3 - ديوان تأبط شرًّا وأخباره، ص 129.
4 - ديوان تأبط شرًّا وأخباره، ص 129.
5 - ديوان القتَّال الكلابي، ص 49.
6 - صلاح مهدي جابر، "معجم ألفاظ المطر"، مجلة أهل البيت، العدد (7)، ص 211.
7 - ابن منظور، لسان العرب، مادة (وبل). وانظر: القاموس المحيط، مادة (وبل).

وذكرنيها بعدما قد نَسيتُها ديارٌ عليها وَابِلٌ مُتبعِّقُ[1]

إن استعمال الوابل في هذا السياق حملت دلالة الخير واستنزال البركة من السماء. ومن ذلك، قوله مستعملاً (الوبل) صفة للمطر على وزن مفعول في قوله:

وعَازِبٍ جادَهُ الوَسْمِيُّ في صَفَرٍ تسري الذِّهَابُ عليهِ فَهْوَ مَوبُولُ[2]

من المتعارف عليه أن (الوابل) اسم مختص ببعض صفات المطر وبيان أحواله، يأتي على صيغة الوزن الصرفي (فاعل)، بيد أن الشاعر استعمله هنا بصيغة (مفعول) بقوله: "موبول"، وهي صفة لما وقع عليه مطر الوابل فجعله موبولاً بالمطر مبتلاً به.

7- الوَسْمِيُّ: ويعدُّ الوسميُّ من أمطار الأزمنة بحسب ما صنَّفها أبو منصور الثعالبي في (فصل في أمطار الأزمنة) فذكر ما نصُّهُ: "عن أبي عمرو والأصمعي: أوَّل ما يبدو المطرُ في إقبال الشتاء فاسمه الخريف، ثم يليه الوَسميُّ، ثم الربيعُ، ثم الصيفُ، ثم الحَميمُ"[3].

والوسمي في لسان العرب لابن منظور: "مطر أول الربيع، وهو بعد الخريف؛ لأنه يسم الأرض بالنبات فيصير فيها أثرًا في أول السنة. وأرض موسومة: أصابها الوسمي، وهو مطر يكون بعد الخرفي في البرد، ثم يتبعه الولي في صميم الشتاء، ثم يتبعه الربعي. الأصمعي: أول ما يبدو المطر، في إقبال الربيع، ثم الصيف، ثم الحميم. ابن الأعرابي: نجوم الوسمي أولها: فروع الدلو المؤخر، ثم الحوت، ثم الشرطان، ثم البطين، ثم النجم، وهو آخر الصرفة، يسقط في آخر الشتاء. الجوهري: الوسمي مطر الربيع الأول؛ لأنه يسم الأرض بالنبات، نسب إلى الوسم. وتوسم الرجل: طلب كلأ الوسمي"[4].

ومن ذلك، قول عبدة بن الطبيب:

---

1 - يحيى الجبوري، شعر عبدة بن الطبيب، ص 53.
2 - يحيى الجبوري، شعر عبدة بن الطبيب، ص 75.
3 - أبو منصور الثعالبي، فقه اللغة وأسرار العربية، ص 304.
4 - ابن منظور، لسان العرب، مادة (وسم).

وعازبٍ جادَهُ الوَسميُّ في صَفَرٍ تسري الذِّهاب عليه فهو مَوبُولُ[1]

ويحدد الشاعر الفترة الزمنية التي نزل فيها المطر، بأنه في شهر صفر، وهو ثاني الأشهر القمرية.

8- الغَيثُ: "هو اسم للمطر كله، ثم سمي ما ينبت به غيثًا فأصبح يدلُّ على المطر والكلأ"[2]. ومن ذلك، قول تأبَّط شرًّا:

غيثُ مزنٍ غامرٍ حيث يجدي وإذا يسطو فليثٌ أبلّ[3]

ويكون الغيث في سياق الإيجابية والخير لدلالته على إغاثة الأرض بالماء بعد القحط والجفاف، والإغاثة لا تكون إلا بالنفع والخير، وقد استند الشاعر إلى هذا المعنى فاستعمل (الغيث) في سياق الكناية الدالة على الكرم، فشبه الممدوح بالغيث في أن منافعه عامةٌ للخلق كعموم ماء السماء المغيث بعد الجدب. وإن التوافق الدلالي في توظيف (الغيث) دون سواه من أسماء المطر في هذا السياق المدحي، أن الغيث يعني عموم المطر، كما أنه مقرون بالخير اللاحق لهطوله، وهو استعمال أبلغ من استعمال مفردة المطر وحدها في هذا السياق.

1 - يحيى الجبوري، شعر عبدة بن الطبيب، ص 75.
2 - صلاح مهدي جابر، "معجم ألفاظ المطر"، مجلة أهل البيت، العدد (7)، ص 205.
3 - ديوان تأبط شرًا وأخباره، ص 249.

9- الصَّـوبُ: "الصَّـوْبُ: أصـله نـزول المطـر مـن صـاب صـوبًا وانصـاب: أي؛ انصـب"[1]، ومطـر صَـوْب وصَـيّبٌ وصَـيِّوبٌ، ومنـه قولـه تعـالى: ﴿أَوْ كَصَـيِّبٍ مِـنَ السَّـمَاء...﴾[2]، و"الصَّـيِّبُ: السَّـحابُ ذو الصَّـوْب: أيّ؛ المطـر الشـديد"[3]. "الصَّـيِّبُ: المطـر الشـديد، وأصـل الصَّـيِّب مـن الصَّـوْب؛ وهـو نـزول المطـر واسـتقراره أي؛ سـيلانه، ومـن معـاني فَعـَّل: التكثـير فتغـير الصيغة يؤدي إلى تغير المعنى"[4]. ومنه قول حاجز بن عوف الأزدي:

فبشِّر بني حاجٍ بصوبٍ غزيرةٍ من النجم أو نوءٍ ينوءُ بعقربِ[5]

نلاحـظ أن كـل الألفـاظ المجـردة الـواردة في البيـت مقصـورة عـلى حقـل العلويـات، مثـل: (صـوب: المطـر، الـنجم، نـوء العقـرب). فالدلالـة التـي يحملهـا البيـت، دلالـة تهديـد ووعيـد، حيـث يتوعـد الشـاعر بنـي حـاجٍ بمصـائب ومعـارك قادمـة علـيهم، أشـبه مـا تكـون بالمطر الشديد الغزير الذي يجلب السيول والخراب.

10- الـذِّهَابُ: "الـذِّهَابُ واحـدها ذِهبَـة، وهـي الحديثـة مـن الأمطـار"[6]، وهـي اسـمٌ للمطـر كلِّـه شـديده وضـعيفه[7]. والذِّهبَـةُ أي؛ الـدفعات مـن المطـر[8]. ومـن ذلـك، قـول عبـدة بـن الطبيب:

---

1 - ابن منظور، لسان العرب، مادة (صوب).
2 - البقرة: 19.
3 - ابـن سـيده، علـي بـن إسـماعيل، المخصـص، دار الفكـر أوفسـيت عـن المطبعـة الكبـرى الأميرية بيولاق، مصر، 1318 هـ، 9/117.
4 - صلاح مهدي جابر، "معجم ألفاظ المطر"، مجلة أهل البيت، العدد (7)، ص 201.
5 - أحمد محمد عبيد، شعراء جاهليون، ص 157.
6 - سعيد بن أوس الأنصاري، كتاب المطر، ص 103.
7 - صلاح مهدي جابر، "معجم ألفاظ المطر"، مجلة أهل البيت، العدد (7)، ص 194.
8 - يحيى الجبوري، شعر عبدة بن الطبيب، ص 75. (الحاشية).

وعازبٍ جادَهُ الوَسْميُّ في صَفَرٍ تَسْري الذِّهَابُ عليهِ فَهْوَ مَوبُولُ[1]

والـذِّهاب هـي دفقـات المطـر التـي تـروح وتغـدو دون أن يكـون اسـتمرارها ذا ضرر أو انقطاعهـا ذا ضرر أكـبر، بـل إن أفضـلها مـا يكـون بهـذا الشـكل دون اسـتمرار. وقـد وظـف الشـاعر لفـظ (الـذِّهاب) في هـذا البيـت بشـكل موافـق للدلالـة العامـة للسـياق، حيـث إن المطـر المقصـود يسـبب البلـل دون السـيول، ويكـون هـذا في المطـرة الحديثـة عـلى الأرض، وهي في سياق التوظيف الإيجابي.

11- الطـلُّ: "هـو المطـر الضـعيف"[2]، أو "الـذي لـه أثـرٌ قليـل"[3]، أو "الـذي نـزل في الصَّـحو"[4]، وهـو: "فـوق النَّـدى ودون المطـر"[5]. وذكـر ابـن دُرَيْـد: "إنَّ كـل شيء نديٍّ طلٌّ"[6].

قـال أبـو منصـور الثعـالبي نقـلاً عـن الأصـمعي: "أخـفُّ المطـر وأضـعفه الطَّـلُّ"[7]. ونقـل عـن النضر بـن شـميل في ترتيـب المطـر مـا نصُّـه: "أول المطـر رشٌّ وطـشٌّ، ثـم طـلٌّ ورذاذ"[8]. ومن ذلك، قول الشنفرى:

شامسٌ في القُرِّ حتى إذا ما ذَكَتِ الشِّعْرَى فبردٌ وظِلُّ[9]

والشـامس أي؛ ذو الشـمس، والقـرُّ: الـبرد. ذكـت الشـمس أي؛ اشـتدت حرارتهـا. والشـعرى كوكب نيِّرٌ يظهر في شدة الحر. والطلُّ: الندى، وهو هنا في سياق المدح حيث

---

1 - يحيى الجبوري، شعر عبدة بن الطبيب، ص 75.
2 - ابن سيده، المخصص، 9/111.
3 - أحمـد بـن محمـد بـن الحسـن المرزوقـي، الأزمنـة والأمكنـة، ط1، مطبعـة مجلـس دائـرة المعارف، الهند – حيدرأباد، 1332هـ، 2/90.
4 - إبـراهيم بـن إسـماعيل الأجـدابي الطرابلسـي، كفايـة المـتحفظ وغايـة المـتلفظ فـي اللغـة، تحقيق: عبدالرزاق الهلالي، ط7، مطبعة دار الحرية للطباعة، بغداد، 1968م، 1/92.
5 - أحمد بن محمد بن الحسن المرزوقي، الأزمنة والأمكنة، 2/92.
6 - ابـن دريـد، محمـد بـن الحسـن الأزدي البصـري، جمهـرة اللغـة، ط1، مطبعـة مجلـس دائـرة المعارف العثمانية، حيدرأباد- الدكن، 1345هـ، 1/108.
7 - أبو منصور الثعالبي، فقه اللغة وأسرار العربية، ص 303.
8 - أبو منصور الثعالبي، فقه اللغة وأسرار العربية، ص 303.
9 - ديوان الشنفرى، ص 85-86.

يصف الشنفرى ممدوحه بالكرم والسخاء. فمن قصده من الضيفان في أوقات البرد وجد عنده الدفء، ومن قصده في أوقات الحرِّ وجد عنده ما يطفئ به حرارة جوفه. واستعمال الشاعر الطل استعمالاً مجازيًّا كناية عن قطرات المطر الخفيفة، أو قطرات الندى التي توحي بالانتعاش والجو اللطيف غير الحار، وهو استعمال في سياق المدح كما بينَّا.

ومن ذلك، قول الشنفرى :

فَبِتْنَا كَأَنَّ البيتَ حُجِّرَ فَوقَنَا بِرَيحانةٍ رِيْحَتْ عِشَاءً وَطَلَّتِ[1]

وقصد الشاعر بقوله (ريحتْ) أي؛ أصابتها الريح فجاءت بنسيمها، وجعل ذلك عشاءً لأنه أبرد للريح عند مغيب الشمس. أما قوله (طلَّتْ) أي؛ أصابها الطلُّ، وهو الندى. فيقول الشاعر: بتنا وكأن البيت حجر فوقتنا بريحانة أصابتها الريح والندى عند العشاء. والمقصد العام أنها طيبة الرائحة، فنبات الريحان ينتشر شذاه لما يصيبه الندى أو يتم رشه بقطرات الماء. والسياق الوارد إيجابي موافق لإيجابية الندى في معناها اللغوي والدلالي العام.

ومن ذلك، قول تأبَّط شرًّا:

أنا الذي نكحَ الغِيلانَ في بلدٍ ما طَلَّ فيه سماكيٌّ ولا جَادا[2]

إن الموضع الذي يصفه الشاعر يتصف بالقحط والجفاف، حيث أشار الشاعر إلى أن هذه الأرض التي كان الشاعر فيها متعاركًا مع الغيلان -في سياق الفخر بشجاعته- جافة قاحلة لم تعرف المطر ولا الغيم ولا الطل، والذي هو أقل ما يكون من مكونات الماء في السماء إلى الأرض. ويعد السياق الذي جاءت فيه مفردة الطل إيجابيًّا في معظمه؛ حيث إنه على افتراض أن الموضع المسمى لو أصيب بالطلَّ لكان مرعًا خصيبًا.

1 - ديوان الشنفرى، ص 34.
2 - ديوان تأبط شرًّا وأخباره، ص 77.

12- الـدَّاجن: وهـو المطـر المطبـق، كـما ورد الـدجن ضـمن أسـماء المطـر في معجـم ألفـاظ المطـر، "الـدّجْنُ: المطـر الكثـير ومنـه السـحابة الداجنـة المـاطرة المطبقـة نحـو الديمـة"[1]، وأصـل الـدّجنُ هو "إلباس الغيم الأرض"[2].

وقـد ورد هـذا المسـمى للمطـر في صـيغتين اثنتـين، جاءتـا في الموضـعين قـوافٍ للأبيـات، الأولى في قول تأبَّطَ شرًّا:

فأدبرتُ لا ينجو نجائي نِقنِقٌ يبادرُ فرخيه شمالاً وداجنا[3]

والثانية في قول القتَّال الكلابي:

نجاءَ الثُّريا كلَّما ناءَ كوكبٌ أهلّ يَسُحّ الماءَ فيه دُجُونُ[4]

وقال أبو صخر الهذلي:

دِجَانٌ وَتَهتَانٌ وَوَبْلٌ ودِيمَةٌ فذلك يُبدي ما تجنُّ الأضالعُ[5]

فهـو يشـبه الـدموع بـالمطر الـدجن، والتهتـان والوبـل والديمـة، و"هـذا ترتيـب للمطـر مـن الضـعيف إلى القـوي، فهـذا يـدل عـلى معرفتـه الدقيقـة بالأمطـار وترتيبهـا، وجعـل الأمطـار بمراتبها من داخل الأضالع فمزج ما بين حالة نزول الدموع وانهمال الأمطار، ومزج مشاعره

وعواطفـه بالطبيعـة، وأجـاز إلى الـدموع بـذكر الأضـالع بالعلاقـة المحليـة، وجعـل دواخلـه سـببًا للأمطـار مـما يعكـس حالتـه العاطفيـة والنفسـية، وتكـرار النـون والتـاء أعطـى موسـيقة معنوية جميلة"[6].

---

1 - ابن سيده، المخصص، 9/116.
2 - ابن منظور، لسان العرب، مادة (دجن).
3 - ديوان تأبَّط شرًّا، ص 216. الشمال: البقية من الماء.
4 - ديـوان القتَّـال الكلابـي، ص 91. نـاء الكوكـب: سـقط ومـال، والعـرب تضـيف الأمطـار إلـى الساقط من الكواكب فكأن ناء معناه أهل بالنوء. دجون: مطر مطبق.
5 - الحسن بن الحسين السكري، شرح أشعار الهذليين، ج2، ص 935.
6 - خالـد الحسـن الخزينـة، الأنـواء فـي أشـعار الهـذليين: دراسـة وصـفية فنيـة تحليليـة، ص 167.

13- التَّهْتَـان: بـيَّن الثعـالبي مرتبـة التَّهتَـانِ في أسـماء المطـر في قولـه: "أوَّل المطـر رشٌّ وطـشٌّ، ثـم طـلٌّ ورذاذ، ثـم نضـحٌ ونضـخٌ وهـو قَطـرٌ بـين قَطـرين، ثـم هطـلٌ وتَهتَـانٌ"[1]. وورد في لسـان العـرب مـا نصـه: "هـتن: هتنـت السـماء تهـتن هتنًـا وهتونًـا وهتنانًـا وتهتانًـا وتهاتنـت: صـبت، وقيـل: هـو مـن المطـر فـوق الهطـل، وقيـل: الهتنـان المطـر الضـعيف الدائم"[2].

وورد هذا اللفظ فيما وقفت عليه في شعر الصعاليك في موضع واحد عند الشاعر أبي صخر الهذلي في قوله:

دِجَانٌ وَتَهْتَانٌ وَوَبْلٌ وَدِيمَةٌ فذلكَ يُبدي ما تجنُّ الأضالعُ[3]

فالشـاعر يصـف أحـوال المطـر ويـذكر منهـا التهتـان، وهـو يـدل -كـما بيَّنـا- عـلى عنايـة الشـاعر بترتيـب أحـوال المطـر بحسـب أسـمائها، ويوضـح مـدى اهتمامـه بتحقيـق البلاغـة ليـأتي اللفـظ موافقًا للمعنى ومشيراً إليه.

14- الجَـود: وتـابع الثعـالبي في ترتيـب المطـر بمـا نصُّـهُ: "أوَّل المطـر رشٌّ وطـشٌّ... ثـم هطـلٌ وتهتانٌ، ثم وابلٌ وجَوْدٌ"[4]. ومن ذلك، قول القتَّال الكلابي:

وما روضةٌ بالحَزنِ قفْرٌ مَجُودَةٌ يمجُّ النَّدى رَيحانَهَا وصَبيبَها[5]

والحَزَن: "بلاد يربوع، وهي أطيب البادية مرعًى ثم الصمَّان، قاله السكري.

والصـبيب: شـجر يشـبه السـذاب يختضـبُ بـه"[6]. وقـد وفـق الشـاعر في وصـف مطـر هـذه الروضـة بـالجَود، حيـث إن طبيعتهـا الخصـبة تتطلـب مياهًـا كثـيرةً لتكـون مـن أطيـب مواضع البادية مرعًى.

1 - أبو منصور الثعالبي، فقه اللغة وأسرار العربية، ص 303.
2 - ابن منظور، لسان العرب، مادة (هتن).
3 - الحسن بن الحسين السكري، شرح أشعار الهذليين، ج2، ص 935.
4 - أبو منصور الثعالبي، فقه اللغة وأسرار العربية، ص 303.
5 - ديوان القتَّال الكلابي، ص 31.
6 - ديوان القتَّال الكلابي، ص 31. الحاشية.

15- الـبَغْش: جـاء في مقـاييس اللغـة: "البـاء والغـين والشـين أصـل واحـد، وهـو المطـر الضـعيف، ويقـال لـه: الـبغش. وأرض مبغوشـة. وجـاء في الشـعر: مطـر بـاغش"[1]. ومـن ذلـك، قـول الشنفرى في لاميته المشهورة بلامية العرب:

وَلَيْلَةِ نَحْسٍ يَصْطلي القَوسَ رَبُّهَا وَأَقْطُعُهُ اللاتِي بِها يَتَنَبَّلُ

دَعَسْتُ على غَطْشٍ وبَغْشٍ وَصُحْبَتِي سُعَارٌ وَإِرْزِيزٌ وَوَجْرٌ وَأَفْكُلُ

"البغش: المطر الخفيف"[2].

وحيـث إن المعهـود عـن المطـر الخفيـف نفعـه وإيجابيتـه، إلا أن الشـاعر وظفـه في سـياق السلبية في هذا الموضع، حيث جعله مترافقًا مع الخوف والرعدة في الليل المظلم.

عـلى الـرغم مـن تعـدد المسـميات التـي ذكرهـا الشـعراء في المـاء ومـا دل عليـه مـن الألفـاظ إلا أنهـا تنـدرج ضـمن حقـل دلالي أسـاسي واحـد هـو حقـل المـاء، وضـمن هـذا الحقـل الـدلالي فإنهـا تتفـق دلاليًّـا لتكـون ضـمن الحقـل الخـاص بتكوينـات المـاء قبـل وصـوله الأرض ليتشـكل في مجمعـات مائيـة متنوعـة بـين السـيول، والبحـار، والجـداول، والقيعـان، والغـدران، والآبـار، ومـا إلى ذلـك، حيـث إن جميـع الألفـاظ التـي اسـتعملها الشـعراء في هـذا المقـام، متعلقـة بتكوينـات المـاء قبل نزوله مطرًا إلى الأرض.

1 - ابن فارس، معجم مقاييس اللغة، ج1، ص 274. مادة (بغش).
2 - السـيد أحمـد عمـارة، دراسـة فـي نصـوص العصـر الجـاهلي تحليـل وتـذوق، مكتبـة المتنبـي، د.ت، ص 54.

ومن خلال ما تناولته من الألفاظ الدالة على المطر في قصائد أبرز الشعراء الصعاليك، وجدت أنهم استعملوا ستة عشر لفظًا مختلفًا، يدل كل منها على حالٍ من أحوال المطر، وهي على النحو الآتي: (المطر، والرهم، والغدق، والودق، والقطر، والوابل، والوسمي، والغيث، والصوب، والذِّهاب، والطلّ، والجَود، والدَّاجن، والبَغش). واختلفت مقدرة التوظيف

الدقيق لدى ما وقفت عليه من قصائد الشعراء الصعاليك بين الموافقة في المعنى الدلالي واللغوي تارة، والمخالفة بينهما أخرى، بيد أن معظم الشعراء الصعاليك كانوا موفقين في توظيف الألفاظ بحسب موافقتها لمعناها اللغوي والسياق الدلالي في البيت الشعري.

الفصل الثاني

المجمَّعات المائية والألفاظ الدالة على أحوال تكوينها في شعر الصعاليك

مدخل

حيث إننا تناولنا في الفصل الأول الماء والألفاظ الدالة عليه في حقل المكونات، وبيَّنا المسميات التي أطلقها الشعراء الصعاليك على الماء ومكوناته وألفاظه، فإننا نتناول في هذا الفصل ألفاظ الماء وأسماء مواضع تجمع الماء؛ كما وردت في شعر الصعاليك، ونبدأ بها بحسب ترتيبها الزمني لحال المطر أول نزوله إلى الأرض، كالسيول، والجداول، والبحار، والغدران، والأحواض، وعيون الماء، على النحو الآتي:

السيول

وهي لغة من الجذر اللغوي (سال) ومن معانيه في لسان العرب: "سيل: سال الماء والشيء سيلاً وسيلانًا: جرى، وأساله غيره وسيله هو. وماء سيل: سائل، وضعوا المصدر موضع الصفة. والسيل: الماء الكثير السائل، اسم لا مصدر، وجمعه سيول. ومسيل الماء، وجمعه أمسلة: وهي مياه الأمطار إذا سالت... والمسيل: مفعل من سال يسيل مسيلاً ومسالاً وسيلا وسيلانا، ويكون المسيل أيضا المكان الذي يسيل فيه ماء السيل، والجمع مسايل، ويجمع على مسل وأمسلة ومسلان، على غير قياس"[1].

وقال الثعالبي في فصل (ترتيب السيل وتفصيله) ما نصه: "إذا أتى السيلُ فهو أتيٌّ، فإذا جاء يملأ الوادي فهو راعبٌ، فإذا جاء يتدافعُ فهو زاغبٌ، فإذا جاء من مكانٍ لا يُعلمُ به قيل جاءنا السيلُ درءًا، فإذا جاء بالقمش الكثير فهو مزلعبٌّ ومجلعبٌّ، فإذا رمى بالزبد والقذر قيل غثا يغثو، فإذا رمى بالجُفاء قيل جفأ يجفأ، فإذا كان كثير الماء ذاهبًا بكل شيء فهو جُحَافٌ وجُرَافٌ"[2].

---

1 - ابن منظور، لسان العرب، مادة (سال).
2 - أبو منصور الثعالبي، فقه اللغة وأسرار العربية، ص 309.

تتحـدد دلالــة لفـظ السـيل في شـعر الصـعاليك مـن خـلال سـياقين اثنـين؛ الأول السـياق المـائي، والثـاني السـياق الجغـرافي، ففـي السـياق الأول يـتم تنـاول السـيل والألفـاظ الدالـة عليـه بـين التـوظيفين السـلبي والإيجـابي، وفي السـياق الجغـرافي نـبرز عنايـة الشـعراء الصـعاليك بـأنواع لسـيول ومواقعها الجغرافية في البادية، فهي إما أن تكون في دلالة العموم أو في دلالة الخصوص.

أولاً: السياق المائي للفظ السيل:

ذهـب بعـض الشـعراء إلى وصـف أحـوال السـماء قبيـل السـيل، وتعـد مـن الأمـارات التـي كـان العـرب يسـتندون إليهـا لأخـذ الحيطـة والحـذر مـن السـيل القـادم، ومـن هـذه الأمـارات أن يسبق السيلَ غبارٌ كثيف، وأشار إليها الشاعر أبو صخر الهذلي في قوله:

وصفَّ أَحدَبَ شَقَّتهُ وَليدَتها تُبادِرُ السَّيلَ بالمسحاةِ مخدود[1]

فالشـاعر يصـف الـترس التـي شـقتها الـريح ذات الغبـار، وهـي ريـاح تسـبق السـيل وتنـذر بقدومـه، ويتخيـل الشـاعر هنـا أن هـذه الريـاح سـمحت للميـاه بـالعبور إلى داخـل المنـزل، وهـذه صـورة متخيلـة؛ أي؛ امتـداد يـد الـريح والسـيل إلى منـزل الحبيبـة بعـد رحيلهـا، وكـأن الـريح والسـيل لم يأتيا عندما كانت تسكن منزلها احترامًا لمقامها وتقديرًا لوجودها.

يعـدُّ السـيل مـن أوضـح مظـاهر البيئـة الصـحراوية؛ لندرتـه صـيفًا وغزارتـه شـتاءً. وقـد تنـوع اسـتعمال الشـعراء لـه بأسـماء مختلفـة، فتـارة، جـاء السـيل بالمسـمى الصرـيح المفـرد لـه، دون أن يتضمن السياق إشارة إلى الجوانب السلبية له، كما في قوله قيس بن الحدادية:

1 - الحسن بن الحسين السكري، شرح أشعار الهذليين، ج2، 924.

فما نُطفَةٌ بالطَّود أو بضرِيَّةٍ بقيَّةُ سيلٍ أحرزتها الوقائعُ[1]

يشير إلى بقية السيل على سبيل التشبيه والتمثيل، فجاء بذكر السيل المفرد الدال على اقتراب موسم القحط والجفاف. كما جاء بعض الشعراء بذكر الأسماء الدالة على السيل، ومن ذلك، للشاعر تأبَّطَ شرًّا في استعماله (الجُبَار) دلالة على السيل:

به من نجاء الدَّلو بيضٌ أقرَّها جُبَارٌ لصمِّ الصخرِ فيه قراقرُ[2]

ومَررنَ حتَّى كُنَّ للماء مُنتهَى وغادرهُنَّ السيلُ فيما يغادرُ[3]

و(قراقر) جمع (قرقرة) وهي صوت جريان الماء بين الصخور، فاستعمل الشاعر هنا جمعًا لمصدرين رباعيين مضعفين. إضافة إلى أن الشاعر يشير إلى قضيتين في الحقل الدلالي الخاص بالسيل في هذا البيت:

1- قوة السيل واندفاعه وما تضمنه الوصف من تجسيد صوت ارتطام الماء بالصخر، وهو ما يسمى القراقر.
2- إن هذا السيل بعد مداهمته وانقضائه ترك نقعًا من الماء هي نطفٌ في شقوق الصخر، وهي ما يمكن أن يُنتفع بها بعد مرور السيل.

وتجاوز بعض الشعراء الدلالة الحسية للسيل إلى الدلالة المعنوية، بأن يحل السيل كناية عن الغضب والقوة والجبروت، كما في قول صخر الغيِّ الهذليِّ في سياق التهديد والوعيد:

1 - حاتم صالح الضامن، شعر قيس بن الحدادية، ص 211.
2 - ديوان تأبط شرًّا وأخباره، ص 95..
3 - ديوان تأبط شرًّا وأخباره، ص 96.

أبا المُثلَّم إنِّي غير مُهتضمٍ إذا دَعوتُ تَميمًا سَالتِ المُسُلُ[1]

والمُسُـلُ: جمـع السَّـيل، وحيـث إن اسـتعمال السَّـيل مـع سـياق التهديـد المـوحي بالغضـب جـاء موافقًـا دلاليًـا، فـإن الشـاعر أضـاف عنصرـ المبالغـة حـين أتى بـالجمع، ويقصـد بـذلك أنـه إن دعـا تميمًا لنصرته فإنـه سـيلبُّون مـن كـل جانـب وكـأنهم سـيولٌ تنحـدر غاضـبة نحـو مصـبٍّ واحـد. وهـذا الخطـاب يـدل عـلى عظمـة الشـاعر بـين قومـه فشـاعريته هـي التـي أعطتـه الاحـترام والمكانـة إذ لم نجد ما يشير إلى أنه كان سيدًا في قومه.

وقـد وافقـت دلالـة الاسـتعمال دلالـة سـياق المقـام وسـياق الحـال؛ حيـث إن مـوطن قبيلـة هـذيل في شـبه الجزيـرة العربيـة مشـهور بالسـيول الكثـيرة بسـبب المرتفعـات العاليـة، فهـذيل قبيلـة شـمالية توزعـت منازلهـا -قـديمًا- عـلى نـواحي الحجـاز. قـال عنهـا يـاقوت الحمـوي في معجـم البلـدان: "توزَّعـت قبيلـة هـذيل في العصرـ الجـاهلي عـلى جبـال الحجـاز الفاصـلة بـين تهامة ونجد"[2].

وما نظمه القتَّال الكلابي:

بَغَمَتْ فلمْ يُصْحَبْ لَهَا فاسْتَقبَلَتْ مِنْ عَاقِلٍ شُعَبًا يَسِلنَ دَوافِعَا[3]

حيث أشار الشاعر القتَّال إلى شدة اندفاع الماء في السيول.

ووظـف بعـض الشـعراء صـفات السـيل في إغنـاء صـورهم الفنيـة دون التصرـيح باسـم السـيل صراحـة، بـل باسـتعمال الفعـل الـدال عليـه، غـير أنهـم لم يخرجـوا عـن الدلالـة الحقيقـة لصـفات السيل، فمن ذلك قول عمرو بن برَّاقة الهمداني:

---

1 - يوسف خليف، الشعراء الصعاليك في العصر الجاهلي، ص 249.
2 - يـاقوت بـن عبـدالله الحمـوي، معجـم البلـدان، د.ط، دار صـادر للطباعـة والنشـر، بيـروت، 1957م، ج3، ص 205.
3 - ديـوان القتَّـال الكلابـي، ص 68. عاقـل: واد بنجـد. الـدوافع: مـدافع المـاء الميـث، والميـث تدفع الماء إلى الوادي الأعظم.

وكم لاقيتُ ذا نَجَبٍ شَدِيدٍ تسيلُ به النفوسُ على الصدور[1]

حيث استعمل الشاعر الفعل (تسيل) مقتصرًا من الحقل على المائي على وصف سرعة جريان السيل، ثم توظيف هذه الصفة بصورة إيجابية تدل على البذل والتضحية. وفي السياق نفسه قال أبو الطمحان القيني:

يظلُّ فتيتُ المِسكِ في رونقِ الضُّحى تسيلُ به أصداغُهُ ومفارقُه[2]

وتجدر الإشارة هنا إلى أن السيل في حقله الدلالي سلبي الحضور في ذاته، يسبب الرهبة ويبعث الخوف والذعر في الأنفس، بل إن الناس يحتاطون له حيطةً وحذرًا، وهو يتضح من قول القتَّال الكلابي:

بأنّا بنو أمَّيْنِ أختين خلّتا بيوتهما في نجوة فوق أبهرا[3]

يشير الشاعر إلى حذر النساء على بيوتها من السيول الغادرة، حيث يقمن برفع الأتربة تحصينًا للبيوت الطينية أو الخيام أو البيوت الحجرية حذرًا منهما وحرصًا على ألا يطولها السيل مهما ارتفع واشتدَّ جريانه. فجاءت دلالة السيل في هذا البيت سلبية من خلال الأثر الذي يخلفه السيل في الأرض المعمورة.

أما الدلالات الإيجابية للسيل فجاءت في مواضع مختلفة، وهي في سياقين اثنين، الأول:

- السيل الإيجابي ذو النفع: عندما يكون السيل سببًا في الخصب والنماء دون إلحاق ضرر أو دمار أو خراب، ويأتي هذا بحسب مهارة الشاعر في توظيف الدلالة في السياق. ومن ذلك، ما نظمه أبو خراش الهذلي في وصف ترسه حيث قال:

1 - شريف راغب علاونة، عمرو بن برّاقة الهمداني من مخضرمي الجاهلية والإسلام: سيرته وشعره، ص 96.
2 - يوسف خليف، الشعراء الصعاليك في العصر الجاهلي، ص 254.
3 - ديوان القتَّال الكلابي، ص 52. النجوة: أرض مرتفعة لا يعلوها السيل.

أواقدُ، لا آلوك إلا مُهندًا وَجِلْدِ أبي عِجْلٍ وثيقِ القبائلِ

غذاهُ من السِرَّينِ أو بطنِ حَلَيةٍ فروعُ الأباءِ في عَميمِ السَّوائلِ

مشبٍّ إذا الثيرانُ صدَّت طريقهُ تصدَّعن عنه دامياتِ الشواكلِ[1]

استعمل الشاعر لفظ الجمع (السوائل) في سياق إيجابي، حيث إنه يصف المرعى والأرض الخصبة في الوادي الذي ترفده سيول كثيرة، لكنها سيول نافعة لا هادمة جارفة كالمعهود عنها.

- تجمع الماء بعد انقضاء السيل: وهي بقايا الماء التي يخلفها السيل بعد انقضائه، وتعد من أبرز مظاهر الانتفاع بالسيل. ومن ذلك، قول قيس بن الحدادية:

فما نُطْفَةٌ بالطَّودِ أو بِضَريَّةٍ بقيَّةُ سيلٍ أحرزتها الوقائع[2]

ومن ذلك، ما أشار إليه الشاعر تأبط شرًّا في ذكر أهمية بقية الماء التي يتركها السيل بعد أن يغادر، حيث قال:

ومررن حتى كنّ للماء منتهى وغادرهنَّ السيلُ فيما يغادر[3]

وقال أبو صخر الهذلي في وصف الدار التي درست عند مندفع السيول:

بل اهتجتُ الغداةَ لرسم دارٍ بمندفعِ السَّوائلِ من أثالِ[4]

فالشاعر يصف تشوقه وتذكره بالهيجان لدار محبوبته التي درست عند مندفع السوائل في منطقة أثال.

---

1 - يوسف خليف، الشعراء الصعاليك في العصر الجاهلي، ص 205. العميم: ما اعتم من النبت في سوائل المطر، والسوائل المواضع التي تسيل بالماء.
2 - حاتم صالح الضامن، شعر قيس بن الحدادية، ص 211.
3 - ديوان تأبط شرًّا وأخباره، ص 96.
4 - الحسن بن الحسين السكري، شرح أشعار الهذليين، ج2، ص 926.

ثانيًا: السياق الجغرافي لألفاظ السيل

ونقصد بها شيئين اثنين، الأول: الموضع الجغرافي الذي يمكن أن يتجمع الماء فيه، والثاني: اسم الموضع الجغرافي كما اشتهر به لدى الناس، وقد يكون الاسم نسبةً إلى موضع قريبٍ أو جبلٍ أو غير ذلك.

ولم يقتصر الشعراء الصعاليك على استعمال لفظ السيل إفرادًا أو جمعًا بهذا اللفظ فقط، بل إن بعضهم وظَّف ألفاظًا أخرى تدل على السيل وأحواله، وتعد استعمالاتها أدق في التصوير الفني، إضافة إلى أنها تعطينا مثالاً على القدرة اللغوية للشعراء في معجمهم المائي وألفاظه، ومن أبرز الألفاظ الدالة على السيل أو أحواله ما يأتي:

أ. **الشِّعاب: وهي من الجذر اللغوي (شَعَبَ) ومن معانيه في لسان العرب: "الشِّعب: مسيل الماء في بطن من الأرض، له حرفان مشرفان وعرضه بطحة رجل إذا انبطح، وقد يكون بين سندي جبلين. والشعبة: المسيل في ارتفاع قرارة الرمل. والشعبة: المسيل الصغير، يقال: شعبةٌ حافلٌ: أي؛ ممتلئة سيلاً. والشعبة: ما عظم من سواقي الأودية، وقيل: الشعبة ما انشعب من التلعة والوادي أي؛ عدل عنه وأخذ في طريق غير طريقه، فتلك الشعبة، والجمع شعب وشعاب"[1]. وقد استعمل الشعراء هذا اللفظ في دلالتين اثنتين:**

1- دلالة العموم: وهي أن يأتي الشاعر على ذكر الشعب عمومًا دون تحديد شعبٍ بعينه دون سواه، ودون توضيح للموضع الجغرافي الذي يكون فيه هذا الشعب. ومن ذلك، قول تأبَّط شرًّا:

وَشِعْبٍ كَشَلِّ الثوبِ شَكْسٍ طريقهُ مَجَامِعُ صُوْحَيهِ نِطَافٌ مَخَاصِرُ[2]

الذي يدل على أن الشعب المقصود في البيت هو مسيل الماء، أن صُوحيه، أي؛ أطرافه، تتضمن نقعًا من الماء، وهذه النقع لا تكون إلا بعد انقضاء ماء السيل، فيتركها وراءه. وله :

---

1 - ابن منظور، لسان العرب، مادة (شعب).

2 - ديوان تأبط شرًّا وأخباره، ص 94. وانظر: يوسف خليف، الشعراء الصعاليك في العصر الجاهلي، ص 242. الصوح: حائط الوادي وأسفل الجبل.

وبالشِّعْبِ إذا سدّتْ بَجِيلَةُ فجّهُ ومن خَلفه هُضْبٌ صعابٌ وجاملُ[1]

حيث إنه لم يقصد شعبًا بعينها، بل إنه يصف حال انصرافه من إحدى غزواته، ثم دخل وصاحبه مع الأنعام التي غنموها شعبًا لا على التعيين، فتبعهم رجال قبيلة (بَجيلةَ) في أثرهم لاسترداد ما سلب منهم.

2- دلالة الخصوص: وهي أن يسمي الشاعر شعابًا مقصودة منسوبة إلى مواضع جغرافية تحدد المكان بدقة، وتارة، في ذكر اسم الشعب الذي قصده في البيت. ومن الأمثلة على ذلك قول القتَّال الكلابي:

بَغَمَتْ فَلَمْ يُصْحَبْ لها فاستقْبَلَتْ مِنْ عَاقِلٍ شِعْبًا يَسِلْنَ دَوافِعَا[2]

والشعب التي قصدها الشاعر في البيت جمع شعبة، وهي المسيل الصغير. وهي شعبٌ متفرعة من وادٍ يقال له (عاقل) وهو وادٍ في أرض نجد. وجاء في كتاب معجم ما استعجم

من أسماء البلاد والمواضع في تحديد موضع (عاقل) ما نصه: "عاقل: واد يمرّ بين الأنعمين وبين رامة، حتّى يصبّ فى الرّمة"[3].

وجاء في تحديد هذا الموضع ما نصه: "عاقل: بكسر القاف على وزن فاعل، قال عمارة: هو ماء لبني أبان بن دارم من وراء القريتين... وهو مذكور ،أيضًا، في رسم بيشة. وقال الطّوسى عن شيوخه: عاقل جبل كان يسكنه حُجْر أبو امرئ القيس، قال رجل من المُعَمِّرين:

وأعقل حُجْرًا ذا المرَّارِ بعاقلٍ ... وأيّامِ بَكْرٍ إذ تعاوَتْ وَتَغْلِبِ

وبطن عاقل كان الأسود بن المنذر إذ اجتمع عنده خالد بن جعفر والحارث ابن ظالم، فقتل الحارث خالدًا فى حديث طويل. وقال جرير:

---

1 - ديوان تأبط شرًّا وأخباره، ص 157.
2 - ديوان القتَّال الكلابي، ص 68.
3 - عبد الله بن عبد العزيز بن محمد البكري الأندلسي، معجم ما استعجم من أسماء البلاد والمواضع، ط3، عالم الكتب، بيروت، 1403هـ، ج2، ص 652.

لمن الديار بعاقل فالأنعم ... كالوحى فى ورق الزّبور الأعجم"[1]

نلاحظ عدم الاتفاق في حقيقة اسم الموضع (عاقل) فهو واد عند بعضهم، واسم جبل عند آخرين، بيد أن الذي يهمنا من هذا التحديد هو الدلالة الخاصة التي جاء بها الشاعر القتال الكلابي باستدعاء أسماء مواضع بعينها دون سواها، فلم يجعلها في سياق العموم.

ومن أمثلة دلالة الخصوص قول تأبَّط شرًّا:

إنَّ بالشِّعبِ الذي دون سَلْعٍ لقتيلاً دمهُ ما يطلُّ[2]

حيث إن الشِّعب الذي قصده الشاعر في بيته معلوم بأنه بالقرب من موضع يسمى (سَلْع)، وقد ذكر التبريزي في شرح هذا البيت ما نصُّهُ: "الشِّعب الطَّرِيق فِي الْجَبَل، وسلع: مَوضِع، وَقَوله: (دَمه مَا يطلّ)، يُقَال: طل دَمه بِالْفَتْح وطل بِالضَّمِّ، وَهُوَ أَكثر طلًّا ذهب هدرًا لَا يثأر بِهِ، وَالْمعْنَى: أَن الْقَتِيل الَّذِي بِالشعبِ دون سلع لَا يذهب دَمه هدرًا"[3].

وجاء في معجم ما استعجم من أسماء البلاد والمواضع ما نصه: " سَلْع: بفتح أوّله، وإسكان ثانيه، بعده عين مهملة: جبل متّصل بالمدينة"[4]. وتجدر الإشارة هنا إلى أن عبدالله البكري الأندلسي نسب البيت السابق لابن أخت تأبط شرًّا، بما نصه: "قال ابن أخت تأبّط شرًّا:

إنَّ بالشّعب الّذي دون سلع لقتيلاً دمه ما يطلّ"[5]

بيد أن البيت ورد في ديوان الشاعر تأبط شرًّا منسوبًا إليه. وتتضح دلالة الخصوص في هذا البيت تحديد الشاعر لمكان الشِّعب بأنه دون جبل سلع، ولم يترك دلالة التحديد عائمة في سياق العموم.

---

1 - عبد الله بن عبد العزيز بن محمد البكري الأندلسي، معجم ما استعجم من أسماء البلاد والمواضع، ج3، ص 913.
2 - ديوان تأبط شرًّا وأخباره، ص 247.
3 - يحيى بن علي بن محمد الشيباني، شرح ديوان الحماسة، د.ط، دار القلم، بيروت، د.ت، ص 342.
4 - عبد الله بن عبد العزيز بن محمد البكري الأندلسي، معجم ما استعجم من أسماء البلاد والمواضع، ج3، ص 747.
5 - عبد الله بن عبد العزيز بن محمد البكري الأندلسي، معجم ما استعجم من أسماء البلاد والمواضع، ج3، ص 747.

ومن أمثلة دلالة الخصوص قول الشنفرى:

وشِعبِ نجدٍ لم أَهَبْ عُرَامَهْ[1]

والعُرام هو الغزير الكثير، وقد سمى الشاعر الشِّعب دون تحديد دقيق له، فقال (شعبِ نجدٍ) أي؛ أن هذا الشِّعب موجود في أرض نجد، وإنه هنا لم يجعله في سياق العموم المطلق، فجاءت دلالته دلالة تخصيص.

ب. الجداول

قال أبو منصور الثعالبي في كتابه (فقه اللغة وأسرار العربية) في ترتيب الأنهار تحت فصل (في ترتيب الأنهار عند الأئمة) ما نصُّهُ: "أصغر الأنهار الفلجُ، ثم الجدولُ أكبر منه قليلاً، ثم السريُّ ثم الجعفرُ، ثم الربيعُ ثم الطبعُ، ثم الخليجُ"[2].

وقد ورد لفظ (الجدول) لدى ما وقفت عليه من قصائد الشعراء الصعاليك في موضع واحد في قول الشاعر تأبَّط شرًا موظفًا الجدول في سياق الكناية:

حيثُ التقتْ فَهْمٌ وبَكْرٌ كُلَهَا والدَّهرُ يَجري بينَهُمْ كالجَدْوَلِ[3]

استعمل الشاعر لفظ الجدول في سياق الموافقة للحقل الدلالي للمفردة نفسها، بما تعنيه من جريان الماء في النهر الصغير.

1- الأحواض: والحوض لغةً كما ورد في لسان العرب: "حوض: حاض الماء وغيره حوضًا. وحوَّضه: حاطه وجمعه. وحضت أحوض: اتخذت حوضًا. واستحوض الماءُ: اجتمع. والحوض: مجتمع الماء معروف، والجمع أحواض وحياض. وحوض الرسول صلى الله عليه وسلم: الذي يسقي منه أمته يوم القيامة. حكى أبو زيد: سقاك الله بحوض الرسول ومن حوضه. والتحويض: عمل الحوض"[4].

1 - ديوان الشنفرى، ص 76.
2 - أبو منصور الثعالبي، فقه اللغة وأسرار العربية، ص 307.
3 - ديوان تأبط شرًا وأخباره، ص 194.
4 - ابن منظور، لسان العرب، مادة (حَوَضَ).

وقال الثعالبي في فصل (في الحياض) ما نصُّهُ: "عن الأئمة: المقراةُ: الحوض يجمع فيه الماء، الشربةُ: الحوض يحفرُ تحت النخلة ويملأ ماءً لتشرب منه، النضحُ: الحوض يقرب من البئر حتى يكون الإفراغ فيه من الدلو، الجزموز: الحوض الصغير، الجابية: الحوض الكبير، الدُّعثور: الحوض الذي لم يتأنق في صنعته"[1].

يكون الحوض من صناعة البشر للاحتفاظ بماء المطر واستعماله لاحقًا في الحياة اليومية، بينما يكون الغدير تجمعًا طبيعيًّا للماء نتيجة انخفاض أرضه مما سمح للماء بالاستقرار في هذا الموضع. ومن ذلك، ما نظمه عبدة بن الطبيب:

لنا أصيصٌ كجذم الحوض هدَّمهُ وطءُ العِراكِ لديهِ الزِّقُّ مغلول[2]

وفيما نظمه حبيب الأعلم الهذلي:

تخافُ لزامَ عَادِيةٍ ثَعول كما يتفجَّرُ الحوضُ اللفيفُ[3]

حيث شبه الشاعر انقضاض جماعة من الصعاليك العدَّائين من كل ناحية على فريسة عرضت لهم في أثناء تربصهم بالصحراء، بتفجر الماء من حوضٍ قديمٍ متهدمٍ يحاول صاحبه أن يصلحه لكن الماء يغلبه فيتفجَّر من شتى نواحيه، وهي صورة من صميم المعجم المائي في بيئة الشاعر.

كما قال الشاعر أبو الطمحان القيني في انصراف النساء عنه:

فَأَصبَحنَ قَد أَقهَينَ عَنّي كَما أَبَت حِياضَ الأَمِدّانِ الهِجانُ القَوامِحُ

وأصبَحنَ لا يَسقينَني من مَوَدَّةٍ بَلالاً ولو سالَت لَهُنَّ الأباطِحُ[4]

1 - أبو منصور الثعالبي، فقه اللغة وأسرار العربية، ص 308.
2 - يحيى الجبوري، شعر عبدة بن الطبيب، ص 80.
3 - يوسف خليف، الشعراء الصعاليك في العصر الجاهلي، ص 218.
4 - يوسف خليف، الشعراء الصعاليك في العصر الجاهلي، ص 314.

وقد أتى بعض الشعراء على ذكر أجزاء الحوض ومسمياته، كما في قول القتَّال الكلابي:

ومشيتُ في أعطافِهِ مُتدنيًا وأحطت أقفر من حيال المورد[1]

أعطاف الحوض: أي؛ أطرافه، وهو ما تدل عليه الأبيات السابقة لهذا البيت في قصيدة الشاعر، وقد بيّن شارح الديوان أن الضمير المتصل (الهاء) يعود إلى الحوض المستفاد من السياق.

ومن ذلك، قول القتَّال الكلابي :

وسفعٍ كذودِ الهاجِريِّ بجَعجعٍ تحفرُ في أعقارِهنّ الهَجَارِسُ[2]

والأعقار: جمع عقر، وهو مؤخر الحوض ونهاية حده.

نلاحظ أن حضور أحواض الماء لم يكن غائبًا في شعر الصعاليك؛ إذ يعد الحوض جزءًا مهمًّا من بيئة الشاعر البدوي، وإنه من المنطقي أن يستعمله ويوظفه في شعره ضمن دلالتي العموم والخصوص، أو الإتيان على ذكر أجزاء الحوض كما رأينا عند القتال الكلابي.

2- الغدران: الغدير لغة في لسان العرب: "القطعة من الماء يغادرها السيل؛ أي؛ يتركها. وقال اللحياني: الغدير اسم، ولا يقال هذا ماء غدير، والجمع: غُدُر وغُدْرَان. قال الليث: الغدير:

3- مستنقع الماء؛ ماء المطر، صغيراً كان أو كبيراً، غير أنه لا يبقى إلى القيظ إلا ما يتخذه الناس من عد، أو وجد، أو وقط، أو صهريج، أو حائر"[3].

وتعد الغدران قليلةً في بادية العرب الواسعة، حيث يعزُّ الوصول إليها إلا بالجهد والمشقة، كما أن العثور عليها لا يكون إلا بعد طول بحث، عدا أولئك الذين حفظوا مواضعها فلزموها واستدلوا عليها، كأن يبحثوا في الأرض المنخفضة ذات الطبيعة الصخرية التي تحفظ ماء المطر بعد هطوله.

---

1 - ديوان القتَّال الكلابي، ص 42.
2 - ديوان القتَّال الكلابي، ص 65.
3 - ابن منظور، لسان العرب، مادة (غَدَرَ).

وفي أساليب توظيف الألفاظ الدالة على الغدران، فقد جاءت ضمن دلالتين اثنتين؛ دلالة العموم ودلالة الخصوص، وهما على النحو الآتي:

- دلالة العموم: وفيها يذكر الشاعر غدير الماء دون تحديد مكانه أو موضعه من الأرض، ويسلكه في دلالة العموم لتوظيف معناه في السياق، ومن ذلك، قول الشنفرى في ذكر الغدير صراحة:

حسامٌ كلونِ المِلحِ صَافٍ حَديدُهُ جرازٍ كأقطاعِ الغَديرِ المُنعتِ[1]

يذكر الشاعرُ الغديرَ في سياق وصف السيفِ فخرًا ومدحًا، فيشبه لمعان السيف بلمعان غدير الماء وقد تموّج سطحه من الريح، فظهر به نور الشمس متقطعًا. وأقطاع الغدير: هي القِطع من مائه يضربها الهواء فتنكسر وتبرق[2].

- دلالة الخصوص: وتعد هذه الدلالة من صميم السياق الجغرافي، وهي أن يذكر الشاعر غديرًا بعينه واسمه المشهور به في زمنه، فيشير إلى موضعه من خلال قرائن بيئية كالجبال أو الأودية أو المواضع المشهورة، وقد اهتم بعض الشعراء بذكر الأماكن التي تتضمن غدران الماء، فمن ذلك ما نجده في قول الشنفرى:

وأمشي لدى العَصدَاءِ أَبغي سُراتَهمُ وأسلكُ خلًّا بينَ أَرفَاغِ والسَّردِ[3]

1 - ديوان الشنفرى، ص 36. وانظر: ديوان الشنفرى، ص 98.
2 - ديوان الشنفرى، ص 36. الحاشية.
3 - ديوان الشنفرى، ص 42.

(العصداء) هي "أرض لبني سلامان، فيها نقاع يشربون منها الماء، قال ابن دريد: الأرفغ: موضع على وزن أفعل، بالغين المعجمة"[1]. والعصداء: "بفتح أوّله، وإسكان ثانيه، بعده دال مهملة، ممدود كالذي قبله، أرض لبني سلامان"[2]. وهي موضع مشهور في تلك البقعة من الأرض، وجاءت شهرتها نسبة إلى قلة الغدران في البيئة الصحراوية، مما جعل القبائل تختار غدران الماء الكبيرة لتقيم على أطرافها وتستفيد من مائها في معاشها.

وإلى الموضع نفسه أشار الشاعر حاجز بن عوف الأزدي في قوله:

بقارعةِ الغريفِ فذاتِ مشيٍ إلى العصداءِ ليسَ بها مقيمُ

منازلُ عذبةِ الأنيابِ خودٍ فما إنْ مثلُها في النَّاسِ نيمُ[3]

"قال محمّد بن حبيب: العصداء: أرض لبني سلامان، فيها نقاع يشربون منها الماء"[4].

ومن المواضع التي حملت دلالة الخصوص قول القتَّال الكلابي :

سقى الله ما بين الشطون وغمرة وبئر دريرات وهضب دثين[5]

1 - عبد الله بن عبد العزيز بن محمد البكري الأندلسي، معجم ما استعجم من أسماء البلاد والمواضع، ج1، ص 139.
2 - عبد الله بن عبد العزيز بن محمد البكري الأندلسي، معجم ما استعجم من أسماء البلاد والمواضع، ج3، ص 946.
3 - محمد بن المبارك بن محمد بن ميمون البغدادي، منتهى الطلب من أشعار العرب، ص 384.
4 - عبد الله بن عبد العزيز بن محمد البكري الأندلسي، معجم ما استعجم من أسماء البلاد والمواضع، ج1، ص 139.
5 - ديوان القتَّال الكلابي، ص 92.

و(الشطون) غدير ماء لقبيلة بني أبي بكر بن كلاب[1]. وجاء في معجم ما استعجم من أسماء البلاد والمواضع عن ديار بني أبي بكر ما نصه: "ثم الجبال الحمر التي تدعى قطّبيّات، في ناحية دار بني أبي بكر بن كلاب، ولهم هنالك ماءان، الشّطون وحفيرة

خالد، بين الأقعس والقطبيّات"[2]. وقيل : "الشطون: ماءة لقيس بن جرذ في جبل يقال له: شعري"[3].

ومن دلالة الخصوص قول القتَّال الكلابي :

دعاءً بذي البُرْدَينِ مِنْ أُمِّ طَارِقٍ فيا عَمرُو هل تبدو لنا فتجيبها؟[4]

و(ذي البردين) غديرا ماء في أرض نجد[5].

ومن ذلك، في هذين الغديرين :

وترعى بذي البُرْدَين ثم مقيلها غياطل ملتج عليها ظلالها[6]

ومنه ما نظمه القتَّال الكلابي :

عفت فردةُ من أهلها فجنابها فحرةُ ليلى سهلها وهضابها[7]

---

1 - **ديوان القتَّال الكلابي، ص 92. الهامش من كلام شارح الديوان.**
2 - **عبد الله بن عبد العزيز بن محمد البكري الأندلسي، معجم ما استعجم من أسماء البلاد والمواضع، ج9، ص 978.**
3 - **محمود بن عمرو بن أحمد، الزمخشري، الجبال والأمكنة والمياه، تحقيق: أحمد عبدالتواب عوض، دار الفضيلة للنشر والتوزيع، القاهرة، 1999م، ص 191.**
4 - **ديوان القتَّال الكلابي، ص 30.**
5 - **ديوان القتَّال الكلابي، ص 30. الهامش من كلام شارح الديوان.**
6 - **ديوان القتَّال الكلابي، ص 79.**
7 - **ديوان القتَّال الكلابي، ص 33.**

و(فردة) ذكرها البكري بما نصه: "فردة: بفتح أوّله، وإسكان ثانيه، بعده دال مهملة: ماء من مياه نجد"[1]. وقال : "فردة: وهو ماء من مياه جرم من طيّيء"[2]. وقال: "فردة: ماءة من مياه جرم"[3].

(حرة ليلى)؛ وتسمى: "الحرة القصوى"[4]، وهي موضع في شبه الجزيرة العربية، وقال البكري في تحديد موضعها: "حرّة ليلى: بديار قيس؛ وكذلك حرّة راجل"[5]. وقيل: "هي غدير ماء بأرض قبيلة بني كلاب"[6].

ومن دلالة الخصوص قول القتَّال الكلابي:

سقى الله حيًّا من فزارةَ دارُهم بسبَّى كرامًا حيثُ أمسوا وأصبحوا[7]

(سبَّى) قال البكري: "سبَّى: بفتح أوّله، وتشديد ثانيه، مقصور، على وزن فعلى: رملة معروفة بديار غطفان"[8]. وقال شارح الديوان: "سبَّى: غدير ماء لبني سليم"[9].

كما قال القتَّال الكلابي :

---

1 - عبد الله بن عبد العزيز بن محمد البكري الأندلسي، معجم ما استعجم من أسماء البلاد والمواضع، ج3، ص 1017.
2 - عبد الله بن عبد العزيز بن محمد البكري الأندلسي، معجم ما استعجم من أسماء البلاد والمواضع، ج3، ص 1018.
3 - عبد الله بن عبد العزيز بن محمد البكري الأندلسي، معجم ما استعجم من أسماء البلاد والمواضع، ج4، ص 1273.
4 - ابن الحائك، الحسن بن أحمد بن يعقوب الهمداني، صفة جزيرة العرب، مطبعة بريل - ليدن، إنجلترا، 1884 م، ج1، ص 143.
5 - عبد الله بن عبد العزيز بن محمد البكري الأندلسي، معجم ما استعجم من أسماء البلاد والمواضع، ج2، ص 436.
6 - ديوان القتَّال الكلابي، ص 33. الهامش من كلام شارح الديوان.
7 - ديوان القتَّال الكلابي، ص 39.
8 - عبد الله بن عبد العزيز بن محمد البكري الأندلسي، معجم ما استعجم من أسماء البلاد والمواضع، ج3، ص 716.
9 - ديوان القتَّال الكلابي، ص 39. الهامش من كلام شارح الديوان.

يا هل تراءى بأعلى عاسمٍ ظعنٌ نكَّبنَ فَحْلَينِ واستَقبلْنَ ذَا بَقَرِ[1]

قصد الشاعر بالفحلين: "الفحلان: جبلان صغيران هناك"[2].

(ذو بقر) قال البكري: "قاع هناك يقرى فيه الماء"[3]. وقال: "ذو بقر: قرية فى ديار بني أسد. وقال أبو حاتم، عن الأصمعي: هو قاع يقرى الماء. وقال يعقوب: ذو بقر: واد فوق

رسم الرّبذة"[4]. وأوضح البكري الفرق بين ذي بقر وذو بقر بما نصه: "والعنانة: موضع بذي بقر، ولكن ذو بقر في ديار بني أسد"[5].

وأنشد أبو حاتم هذا البيت للراعي مع اختلاف في بعض ألفاظه، فقال:

هل تُؤنسونَ بأعلى عَاسمٍ ظعنًا وَرَّكنَ فَحْلَيْنِ وَاسْتَقْبَلْنَ ذَا بَقَرِ[6]

(عاسم) قال شارح الديوان: "عاسم: غدير ماء لبني كلب"[7]. بينما يرى البكري أن (عاسم) مصحفة عن (جاسم) التي هي موضع في بلاد الشام اشتهر بجآذره وغزلانه، فقال: "وعاسم: بالشام، قال ابن الرّقاع:

---

1 - ديوان القتَّال الكلابي، ص 53.
2 - عبد الله بن عبد العزيز بن محمد البكري الأندلسي، معجم ما استعجم من أسماء البلاد والمواضع، ج1، ص 198.
3 - عبد الله بن عبد العزيز بن محمد البكري الأندلسي، معجم ما استعجم من أسماء البلاد والمواضع، ج1، ص 198.
4 - عبد الله بن عبد العزيز بن محمد البكري الأندلسي، معجم ما استعجم من أسماء البلاد والمواضع، ج1، ص 262- 263.
5 - عبد الله بن عبد العزيز بن محمد البكري الأندلسي، معجم ما استعجم من أسماء البلاد والمواضع، ج3، ص 978.
6 - عبد الله بن عبد العزيز بن محمد البكري الأندلسي، معجم ما استعجم من أسماء البلاد والمواضع، ج1، ص 198.
7 - ديوان القتَّال الكلابي، ص 53. الهامش من كلام شارح الديوان.

وَكَأنّها بينَ النِّسَاءِ أَعَارَهَا عَينَيهِ أَحْوَرُ مِنْ جَآذِرِ عَاسِمِ

ويروى: (من جآذر جاسم)"[1].

وقال الشاعر عروة بن الورد:

ذكرتُ منازلاً من أمِّ وهبٍ محلَّ الحيِّ أسفل ذي النَّقيرِ[2]

(ذي النقير) قال البكري: "النقير: بفتح أوّله، وكسر ثانيه، بعده ياء وراء مهملة: موضع بين الأحساء والبصرة. وقال ابن دريد: النّقير: لبني القين وكلب"[3].

وفي قول صخر الغي الهذلي دلالة خصوص :

كأنِّي بالحَلاءة شَاتيًا تقفعُ أعلى أنفه أُمٌّ مرزمِ[4]

(حلاءة) اختلف العلماء في تحديد معناها الدقيق، فقال ابن دريد أنها أرض ولكنه قال إن ذلك ليس بثبت[5]. أما في في معجم ما استعجم: "الحَلاءة: بكسر أوله والمد، على وزن فعالة: موضع بالسراة"[6]، على حين ذكر ابن سيده: "الحلاءة: اسم ماء"[7]. أما ابن منظور فإنه نقل هذه الآراء من غير أن يقطع برأي منها، فقال: "الحلاءة: الأرض، حكاه ابن دريد، قال: وليس بثبت... وقيل: هو اسم ماء، وقيل هو اسم موضع"[8].

ولدى صخر الغي الهذلي :

---

1 - عبد الله بن عبد العزيز بن محمد البكري الأندلسي، معجم ما استعجم من أسماء البلاد والمواضع، ج3، ص 725- 726.
2 - ديوان عروة بن الورد، ص 63.
3 - عبد الله بن عبد العزيز بن محمد البكري الأندلسي، معجم ما استعجم من أسماء البلاد والمواضع، ج4، ص 1323.
4- ديوان الهذليين، ج2، ص 226.
5- ابن دريد، جمهرة اللغة، ج1، ص 572.
6- البكري، معجم ما استعجم، تحقيق: مصطفى السقا، ط1، لجنة التأليف والترجمة والنشر، 1975م، ج2، ص 461.
7- ابن سيده، المحكم، تحقيق: مجموعة من المحققين، ط1، مكتبة البابي الحلبي، مصر، 1972م، ج3، ص 312. مادة (حلأ).
8- ابن منظور، لسان العرب، مادة (حلأ).

إلى عَمَرَيْنَ إلى غيقةٍ فيليل يهدي ربحلاً رجوفا[1]

(عَمَـرَيْنَ) قـال يـاقوت الحمـوي في تحديـد موضـعها اسـتنادًا إلى هـذا البيـت مـا نصـه: "عَمَـرَانِ: بالتحريـك، كأنـه ضـمّ إلى عمـر الـذي في بـلاد هـذيل موضـعًا آخـر، فقـال عمـران: ولم يـرد التثنيـة، والعمـر، بالتحريـك: منـديل أو غـيره تغطّـي بـه نسـاء الأعـراب رؤوسـهن، وهـو عمـر، وإنمـا ثنّـاه ضرورة لإقامـة الـوزن، ويفعلـون ذلـك كثـيراً، وربمـا جمعـوه، وهـو واحـد"[2]. فهـو يـرى بـأن عَمَـرَين هـي في الأصـل عَمَـرَان، بيـد أن الشـاعر أوردهـا هكـذا لإقامـة الـوزن الشعري، وضرورة ذكره لهذا الموضع دون غيره.

(غيقـة) وهـي موضـع، لكنـه غـير محـدد بدقـة، مـما يشـير إلى غرابتـه؛ إذ إن فيـه أقـوالاً، منهـا: "موضـع بـين مكـة والمدينـة"[3]. وأنهـا "غـدير مـاء لبنـي ثعلبـة"[4]، ولم تـرد الغيقـة في الصـحاح[5]، وجـاء في تـاج العـروس: "وقـال أبـو محمـد الأسـود: إذا أتـاك غيقـة في شـعر هـذيل فهـو بـالعين المهملـة، وإذا أتـاك في شـعر كثـير فهـو بـالغين..."[6]. وقيـل: "غيقـة هـو مكـان بـين مكـة والمدينة لبني غفـار"[7]. وجـاء : "غيقـة وهـو بفـتح الغـين المعجمـة بعـدها يـاء سـاكنة ثـم قـاف مفتوحـة ثـم هـاء قـال السـكوني هـو مـاء لبنـي غفـار بـين مكـة والمدينـة وقـال يعقـوب هـو قليب لبني ثعلبة يصب فيه ماء رضوى ويصب هو في البحر"[8].

1- ديوان الهذليين، ج2، ص 71.
2 - ياقوت الحموي، معجم البلدان، ج4، ص 153.
3- الحسـن بـن الحسـين السـكري، شـرح أشـعار الهـذليين، ج1، ص 249. وانظـر: ديـوان الهذليين، ج2، ص 71.
4- ابن منظور، لسان العرب، مادة (غبق).
5- الجوهري، الصحاح: تاج اللغة وصحاح العربية، ج4، ص 1539.
6- محمـد مرتضـى الحسـيني الزبيـدي، تـاج العـروس مـن جـواهر القـاموس، تحقيـق: مصـطفى حجـازي، مـن إصـدارات التـراث العربـي: سلسـلة تصـدرها وزارة الإعـلام فـي دولـة الكويـت، العدد (16)، مطبعة حكومة الكويت، 1987م، مادة (غوق).
7 - ابن حجر، فتح الباري، 164/1.
8 - ابن حجر، فتح الباري، 23/4.

(يليـل) ويسـمى "وادي الصـفراء"[1]. "وجـاء ذكـر هـذا الـوادي في غـزوة بـدر، بـل في معركـة بـدر، في تحديـد مكـان قـريش مـن المعركـة. وكـان وادي الصـفراء يطلـق عـلى أسـفله الـذي يمـرّ ببدر اسم يليل، أو وادي بدر. ولم يعد يعرف اسم يليل"[2].

ومن دلالة الخصوص في الغدران ذكر غدير حوضى، ومنه قول القتَّال الكلابي:

وما أنسَ م الأشياء لا أنسَ نسوةً طوالع من حَوضى وقد جنحَ العصرُ[3]

وما نظمه :

بشرقيّ حَوضَى أخَّرتني منازلٌ قِفارٌ جلا لي عن معارفها القَطْرُ[4]

وما نظمه :

طَوالعُ مِن حَوضى الرَّداة كأنَّها نواعمُ من مُرَّان أوقرها البسرُ[5]

(مـرَّان) بِفَـتْحِ المـيم وتَشْـدِيْدِ الـراء والنـون: بـين الْبَصْرَـة ومَكَّـة، لبنـي هـلال مـن بنـي عـامر، وقيل: بين مَكَّـة وَالْمَدِيْنَـة وقيـل: في الحجـاز، قَرْيَـة يُقَـالُ لهـا مـران، قـال الكنـدي: وهـي قَرْيَـة غنـاء كبـيرة، كثـيرة العيـون والآبـار والنخيـل والمـزارع، وهـي عـلى طريـق الْبَصْرَـة لبنـي هـلال وجسر، ولبنـي مـاعز، وبهـا حصـنٌ، ومنـبرٌ، وبهـا نـاسٌ كثـيرٌ. وبِضَـمِّ المـيم: ناحيـة بالشـام"[6]. واسـتدرك البكـري عـلى ذلـك فقـال: "مُـرَّان بضـم المـيم موضـع آخـر، ولـيس بالشـام"[7].ومـا نظمه :

---

1 - ياقوت الحموي، معجم البلدان، ج2، ص 342.
2 - محمـد بـن محمـد حسـن شُـرَّاب، المعـالم الأثيـرة فـي السـنة والسـيرة، ط1، دار القلـم، الـدار الشامية - دمشق- بيروت، 1411هـ، ص 301.
3 - ديوان القتَّال الكلابي، ص 49.
4 - ديوان القتَّال الكلابي، ص 49.
5 - ديوان القتَّال الكلابي، ص 49.
6 - محمـد بـن موسـى بـن عثمـان الحـازمي الهمـداني، الأمـاكن أو مـا اتفـق لفظـه وافتـرق مسماه من الأمكنة، ص 833.
7 - عبـد الله بـن عبـد العزيـز بـن محمـد البكـري الأندلسـي، معجـم مـا اسـتعجم مـن أسـماء الـبلاد والمواضع، ج2، ص 602.

سرى بديارِ تغلبَ بينَ حَوضَى وبينَ أبارقِ الثمدينِ سارِ[1]

نلاحظ أن الشاعر القتال الكلابي أكثر من استعمال غدير ماء (حوضى) مكررًا في الأبيات الأربعة السابقة، وقد أشار ياقوت الحموي إلى أن شعراء هذيل أكثروا من ذكر هذا الماء في أشعارهم، ولعله أشهر مياههم آنذاك، وحدد موضعه بأن يكون ضمن حدود قبيلة هذيل أو قريبًا منها، فقال ما نصه:

"حَوْضَى: بالفتح ثم السكون، مقصور، بوزن سكرى، فهو لا ينصرف معرفة ولا نكرة للتأنيث ولزومه: هو اسم ماء لبني طهمان بن عمرو بن سلمة بن سكن ابن قريط بن عبد بن أبي بكر بن كلاب إلى جنب جبل في ناحية الرمل، وقد تقدّم أنه حوضاء ممدود، والله أعلم، وقد أكثرت شعراء هذيل من ذكر هذا في شعرهم فإن لم يكن في بلادهم فهو قريب منها"[2].

وقال البكري: "حوضى: بفتح أوّله وإسكان ثانيه، وبالضاد المعجمة، على وزن فعلى: موضع في ديار بني قشير، أو بنى جعدة"[3]. قال ابن حبيب: "حوضى ماء لعبد الله بن كلاب إلى جنب جبلٍ في ناحية الرمل"[4]. وقال شارح ديوان القتال الكلابي: "حوضى: غدير ماء لبني طهمان بن عمرو بن سلمة من بني كلاب[5].

تظهر عناية الشعراء بذكر مواضع غدران الماء واستعمالها في قصائدهم بالتوظيف الحقيقي والآخر المجازي، سواءً أكان هذا التوظيف في سياق الوصف والتشبيه، أو كان في سياق ذكر المكان بعينه والتركيز عليه، وهي سمة صبغت شعر القتال الكلابي أكثر من غيره من الشعراء الصعاليك المعاصرين له.

1 - ديوان القتَّال الكلابي، ص 62. الثمد: الماء القليل. سار: يعني السحاب.
2 - ياقوت الحموي، معجم البلدان، ج2، ص 321.
3 - عبد الله بن عبد العزيز بن محمد البكري الأندلسي، معجم ما استعجم من أسماء البلاد والمواضع، ج2، ص 475.
4 - محمد بن موسى بن عثمان الحازمي الهمداني، الأماكن أو ما اتفق لفظه وافترق مسماه من الأمكنة، ص 520.
5 - ديوان القتَّال الكلابي، ص 49. الحاشية.

4- القِيعَان: والقاع لغة في لسان العرب: "والقاع والقاعة والقيع: أرض واسعة سهلة مطمئنة مستوية حرة، لا حزونة فيها ولا ارتفاع ولا انهباط، تنفرج عنها الجبال والآكام، ولا حصى فيها ولا حجارة، ولا تنبت الشجر، وما حواليها أرفع منها، وهو مصب المياه، وقيل: هو منقع الماء في حر الطين، وقيل: وهو ما استوى من الأرض وصلب ولم يكن فيه نبات، والجمع أقواع وأقوع وقيعان، وصارت الواو ياء لكسرة ما قبلها وقيعة لا نظير له إلا جار وجيرة. قال أبو الهيثم: القاع الأرض الحرة الطين التي لا يخالطها رمل فيشرب ماءها، وهي مستوية ليس فيها تطامن ولا ارتفاع، وإذا خالطها الرمل لم تكن قاعًا؛ لأنها تشرب الماء فلا تمسكه، ويصغر قويعة من أنث، ومن ذكر قال: قويع، ودلت هذه الواو أن ألفها مرجعها إلى الواو، قال الأصمعي: يقال: قاع وقيعان، وهي طين حر ينبت السدر. القاع: المكان المستوي الواسع في وطاءة من الأرض، يعلوه ماء السماء فيمسكه ويستوي نباته، أراد أن ماء المطر غسله فابيض أو كثر عليه فبقي كالغدير الواحد"[1].

ومن أسماء القيعان:

- الوَقِيعَة: الوقيعة: "المكان الصلب الذي يمسك الماء، والجمع الوقائع"[2]. ومن ذلك، ما نظمه أبو الطمحان القيني:

إذا شاء راعيها استقى من وقيعةٍ كعين الغراب صفوها لم يكدَّرِ[3]

استعار الشاعر صفة (عين الغراب) لوصف نقاء الماء المتجمع في الوقيعة. ويُضرب المثل بعين الغراب في الصفاء وحِدّة البصر.

- النُّطْفة: وهي "النُّطفة بالضم: الماء الصافي قلَّ أو كثر. وقال الأزهري: والعرب تقول للمويهة القليلة نطفة، وللماء الكثير نطفة، وهو بالقليل أخصُّ"[4]. ومن مواضع ورودها في شعر الصعاليك ما نظمه الشاعر تأبط شرًّا:

---

1 - ابن منظور، لسان العرب، مادة (قَوَعَ).

2 - عمرو بن بحر الجاحظ، الحيوان، ط2، دار الكتب العلمية، بيروت، 1424هـ، ج3، ص 200.

3 - يوسف خليف، الشعراء الصعاليك في العصر الجاهلي، ص 298.

4 - محمد مرتضى الحسيني الزبيدي، تاج العروس من جواهر القاموس، ج24، ص 419. مادة (نطف).

بهِ نُطَفٌ زُرقٌ قليلٌ تُرابها جلا الماءُ عن أرجائها فهو حائرُ[1]

ومن ذلك، قول قيس بن الحدادية :

فما نُطفةٌ بالطود أو بضريَّةٍ بقيَّة سيلٍ أحرزتها الوقائع[2]

يشير الشاعر هنا إلى بقية الماء التي تنحبس في شق صخري فلا يمكن أن يطالها أحد، ولعل انحباسها بعيدًا عن أشعة الشمس قد أمن لها الحفظ والبقاء أطول مدة ممكنة، وتتكون مثل هذه النطف من السيول التي مرت بالمكان ثم جفت، بينما ظل أثرها مخزونًا بين الشقوق الصخرية.

ومن ذلك، قول تأبَّط شرًّا:

وشعبٍ كشلِّ الثوبِ شكسٍ طريقهُ مجامعُ صوحيه نطافٌ مخاصرُ[3]

ولعل الشاعر يقصد بقوله (نطافٌ) أن لهذا الشعب (مسيل الماء الصغير) قيعانًا صغيرة من الماء في حوافِّه بين شقوق الصخر لم تطلها حرارة الشمس لتبخرها ولم تطلها الأنعام فتشرب منها.

- البِّيْض: وهو من الجذر اللغوي (بَيَضَ) ومن معانيه في اللغة: "بيض: البياض: ضد السواد، يكون ذلك في الحيوان والنبات وغير ذلك مما يقبله غيره. البياض: لون الأبيض، وقد قالوا بياض وبياضة كما قالوا منزل ومنزلة، وحكاه ابن الأعرابي في الماء ، وجمع الأبيض بيض، وأصله بيض، بضم الباء، وإنما أبدلوا من الضمة كسرة لتصح الياء، وقد أباض وابيض"[4]. ويطلق على الماء اسم الأبيض، والأبيضان هما الماء والحنطة. وتأتي مفردة (بيض) إشارة إلى الماء القليل أو بقايا الماء بعد مضي السيل، كما وضحها بذلك شارح الديوان في قول تأبط شرًّا:

1 - ديوان تأبط شرًّا، ص 96.
2 - حاتم صالح الضامن، شعر قيس بن الحدادية، ص 211.
3 - ديوان تأبط شرًّا وأخباره، ص 94. وانظر: يوسف خليف، الشعراء الصعاليك في العصر الجاهلي، ص 242. الصوح: حائط الوادي وأسفل الجبل.
4 - ابن منظور، لسان العرب، مادة (بيض).

به من نجاء الدَّلو بيضٌ أقرَّها جُبَارٌ لصمِّ الصخرِ فيه قراقرُ[1]

النجاء: السحاب الذي هراق ماءه ثم مضى. بيض: بقايا الماء. الجُبَار: السيل. فالشاعر لم يذكر لفظ الماء صراحة، لكنه أشار إليه بألفاظ تدل على الماء وأحواله.

- الثَّمْد: وهو من الجذر اللغوي (ثمد) ومن معانيه في لسان العرب: "الثمد: الماء القليل الذي لا ماد له، وقيل: هو القليل يبقى في الجلد، وقيل: هو الذي يظهر في الشتاء ويذهب في الصيف. وفي بعض كلام الخطباء: ومادة من صحة التصور ثمدة بكئة، والجمع أثماد. والثماد: كالثمد؛ وفي حديث طهفة: وافجر لهم الثمد، وهو - بالتحريك- الماء القليل أي: افجره لهم حتى يصير كثيراً؛ ومنه الحديث: حتى نزل بأقصى الحديبية على ثمد، وقيل: الثماد الحفر يكون فيها الماء القليل؛ ولذلك قال
- أبو عبيد: سجرت الثماد إذا ملئت من المطر غير أنه لم يفسرها. قال أبو مالك: الثمد أن يعمد إلى موضع يلزم ماء السماء يجعله صنعًا، وهو المكان يجتمع فيه الماء، وله مسايل من الماء، ويحفر في نواحيه ركايا فيملؤها من ذلك الماء، فيشرب الناس الماء الظاهر حتى يجف إذا أصابه بوارح القيظ، وتبقى تلك الركايا فهي الثماد"[2].

وقد ورد ذلك قول القتَّال الكلابي:

سرى بديارِ تغلبَ بينَ حَوضَى وبينَ أبارقِ الثمدينِ سارِ[3]

1 - ديوان تأبط شرًّا وأخباره، ص 95.
2 - ابن منظور، لسان العرب، مادة (ثمد).
3 - ديوان القتَّال الكلابي، ص 62. الثمد: الماء القليل. سار: يعني السحاب.

(أَبَـارِقُ الثَّمَـدَيْنِ) أوضـح معناهـا يـاقوت الحمـوي بمـا نصـه: "الأبـارق: جمـع أبـرق، والأبـرق والبرقـاء والبرقـة يتقـارب معناهـا: وهـي حجـارة ورمـل مختلطـة، وقيـل: كـل شـيئين مـن لـونين خلطـا فقـد برقـا"[1]. كـما أوضـح معناهـا في قـول القتـال الكـلابي السـابق بمـا نصـه: "أبـارق الثمـدين: تثنيـة الثَّمَـد، وهـو المـاء القليـل، وقـد ذكـر الثمـد في موضعه"[2].

- النُّـؤْي: وهـو مـن الجـذر اللغـوي (نـأي) ومـن معانيـه: "في التهـذيب: النـؤي الحـاجز حـول الخيمـة، وفي الصـحاح: النـؤي حفـرة حـول الخبـاء لـئلا يدخلـه مـاء المطـر. وأنأيـت الخبـاء: عملـت لـه نؤيًـا. ونأيـت النـؤي أنـآه وأنأيتـه: عملتـه. وانتـأى نؤيًـا: اتخـذه، تقـول منـه: نأيـت نؤيًـا. ويقـال انـأ نؤيـك، كقولـك انـع نعيـك إذا أمرتـه أن يسـوي حـول خبائـه نؤيًـا مطيفًـا بـه كـالطوف يصرف عنـه مـاء المطـر. والنهـير الـذي دون النـؤي: هـو الأتي، ومـن تـرك الهمـز فيـه قـال ن نؤيـك، وللاثنـين نيـا نـؤيكما، وللجماعـة نـوا نـؤيكم، ويجمـع نـؤي الخبـاء نـؤى، عـلى فعـل. وقـد تنأيـت نؤيًـا، والمنتأى: موضعه"[3].

1 - ياقوت الحموي، معجم البلدان، ج1، ص 59.
2 - ياقوت الحموي، معجم البلدان، ج1، ص 60.
3 - ابن منظور، لسان العرب، مادة (نأي).

ومنه قول حاجز بن عوف الأزدي:

فلأيًا ما يبين رثيد نؤيٍ ومرسى السفلين من الشجار[1]

ويشير الشاعر هنا إلى النؤي الذي هو الحجارة المرصوصة فوق بعضها أو الحفرة التي تحفر حول الخباء كي لا يدخله ماء المطر.

- القَلَتْ: وهي من الجذر اللغوي (قَلَتَ)، ومن معانيها عند ابن فارس: "الْقَافُ وَاللَّامُ وَالتَّاءُ أَصْلَانِ صَحِيحَانِ، أَحَدُهُمَا يَدُلُّ عَلَى هَزْمَةٍ فِي شَيْءٍ، وَالْآخَرُ عَلَى ذَهَابِ شَيْءٍ وَهَلَاكِهِ. فَالْأَوَّلُ الْقَلْتُ، وَهُوَ النُّقْرَةُ فِي الصَّخْرَةِ، وَالْجَمْعُ قِلَاتٌ"[2].

ومن ذلك، قول القتَّال الكلابي:

وكانتْ لنا قَلْتٌ بأرض مضلةٍ شريعتنا لأيِّنَا جاء أوَّل[3]

والقلت فيما قصده الشاعر هي نقرة في الجبل يستنقع فيها الماء. والشريعة هي: مورد الماء.

- الرَّهْو: قال ابن فارس: "الرَّاءُ وَالْهَاءُ وَالْحَرْفُ الْمُعْتَلُّ أَصْلَانِ، يَدُلُّ أَحَدُهُمَا عَلَى دَعَةٍ وَخَفْضٍ وَسُكُونٍ، وَالْآخَرُ عَلَى مَكَانٍ قَدْ يَنْخَفِضُ وَيَرْتَفِعُ. وَحَكَى الْخَلِيلُ: الرَّهْوَةُ: مُسْتَنْقَعُ الْمَاءِ"[4].

وفي لسان العرب: "والرهو: مستنقع الماء، وقيل: هو مستنقع الماء من الجوب خاصة. والرهو: الجوبة تكون في محلة القوم يسيل إليها المطر، وفي الصحاح: يسيل فيها المطر أو غيره. والجمع رهاء"[5].

ومن ذلك، قول الشنفرى:

نمرُّ برهو الماء صفحًا وقد طوتْ شمائلنا والزاد ظنٌّ مُغيّبُ[6].

---

1 - أحمد محمد عبيد، شعراء جاهليون، ص 167.
2 - ابن فارس، معجم مقاييس اللغة، ج5، ص 18.
3 - ديوان القتَّال الكلابي، ص 78.
4 - ابن فارس، معجم مقاييس اللغة، ج2، ص 466.
5 - ابن منظور، لسان العرب، مادة (رها).
6 - ديوان الشنفرى، ص 28.

والرهـو المقصـود في البيـت هـو المكـان المـنخفض الـذي يجتمـع فيـه مـاء المطـر أو مـاء السيل.

- القَـاع: اسـتعمل الشـعراء لفـظ القـاع كـما هـو دون تغيـير، لأنـه مـن صـميم بيئـتهم، ومن أمثلة ذلك في شعر الصعاليك، قول عبدة بن الطبيب:

وحلت مبينًا أو رمادان دونها إكامٌ وقيعان من السرِّ سعلق[1]

ولدى حاجز بن عوف الأزدي:

عفته الريح واعتلجت عليه بأكدر من تراب القاع جار[2]

وعمرو بن برَّاقة الهمداني:

فلما أن هبطنا القاع ردوا غواشينا فأدبرنا جُفولا[3]

وما نظمه :

وقام لنا ببطن القاع صيقٌ فخلى الوازعون لنا السبيلا[4]

نلاحـظ أن دلالـة العمـوم هـي التـي ميـزت هـذه الأبيـات الشـعرية، حيـث إن الشـاعر وظفهـا في سـياق التعمـيم لا التخصـيص، ولعـل السـياق الشـعري لم يتطلـب منـه تحديـد مواضـع هـذه القيعان، وإنما الاكتفاء بإثبات حضورها لتوظيفها في التصوير الفني الذي يقصده.

بـدا المعجـم اللغـوي الـثري لـدى مـا وقفـت عليـه مـن قصـائد الشـعراء الصـعاليك واضـحًا مـن خـلال الأمثلـة السـابقة التـي اسـتندنا إليهـا في هـذا المبحـث، خصوصًـا تضـمينهم أسـماء عديـدة لوصـف قيعـان المـاء وأحوالهـا، ومـدى موافقـة كـل اسـم لهـا لطبيعـة تكـوين هـذا القـاع أو ذاك، واسـتند بعضهم إلى دلالة الخصوص في تبيين هذه القيعان، وبعضهم الآخر إلى دلالة العموم في ذكرهم

---

1 - يحيى الجبوري، شعر عبدة بن الطبيب، ص 55.
2 - أحمد محمد عبيد، شعراء جاهليون، ص 167.
3 - شـريف راغـب علاونـة، عمـرو بـن برّاقـة الهمـداني مـن مخضـرمي الجاهليـة والإسـلام: سيرته وشعره، ص 103.
4 - شـريف راغـب علاونـة، عمـرو بـن برّاقـة الهمـداني مـن مخضـرمي الجاهليـة والإسـلام: سيرته وشعره، ص 104.

القاع دون تحديد موضعه جغرافيًّا، ودون الاستناد إلى قرائن جغرافية تشير إليها أو تدل على أماكنها.

5- الأودِيَة: تدل على الموقع الجغرافي الذي يتضمن الماء بين صُوحيه، وهو من الجذر اللغوي (ودي) ومن معانيه في لسان العرب: "ويقال: ودى يدي إذا انتشر. وقال ابن شميل: سمعت أعرابيًا يقول إني أخاف أن يدي، قال: يريد أن ينتشر ما عندك، قال: يريد ذكره، وقال شمر: ودى أي؛ سال، قال: ومنه الودي فيما أرى لخروجه وسيلانه، قال: ومنه الوادي. ويقال: ودى الحمار فهو واد إذا أنعظ؛ ويقال: ودى بمعنى قطر منه الماء عند الإنعاظ. وقال ابن سيده: الوادي كل مفرج بين الجبال والتلال والإكام، سمي بذلك؛ لسيلانه، يكون مسلكًا للسيل ومنفذًا. وقال الجوهري: الجمع أودية على غير قياس، كأنه جمع ودي، مثل: سري وأسرية للنهر"[1].

وجاء ذكر الأودية في شعر الصعاليك ضمن دلالتين اثنتين:

- الأولى: دلالة العموم: وهي أن يذكر الشاعر واديًا دون ذكر اسمه أو مكانه، إنما استعمله في سياق النص تشبيهًا أو تصويرًا أو وصفًا، كما في قول حاجز بن عوف الأزدي:

حتى جعلتهم مرفضّ أمسلةٍ من بطنِ وادٍ يقيء الناء متآمِ[2]

حيث لم يحدد الشاعر اسم الوادي الذي يقصده في البيت الشعري، ولم يأت على ذكر قرائن جغرافية تدل على مكانه أو تشير إليه، ولذلك يعد هذا الاستعمال ضمن دلالة العموم.

وما نظمه القتَّال الكلابي:

وكم دونها من بطن وادٍ نباته أراك تغنيه الهداهد أخضر[3]

1 - ابن منظور، لسان العرب، مادة (ودي).
2 - أحمد محمد عبيد، شعراء جاهليون، ص 190.
3 - ديوان القتَّال الكلابي، ص 50.

لم يحدد الشاعر وادٍ بعينه في هذا البيت، لكنه اعتنى بوصف طبيعة هذا الوادي، ويعد المعنى هنا ناقصًا عن تمام التأويل لعناية الشاعر بتفاصيل صفة الوادي دون عنايته بذكر موضع الوادي في بيئته، أو تضمين، أي؛ إشارة جغرافية تفيد عن موقعه.

وما نظمه السليك بن السلكة:

يا صاحبيَّ ألا لا حيَّ بالوادي إلا عبيدًا قيامًا بين أذوادِ[1]

وهنا تتجه الدلالة نحو العموم حيث إن الشاعر لم يأت على تسمية الوادي بما عرف به، واكتفى بأن جاء بالاسم العام دون تفصيل للموقع أو تحديد لمحيط الوادي.

وما نظمه السُّلَيك بن السُّلَكَة:

وربَّ وادٍ قد قطعت مسبول[2]

ويشابهه للشنفرى:

وربَّ وادٍ جاوزتُ أعلامه[3]

وله:

فربّ وادٍ نفرت حمامه[4]

نلاحظ استعمالهما حرف الجر الزائد (رُبَّ) التي تفيد وتؤكد دلالة العموم في الأبيات السابقة، فلم يشر الشاعران إلى وادٍ بعينه دون سواه بحسب ما يوحي به السياق، بل إنهما تركا الدلالة عائمة في العموم دون تحديد دقيق لموضعه أو مكانه الجغرافي في البيئة الصحراوية مترامية الأطراف.

1 - السليك بن السلكة: أخباره وشعره، ص 68.
2 - السليك بن السلكة: أخباره وشعره، ص 64.
3 - ديوان الشنفرى، ص 75.
4 - ديوان الشنفرى، ص 101.

ومن دلالة العموم قول الشنفرى :

ووادٍ بعيد العمق ضنك جماعه مراصد أيم قانت الرأس أخوف[1]

استعمل الشاعر واو (رُبَّ) في تأكيد دلالة العموم، فاعتنى بوصف الوادي دون أن يأتي على ذكر مكان هذا الوادي في بيئته، بل تركه في سياق العموم دون تحديد دقيق لموضعه.

وما نظمه تأبَّط شرًّا:

ووادٍ كجوف العيرِ قفرٍ قطعته به الذئبُ يعوي كالخليعِ المعيّلِ[2]

استعمل الشاعر واو (ربَّ) في تأكيد لدلالة العموم التي نحن بصددها، حيث نلاحظ عناية الشاعر بوصف طبيعة الوادي وتفاصيله دون الإشارة إلى مكان هذا الوادي، بل تركه في دلالة العموم.

فالشعراء في هذه الأمثلة لم يحددوا وادٍ بعينه دون سواه، إنما جعلوا ذلك في سياق العموم. أما ما جاء من الأودية باسمه المعروف أو المكان الجغرافي الدال عليه فإنه يندرج ضمن دلالة الخصوص، وهي على النحو الآتي.

- الثانية: دلالة الخصوص: وهي أن يُسمِّي الشعراء أودية بعينها دون سواها، وتفيد هذه الدلالة في الحفاظ على أسماء الأودية القديمة إلى عصرنا الحالي بأسمائها المشهورة آنذاك، إضافة إلى ما تعنيه من اهتمام الشعراء بتفاصيل المنطقة الجغرافية المحيطة بهم، وهو ما يجعل من اليسير الوقوف على بيئة الشعراء ودراسة أشعارهم. ومن الأمثلة على ذلك ما قاله القتَّال الكلابي:

إلى ظعن بين الرسيس فعاقل عوامد للشيقين أو بطن خنثل[3]

1 - ديوان الشنفرى، ص 55.
2 - ديوان تأبط شرًّا وأخباره، ص 182.
3 - ديوان القتَّال الكلابي، ص 73.

(الرسيس) اسم وادٍ في أرض نجد. وأشار إليها الأصفهاني في أنها موضع تابع لمنطقة القصيم، فذكر ما نصه: "والقصيم موضع ذو غضا فيه مياه كثيرة وقرى. قلت: القصيم يشتمل على بلدان كثيرة أعرف منها ما يأتي: مدينة بريدة، مدينة عنيزة، الرس، المذنب، الرسيس"[1].

(عاقل) في هذا الاسم اختلاف في تحديده الدقيق، أجبل هو أم وادٍ؟ وذكر الشاعر القتال الكلابي هذا الوادي في موضع آخر فقال:

بغمتٍ فلم يصحبْ لها فاستقبلت من عاقلٍ شعبًا يسلنَ دوافعا[2]

قال الزمخشري: "عاقل: ماء، وقيل جبل"[3]. وقال البكري: "عاقل: بكسر القاف على وزن فاعل. قال عمارة: هو ماء لبني أبان بن دارم من وراء القريتين"[4].

وقال ياقوت الحموي في كتابه معجم البلدان ما نصه: "قال ابن الكلبي: عاقل جبل كان يسكنه الحارث بن آكل المرار جدّ امرئ القيس بن حجر بن الحارث الشاعر، ويقال: عاقل واد بنجد من حزيز أضاخ ثم يسهل فأعلاه لغني وأسفله لبني أسد وبني ضبّة وبني أبان بن دارم، قال عبيد الله الفقير إليه: الذي يقتضيه الاشتقاق أن يكون عاقل جبلاً، والأشعار التي قيلت فيه هي بالوادي أشبه ويجوز أن يكون الوادي منسوبًا إلى الجبل لكونه من لحفه"[5].

---

1 - الحسن بن عبد الله، بلاد العرب، تحقيق: حمد الجاسر؛ صالح العلي، دار اليمامة للبحث والنشر، الرياض، ص 339.
2 - ديوان القتّال الكلابي، ص 68. عاقل: واد بنجد. الشعب: جمع شعبة وهو المسيل الصغير. الدوافع: مدافع الماء الميث، والميث تدفع الماء إلى الوادي الأعظم.
3 - محمود بن عمرو بن أحمد، الزمخشري، الجبال والأمكنة والمياه، ص 227.
4 - عبد الله بن عبد العزيز بن محمد البكري الأندلسي، معجم ما استعجم من أسماء البلاد والمواضع، ج3، ص 913.
5 - ياقوت الحموي، معجم البلدان، ج4، ص 68.

وقال شارح ديوان القتَّال الكلابي ما نصه: "عاقل: اسم وادٍ في أرض نجد"[1]. وقال ياقوت الحموي في تعليقه على هذا البيت: "وقول القتَّال الكلابي يدل على أنه قرب المدينة"[2].

ومن دلالة الخصوص قول القتال الكلابي :

أو أَلحَقُ بالعنقاء في أرضِ صاحةٍ أو الباسقات بينَ غولٍ وغُلغُلِ[3]

(الغول) قال ابن شمائل: "بالفتح. قيل: جبل. وقيل ماء معروف للضباب بجوف طخفة، به نخل. وقيل: ماء في جبل يقال له إنسان. وإنسان: ماء في أسفله يسمى الجبل به. وقيل: جبل للضباب حذاء ماء، ويسمى الجبل هضب غول"[4]. وقال ياقوت الحموي في تأكيد بأن (غول) وادٍ، ما نصه: "أما غول فهو واد في جبل يقال له إنسان، وإنسان: ماء في أسفل الجبل سمي الجبل به. وغول: واد فيه نخل وعيون"[5].

(الغلغل) قال ياقوت الحموي: " غُلْغُلٌ: بالضم والتكرير، والغلغلة: الإسراع في السير، وتغلغل في الشيء إذا أمعن فيه، وغلغل: جبل في نواحي البحرين"[6]. وقال ابن شمائل في تحديد الموضع: "غلغل: بالضم، والتكرير: جبل طويل أسود بأجأ"[7].

ومن ذلك، قول القتَّال الكلابي :

سقى الله ما بين الشطون وغمرة وبئر دريرات وهضب دثين[8]

---

1 - ديوان القتَّال الكلابي، ص 73.الحاشية.
2 - ديوان القتَّال الكلابي، ص 73.الحاشية.
3 - ديوان القتَّال الكلابي، ص 77.
4 - ابن شمائل القطيعي البغدادي، مراصد الاطلاع على أسماء الأمكنة والبقاع، ج2، ص 1006.
5 - ياقوت الحموي، معجم البلدان، ج4، ص 219.
6 - ياقوت الحموي، معجم البلدان، ج 4، ص 208.
7 - ابن شمائل القطيعي البغدادي، مراصد الاطلاع على أسماء الأمكنة والبقاع، ج2، ص 999.
8 - ديوان القتَّال الكلابي، ص 92.

(الشـطون) قـال البكـري: "ووادي الشـطون: مـذكور فى رسـم طميّـة، وفي رسـم مويسـل"[1].

وقال الزمخشري: "الشَطون: ماءة لقيس بن جرذ في جبل يقال له: شعري"[2].

ومن دلالة الخصوص في الأودية قول القتَّال الكلابي :

أطاعَ لها بمدفع ذي سديرٍ فروع الضال والسلم القصار[3]

(ذو سـدير) نقـل يـاقوت الحمـوي عـن الحفصي ما نصـه: "قـال الحفصي: بظـاهر السّـخال واد يقـال لـه ذو سـدير"[4]. وإلى الـوادي نفسـه أشـار ابـن شـمائل في قولـه: "وذو سـدير : واد بظهـر السـخال"[5]. وقـال أبـو عبـدالله الحِمـيري: "السـدير: بـالعراق، وهـو سـواد نخـل، وقيـل: السدير: النهر الذي هناك"[6].

وورد في تـاج العـروس مـا نصـه: "سَـدِيرٌ، كـأَمِير، نَهـرٌ بناحِيَـة الحِـيرَةِ مـن أَرضِ العِـرَاق... وَقيـل: السَّـديرُ: النّهْـر مُطلقًـا. وَقـد غَلَـب عـلى هـذا النَّهْـرِ. وَقيـل: سَـدِيرٌ: قَصْرٌ بِالحِـيرَة مـن مَنَـازِلِ آلِ المُنْـذِر وأَبنِيَـتهم، وَهُـوَ بالفارسـيّة (سِـهْ دِلَّى) أَي؛ ثَـلَاث شُـعَبٍ أَو ثَـلَاث مُـداخَلَاتٍ. وَفِي الصّحاح: وأَصْـله بالفارسـيّة (سِـهْ دِلَـه) أَي؛ فِيـهِ قِبَـابٌ مُدَاخَلَـة مِثْـلُ الحـارِيّ بكُمَّـيْنِ. وَقَـالَ الأَصـمعِيُّ: السَّـدِير فارِسَـيَّة كـأَن أَصـله (سِـهْ دِل) أَي؛ قُبَّـة فِي ثَـلَاثِ قِبَـابٍ مُدَاخَلَة، وَهِي الَّتِي تُسَمِّيها اليومَ الناسُ سِدِلَّى. فأَعْربتْه الْعَرَب فَقَالُوا: سَدِيرٌ"[7].

ومن الأمثلة على دلالة الخصوص قول القتَّال الكلابي :

---

1 - عبد الله بن عبد العزيز بن محمد البكري الأندلسي، معجم ما استعجم من أسماء البلاد والمواضع، ج9، ص 978.
2 - محمود بن عمرو بن أحمد، الزمخشري، الجبال والأمكنة والمياه، ص 191.
3 - ديوان القتَّال الكلابي، ص 51.
4 - ياقوت الحموي، معجم البلادان، ج3، ص 202.
5 - عبد المؤمن بن عبد الحق، ابن شمائل القطيعي البغدادي، مراصد الاطلاع على أسماء الأمكنة والبقاع، ط1، دار الجيل، بيروت، 1412هـ، ج2، ص 700.
6 - محمد بن عبد الله بن عبد المنعم الحِميري، الروض المعطار في خبر الأقطار، تحقيق: إحسان عباس، ط2، مؤسسة ناصر للثقافة - بيروت - طبع على مطابع دار السراج، 1980م، ص 308.
7 - تاج العروس، 527/11.

ولا موقفي بالعرج حتى أجنها علي من العرين أسترة حمر[1]

(العرج) واد من نواحي الطائف. ويستفاد ذلك من حديث بقيَّة بن الوليد عن كعب: "...وَأَنْظُرُ إِلَى الْعُشْرِ الْبَاقِي فَأَنْفِيهِمْ إِلَى وَادِي الشَّجَرِ، أَوْ وَادِي الْعَرَجِ، أَوْ وَادِي الْعَرْعَرِ"[2]. وقيل: "موضع قبل الطائف"[3]. وقيل: "جبل بطريق مكة وهو أول تهامة"[4].

وما نظمه القتَّال الكلابي :

تَتَبَّعُ أفنانَ الأراكَ مقيلُها بذي العُشِ يُعري جانبيه إختصالها[5]

(ذو العش) واد من أودية العقيق من نواحي المدينة المنورة.

ومن ذلك، قول القتَّال الكلابي :

يا هل تراءى بأعلى عاسم ظعنٌ نكَّبنَ فَحْلَينِ واستَقْبَلنَ ذا بقرِ[6]

(ذو البقر) واد بين أخيلة الحمى حمى الربذة.

وما نظمه القتَّال الكلابي :

وتطايرتْ عَبْسٌ فأصبحَ منهمُ وادي الدَّواهن خَاليًا لم يُوردِ[7]

(وادي الدواهن) لعله واد قريب من منازل قبيلة عبس، ولم يستهدِ شارح ديوان القتَّال إلى موضعه الدقيق. وجاء في رواية ياقوت الحموي في معجم البلدان:

"وتحمَّلت عبسٌ فأصبح خاليًاوادي ضئيدة عافيًا لم يُوردِ"[8]

---

1 - ديوان القتَّال الكلابي، ص 49.
2 - نعيم بن حماد، الفتن، ج1، ص 240.
3 - تفسير القرطبي، ج 19، ص 180.
4 - التفسير المظهري، ج7، ص 92.
5 - ديوان القتَّال الكلابي، ص 79.
6 - ديوان القتَّال الكلابي، ص 53.
7 - ديوان القتَّال الكلابي، ص 43.
8 - ديوان القتَّال الكلابي، ص 43. الحاشية.

ومنه للسليك بن السلكة:

بحمد الله وامرئ هو دلّني حويت النهاب من قضيبَ وتحتما[1]

(قضيب) واد باليمن لمراد. (تحتم) موضع باليمن.

ولعبدة بن الطبيب:

وقلتُ لهُ يومًا بوادي مُبايِضٍ ألا كلُّ عَانٍ غير عانيك يُعتقُ[2]

(وادي مبايض) واد يقع في موضع يسمى مبايض، وإليه نسب، وهي موضع وراء الدهناء في ديار بني سعد بن زيد مناة بن تميم. ويقال له (أبايض) بالهمز .

وما نظمه عبدة بن الطبيب :

وأكوارنا بالجوِّ جوِّ جُواذَةٍ بحيثُ يصيدُ الآبدات العَسَلَّقُ[3]

(جو جُواذة)، يقصد بها واديًا في بلاد تميم. والجو: ما اتسع من الأودية. و"جُواذة بضم أوله وبالذال المعجمة على وزن فعالة موضع أراه في بلاد بني تميم"[4].

وما نظمه حاجز بن عوف الأزدي:

فإما تقظ سمراء تمنع زائدًا مواردهُ بين الأَحَصِّ وعُلَيبِ[5]

(عُليب) من أكبر أودية الماء العذب في بلاد زهران في تهامة. ويشتهر بجريان الماء فيه على مدار العام. ويصب في البحر الأحمر.

(الأحص) "الأحص بالصاد المهملة على وزن أفعل واد لبني تغلب كانت فيه بعض وقائعهم مع إخوتهم بكر، قال مهلهل بن ربيعة:

---

1 - ديوان السليك بن السلكة، ص 94.
2 - يحيى الجبوري، شعر عبدة بن الطبيب، ص 52.
3 - يحيى الجبوري، شعر عبدة بن الطبيب، ص 54.
4 - عبدالله بن عبد العزيز البكري الأندلسي، معجم ما استعجم من أسماء البلاد والمواضع، تحقيق: مصطفى السقا، ط3، عالم الكتب، بيروت، 1403هـ، ص 402.
5 - أحمد محمد عبيد، شعراء جاهليون، ص 157.

وادي الأحصِّ لقد سقاك من العدى فيض الدموع بأهله الدُّعسِ"[1]

وما نظمه أبي خراش الهذلي:

غذاه من السّرّين أو بطن حَليةٍ فُروعُ الآباءِ في عميمِ السَّوائل[2]

(حليــة) واد في تهامــة، قــال عنــه الزمخشــري: "حليــة وادٍ بتهامــة أعــلاه لهــذيل وأســفله لكنانة"[3]. ويعد هذا الوادي من الأودية الفاصلة بين حدود القبيلتين كنانة وهذيل.

ولتأبَّط شرًّا:

ولمَّا سَمِعْتُ العَوْصَ تَدْعُو تَنَفَّرَتْ عَصَافِيرُ رَأسي مِنْ بَوًى فَعَوَاينَا[4]

(بوى) واد كبير يمتد من أعالي جبال الحجاز ويمر بنجد إلى أن يصب في وادي تربة.

وللشنفرى:

إذا أصبحتُ بين جبالِ قوٍّ وبيضان القُرى لم تحذريني[5]

(قــو) واد يقطــع الطريــق تدخلــه الميــاه ولا تخــرج، وهــو منــزل للقاصــد إلى المدينــة مــن البصرة[6].

ولعمرو بن برَّاقة الهمداني:

---

1 - عبدالله بن عبد العزيز البكري الأندلسي، معجم ما استعجم من أسماء البلاد والمواضع، ص 117.
2 - يوسف خليف، الشعراء الصعاليك في العصر الجاهلي، ص 205. العميم: ما اعتم من النبت في سوائل المطر، والسوائل الأماكن التي تسيل بالماء.
3 - محمود بن عمر الزمخشري، الجبال والأمكنة والمياه، تحقيق: محمد أبو عامود، الجزيرة للنشر والتوزيع ، القاهرة، 2007م، ص 98. .وانظر: ياقوت الحموي، معجم البلدان، ج2، ص 341.
4 - ديوان تأبط شرًّا وأخباره، ص 214- 215. بوى: واد.
5 - ديوان الشنفرى، ص 79.
6 - ياقوت الحموي، معجم البلدان، ج4، ص 471.

عَرَفتُ مِنَ الكُنُودِ بِبَطْنِ ضَيْمٍ فَجَوٍّ بَشَائِمٍ طَلَلاً مُحِيلا[1]

(ضيم) وادٍ بالقرب من مكة المكرمة مجاور لجبال هذيل، وجاء في معالم مكة التاريخية والأثرية ما نصه: "الكَرَاب: جبال لهذيل تجاور عَرْوان من الشمال مياهها في دُفاق وضيم، ولها شعاب بهذا الاسم يأخذها طريق بين تهامة والطائف"[2].

ولصخر الغي الهذلي :

إلى عَمَرَيْنَ إلى غَيْقَةٍ بِبَلْيَلَ يَهدِي رِبَحْلاً رَجُوْفَا[3]

(يليل) ويسمى: "وادي الصفراء"[4]. قال البلادي الحربي: "يَلْيَلُ بِتَكْرَارِ الْمُثَنَّاةِ التَّحْتِيَّةِ، وَاللَّامِ. جَاءَ فِي النَّصِّ الَّذِي ذَكَرْنَا فِي (الْعُدْوَةِ الْقُصْوَى) وَكَانَ وَادِي الصَّفْرَاءِ يُطْلَقُ عَلَى أَسْفَلِهِ الَّذِي يَمُرُّ بِبَدْرٍ اسْمَ يَلْيَلَ، وَقَدْ يُسَمِّيهِ الْيَوْمَ بَعْضُهُمْ وَادِيَ بَدْرٍ، وَلَمْ يَعُدْ يُعْرَفُ اسْمُ يَلْيَلَ"[5]. كما قيل في تحديد موضعه: "وجاء ذكر هذا الوادي في غزوة بدر، بل في معركة بدر، في تحديد مكان قريش من المعركة. وكان وادي الصفراء يطلق على أسفله الذي يمرّ ببدر اسم يليل، أو وادي بدر. ولم يعد يعرف اسم يليل"[6].

قال البكري: "يليل: بفتح أوّله، وإسكان ثانيه، بعده ياء أخرى مفتوحة. قال أبو بكر: هو موقف من مواقف الحجّ. وقال الزّبير: هو واد يدفع فى بدر"[7]. وقال : "وبطن

---

1 - شريف راغب علاونة، عمرو بن برّاقة الهمداني من مخضرمي الجاهلية والإسلام: سيرته وشعره، ص 75.

2 - عاتق بن غيث بن زوير البلادي الحربي، معالم مكة التاريخية والأثرية، ط1، دار مكة للنشر والتوزيع، مكة، 1980م، ص 230.

3- ديوان الهذليين، ج2، ص 71.

4 - ياقوت الحموي، معجم البلدان، ج2، ص 342.

5 - عاتق بن غيث بن زوير البلادي الحربي، معجم الْمَعَالِمِ الْجُغْرَافِيَّةِ فِي السِّيرَةِ النَّبَوِيَّةِ، ط1، دار مكة للنشر والتوزيع، مكة المكرمة، 1982م، ص 339.

6 - محمد بن محمد حسن شُرَّاب، المعالم الأثيرة في السنة والسيرة، ط1، دار القلم، الدار الشامية - دمشق- بيروت، 1411هـ، ص 301.

7 - عبد الله بن عبد العزيز بن محمد البكري الأندلسي، معجم ما استعجم من أسماء البلاد والمواضع، ج4، ص 1399.

الوادي هو يليل، وبين بدر وبين العقنقل الكثيب الذي خلفته قريش. والقليب ببدر هو فى العدوة الدّنيا من بطن يليل إلى المدينة"[1].

وقال في تعليقه على موضعين وردا في البيت الذي نحن بصدد تفسير معانيه: "وكذلك سكّان الجار، ويؤتون بالماء على فرسخين من وادي يليل، الذي يصبّ فى البحر هناك. قال المؤلّف أبو عبيد رحمه الله، هذا قول السّكوني. والصحيح أن يليل يصبّ فى غيقة، وغيقة تصبّ فى البحر، على ما بيّن فى موضعه"[2]. مما يشير إلى مدى معرفة الشاعر بالمواضع ومدى قربها وبعدها من بعضها بعضًا.

أما الزمخشري، فحدد موضع (يليل) بما نصه: "يلْيل: موضع، وقيل: جبل، وقيل: واد بين بدر والعقنْقل"[3]. وقال ياقوت الحموي: "أَلْيَلُ: بالفتح ثم السكون، وياء مفتوحة، ولام أخرى، ويقال: يليل، أوله ياء: موضع بين وادي ينبع وبين العذيبة، والعذيبة: قرية بين الجار وينبع، وثم كثيب يقال له: كثيب يليل"[4].

نلاحظ من خلال الأمثلة الشعرية السابقة في هذا المبحث عناية الشاعر القتَّال الكلابي أكثر من غيره من الشعراء بذكر مواضع الآبار وأسمائها، في دلالة الخصوص أكثر من دلالة العموم، ويدل هذا على أن الشاعر الكلابي كان على معرفة وإلمام بمواضع التضاريس الجغرافية في البادية، وأنه كان شاعرًا صاحب ترحال في أصقاع البادية، وإلا لما كان لديه هذه المعرفة الغزيرة بالمواضع وأسمائها إزاء غيره من أقرانه الشعراء الصعاليك، مع أن البيئة واحدة لديهم جميعًا، وهي البيئة الصحراوية، ويتضح هذا العلم لدى القتال الكلابي من خلال أشعاره التي عبرت عن ذلك تعبيرًا واضحًا وصريحًا.

---

1 - عبد الله بن عبد العزيز بن محمد البكري الأندلسي، معجم ما استعجم من أسماء البلاد والمواضع، ج1، ص 232.
2 - عبد الله بن عبد العزيز بن محمد البكري الأندلسي، معجم ما استعجم من أسماء البلاد والمواضع، ج2، ص 356.
3 - محمود بن عمرو بن أحمد، الزمخشري، الجبال والأمكنة والمياه، تحقيق: أحمد عبد التواب عوض، دار الفضيلة للنشر والتوزيع، القاهرة، 1999م، ص 334.
4 - ياقوت الحموي، معجم البلدان، ج1، ص 248.

6- عُيُـون المَـاء: وهـي مـن الجـذر اللغـوي (عـين) ومـن معانيـه في لسـان العـرب: "العـين: عـين المـاء. والعـين: التـي يخـرج منهـا المـاء. والعـين: ينبـوع المـاء الـذي ينبـع مـن الأرض ويجـري، والجمـع أعـين وعيون. ويقال: غارت عين الماء. وعين الركية: مفجر مائها ومنبعها"[1].

ومـن ذلـك، قـول الشـنفرى وهـو يصـف القـوس ذات الصـناعة الجيـدة، وتعـد القـوس مـن أهـم الأدوات الحربية وأكثرها فاعلية وجدوى في إصابة الأهداف البعيدة، فيقول:

وحمراءُ من نبعٍ أبيٍّ ظهيرةٌ ترنُّ كإرنان الشجيِّ وتهتفُ[2]

وفي رواية أخرى:

وصفراءُ من نبعٍ أبيٍّ ظهيرةٌ ترنُّ كإرنان الشجيِّ وتهتفُ[3]

فالشـاعر يسـمي القـوس بلونهـا، فيصرـح بـذكر الصـفة ويحـذف الموصـوف، وجـاء النبـع هنـا في سياق العموم دون تحديد مكان دقيق أو اسمٍ محدد للعين وموضعها.

وأشار بعض الشعراء إلى النبع، كما في بيت الشنفرى:

عليه نساريٌّ على خوط نَبعةٍ وفوقٍ كعرقوبِ القَطَاةِ مُدحرجِ[4]

نلاحـظ عنايـة الشـعراء الصـعاليك بـذكر مواضـع عيـون المـاء والقيعـان والغـدران في أشـعارهم، وتعد هذه المواضع من أصل بيئتهم، ومن أهم موارد الحياة لديهم.

7- البحر ومتعلقاته والألفاظ الدالة عليه:

---

1 - ابن منظور، لسان العرب، مادة (عين).
2 - ديـوان الشـنفرى، ص 54؛ طـلال حـرب، ديـوان الشـنفرى ويليـه السـليك بـن السـلكة وعمرو بن برَّاق، ط1، الدار العالمية، 1993م، ص 112.
3 - يوسف خليف، الشعراء الصعاليك في العصر الجاهلي، ص 201.
4 - ديوان الشنفرى، ص 40.

يعد البحر من الموارد الطبيعية خارج بيئة الشعراء سكان البوادي، لكن هذا لا يعني عدم معرفتهم به أو رؤيتهم له، فمن طبيعة حياتهم التنقل والترحال، لذلك نجد أن عددًا منهم استعمل لفظ البحر في شعره، إما صراحة أو كناية بالإشارة إلى الأشياء المتعلقة بالبحر والمرتبطة بتكوينه.

وأجد من توظيف البحر بلفظه الصريح، في ما وقفت عليه من قصائد الشعراء الصعاليك، في قول قيس بن الحدادية:

فما زلت تحت الستر حتى كأنني من الحر ذو طمرين في البحر كارع[1]

وما نظمه:

فما البحر يجري بالسفين إذا غدا بأجود سيبًا منه في كل محفل[2]

وما ورد عند حاجز بن عوف الأزدي موظفًا لفظ البحر كعلامة جغرافية للدلالة على المكان:

ألا هل أتى ذات القلائد فرّتي عشية بين الجرف والبحر من بعر[3]

وما نظمه تأبَّط شرًّا يصف تلاطم أمواج البحر وهيجانه:

يجمُّ جموم البحر طالَ عبابه إذا فاض منه أولٌ جاشَ آخرُ[4]

وما نظمه عمرو بن برّاقة الهمداني في صورة شعرية ممتدة على ثلاثة أبياتٍ يصف فيها البحر وهيجانه وخوف الملاح من تياره، ثم وصف السفينة التي تشق عباب الماء المالح الأجاج، حيث قال:

ألا هل للهموم من انفراجِ وهل لي من ركوبِ البحرِ ناجِ
يشقُّ الماءَ كلكلها ملحًّا على ثبجٍ من الملحِ الأُجاجِ

1 - حاتم صالح الضامن، شعر قيس بن الحدادية، ص 212.
2 - حاتم صالح الضامن، شعر قيس بن الحدادية، ص 215.
3 - أحمد محمد عبيد، شعراء جاهليون، ص 166.
4 - ديوان تأبط شرًّا وأخباره، ص 82.

كأنَّ قواذف التيَّار فيها نعاجٌ يرتمين إلى نعاجِ[1]

وفي وصف السفينة لصخر الغي الهذلي:

كأنَّ تواليه بالملا سفائن أعجم مايحنَ ريفا[2]

فشبه الشاعر أواخر السحب المتراكمة الثقيلة التي يتوالى بعضها في إثر بعض، بسفائن أعجميٍّ رست إلى بعض السواحل فأوقرت من صادراته. وهو تشبيه من خارج بيئة الشاعر، حيث إنها تضمنت عنصرين اثنين خارج بيئته؛ الأول البحر، والثاني تجارة الأعاجم.

كما وظف بعض الشعراء متعلقات البحر في صورهم الشعرية على سبيل الكناية، كتوظيفهم (كفة الحابل) أي؛ شبكة صيد السمك، ويطلق الشعراء هذا الوصف في سياق المثل لكل من علقت يداه ووقع في الشرك، وهي صورة من خارج بيئة الشعراء الذي سكنوا البوادي. ومن ذلك، ما نظمه عبدة بن الطبيب:

تداركت عبدالله قد ثلّ عرشه وقد علقت في كفة الحابل اليد[3]

وللقتَّال الكلابي في المعنى نفسه:

كأن بلاد الله وهي عريضة على الخائف المطلوب كفة حابل[4]

الكفة: حبالة الصيد أو الشبكة. الحابل: الذي ينصب الحبالة.

واستطاع الشعراء توظيف لفظ البحر في دلالات الفخر والمدح، ومن ذلك، ما نظمه الشاعر قيس بن الحدادية:

فما البحر يجري بالسفين إذا غدا بأجود سيبًا منه في كل محفل[5]

حيث إنه يسبغ صفات الكرم على الممدوح، بل إنه يقارن بين كرمه وسخائه وكرم وسخاء البحر، فيجد ممدوحًا أجود وأكرم من البحر. ومن ذلك، بيت القتَّال الكلابي:

---

1 - شريف راغب علاونة، عمرو بن برّاقة الهمداني من مخضرمي الجاهلية والإسلام: سيرته وشعره، ص 90.
2 - يوسف خليف، الشعراء الصعاليك في العصر الجاهلي، ص 303.
3 - يحيى الجبوري، شعر عبدة بن الطبيب، ص 37.
4 - ديوان القتَّال الكلابي، ص 99.
5 - حاتم صالح الضامن، شعر قيس بن الحدادية، ص 215.

بحرًا تنازعه البحور تمدُّه إن البحور ترى لهن شرائعا[1]

حيث وظّف الشاعر البحر في سياق مدح الكرم والسخاء على الممدوح، وقال هذا البيت من قصيدة طويلة مدح بها عبدالله بن حنظلة الكلابي.

لاحظنا من الأمثلة السابقة أن استعمال الشعراء للبحر ومتعلقاته وتوظيفها في الشعر واردة في أكثر من موضع في قصائد مختلفة، على الرغم من اعتبار البحر من العناصر الطبيعية خارج بيئة الصحراء التي يسكنها الشعراء الصعاليك، ويدل استعمالهم على اتساع أفق رؤيتهم إزاء توظيف عناصر الطبيعة بأشكالها المختلفة حتى التي تعد بعيدة عن مرأى عينهم، لكن إدراجها ضمن القصائد يشير إلى رؤيتهم لها وزيارة أماكنها، خصوصًا أن حدود البادية العربية تنتهي عند حدود البحار والخلجان، ويتضح ذلك من الرسوم الجغرافية المحددة لهذه المنطقة.

8- الآبار ومتعلقاتها: جاء في لسان العرب في معنى البئر ما نصه: "بأر: البئر: القليب، أنثى، والجمع أبآر بهمزة بعد الباء مقلوب عن يعقوب، ومن العرب من يقلب الهمزة فيقول: آبار، فإذا كثرت، فهي البئار، وهي في القلة أبؤر. وفي حديث عائشة: اغتسلي من ثلاث أبؤر يمد بعضها بعضًا؛ أبؤر: جمع قلة للبئر. ومد بعضها بعضًا: هو أن مياهها تجتمع في واحدة كمياه القناة، وهي البئرة، وحافرها: الأبار، مقلوب ولم يسمع على وجهه؛ وفي التهذيب: وحافرها بآآر؛ ويقال: أبار؛ وقد بأرت بئرًا وبأرها يبأرها وابتأرها: حفرها. أبو زيد: بأرت أبأر بأرًا حفرت بؤرة يطبخ فيها، وهي الإرة"[2].

يغلب على توظيف الآبار في شعر الصعاليك حضور دلالة التخصيص دون دلالة التعميم، كما فيما نظمه الشاعر عبدة بن الطبيب:

وَحَلَّتْ مُبينًا أو رَمادانَ دُونَها إكامٌ وقيعانٌ من السرِّ سَعلَق[3]

1 - ديوان القتَّال الكلابي، ص 69.
2 - ابن منظور، لسان العرب، مادة (بأر).
3 - يحيى الجبوري، شعر عبدة بن الطبيب، ص 55.

(مبين) قال البكري: "مبين: بئر معروفة وهي من مياههم المشهورة[1]. وقال ياقوت الحموي: "مُبِينٌ: بالضم ثم الكسر وآخره نون، من أبان الشيء يبين فهو مبين أي؛ ظاهر: اسم موضع"[2]. ورمادان: قال ياقوت الحموي: " رَمَادانُ: تثنية رماد ثمّ عرب: جفر في الطريق لبني المرقع من بني عبد الله بن غطفان عند القصيم"[3].

نلاحظ تركيز الشاعر على تخصيص الموضع بذكر تسميته الحقيقية، بالإضافة إلى الإشارة إلى موضع آخر يوضح مكان البئر باستعمال حرف العطف (أو) في إشارة إلى قرب جفر رمادان من بئر مبين، وهي إشارة ذكية أحسن الشاعر توظيفها.

وللقتَّال الكلابي :

سقى اللهُ ما بين الرِّجامِ وغَمرةٍ وبئرِ ذُريَّاتٍ بهن جَنينُ[4]

(بئر ذريات) بئر ماء مشهور بين الرجام وغمرة، ووصفه بالجنين أي؛ أن هذا البئر مستترة في موقعها الذي وصفه. والرجام كما قال البكري: "الرّجام بكسر أوّله، وبالميم في آخره: جبل مذكور محدد في رسم ضريّة"[5]. وقال الزمخشري: "الرجام: جبل طويل أحمر له رداةٌ في أعراضه"[6]. و"قال العامري: الرجام هضبات حمر في بلادنا نسميها الرجام وليست بجبل واحد"[7]. وقال نور الدين السمهودي: "الرجام: ككتاب، جبل مستطيل أحمر على ثلاثة عشر ميلاً من ضرية على طريق أهل أضاخ، وفي غربيه ماء عذب يقال له الرجام، وليس بينه وبين طخفة إلا طريق ثنية، وفي أعراضه نزل جيش أبي بكر أيام الردة"[8].

---

1 - عبد الله بن عبد العزيز بن محمد البكري الأندلسي، معجم ما استعجم من أسماء البلاد والمواضع، ج2، ص 402.

2 - ياقوت الحموي، معجم البلدان، ج5، ص 52. وانظر: ابن شمائل القطيعي البغدادي، مراصد الاطلاع على أسماء الأمكنة والبقاع، ج3، ص 1226.

3 - ياقوت الحموي، معجم البلدان، ج 3، ص 66.

4 - ديوان القتَّال الكلابي، ص 91.

5 - عبد الله بن عبد العزيز بن محمد البكري الأندلسي، معجم ما استعجم من أسماء البلاد والمواضع، ج2، ص 639.

6 - محمود بن عمرو بن أحمد الزمخشري، الجبال والأمكنة والمياه، ص 150.

7 - ياقوت الحموي، معجم البلدان، ج3، ص 27.

8 - علي بن عبد الله بن أحمد الحسني الشافعي، نور الدين أبو الحسن السمهودي، وفاء الوفاء بأخبار دار المصطفى، ط1، دار الكتب العلمية، بيروت، 1419هـ، ج4، ص 79.

وفي رواية ثانية للبيت نفسه:

سقى اللهُ ما بين الشّطونِ وغَمْرَةٍ وبئر دريراتٍ وهُضبِ دَثين[1]

(الشطون) "الشّطون: بفتح أوّله، وضمّ ثانيه، على بناء فعول: بئر مذكورة في رسم ضريَّة"[2]. وقيل: "الشطون: بئر بناحية شعر"[3]. و"شعر: جبل عظيم في ناحية الوضح، وعنده ماء يقال له الشطون"[4]. ومنه : "دار سعرٍ، وهي لبني وقاصٍ من بني أبي بكر بن كلابٍ، وبها الشطون، وهي بئرٌ زوراءٌ يستقصى منها بشطنين، أي؛ بحبلين"[5].

أما (غمرة) فقال ابن الفقيه فيها: "غمرة: من أعمال المدينة على طريق نجد أغزاها النبي - صلى الله عليه وسلم- عكّاشة بن محصن"[6]. وقال ابن شمائل: "غمرة: منهل من مناهل طريق مكة، فصل ما بين تهامة ونجد"[7]. وقال السمهودي: "غمرة: وسماه ابن سعد (غمر مرزوق) بغير هاء، قال: وهو ماء لبني أسد"[8]. وقال البلادي الحربي: "غمرة: هِيَ مَحَطَّةٌ مِنْ مَحَطَّاتِ الْحَاجِّ الْعِرَاقِيِّ قَدِيمًا عَلَى الضِّفَّةِ الشَّرْقِيَّةِ لِوَادِي الْعَقِيقِ حِينَ يَمُرُّ بَيْنَ عُشَيْرَةٍ وَالْمُسْلِحِ شَمَالَ شَرْقِيِّ مَكَّةَ عَلَى سِتِّ مَرَاحِلَ"[9].

---

1 - ديوان القتَّال الكلابي، ص 92.
2 - عبد الله بن عبد العزيز بن محمد البكري الأندلسي، معجم ما استعجم من أسماء البلاد والمواضع، ج9، ص 978.
3 - علي بن عبد الله بن أحمد الحسني الشافعي السمهودي، وفاء الوفاء بأخبار دار المصطفى، ط1، دار الكتب العلمية، بيروت، 1419هـ، ج4، ص 98.
4 - علي بن عبد الله بن أحمد الحسني الشافعي السمهودي، وفاء الوفاء بأخبار دار المصطفى، ج3، ص 230.
5 - ياقوت بن عبد الله الرومي الحموي، الخزل والدأل بين الدور والدارات والديرة، 15/1.
6 - أحمد بن محمد بن إسحاق الهمداني المعروف بابن الفقيه، البلدان، تحقيق: يوسف الهادي، ط1، عالم الكتب، بيروت، 1996م، ص 84.
7 - ابن شمائل القطيعي البغدادي، مراصد الاطلاع على أسماء الأمكنة والبقاع، ج2، ص 1001.
8 - نور الدين أبو الحسن السمهودي، وفاء الوفاء بأخبار دار المصطفى، ج4، ص 125.
9 - عاتق بن غيث بن زوير البلادي الحربي، معجم الْمَعَالِمِ الْجُغْرَافِيَّةِ فِي السِّيرَةِ النَّبَوِيَّةِ، ص 228.

(بـئر دريـرات) قـال يـاقوت الحمـوي: "بـئر دريـرات: هـو بـئر مـاء في موضـع يقـال لـه دُرَيْـرات"[1]. و(دثين) كـما قـال يـاقوت الحمـوي: "دَثِـينٌ: بفـتح أولـه، وكسر ثانيـه، ويـاء مثنـاة مـن تحـت، وآخـره نون: اسم جبل، يقال: دثّن الطائر تدثينًا"[2].

حيـث يـدعو الشـاعر بالسـقيا مـن حـدود قبيلـة بنـي كـلاب (الشـطون) إلى حـدود قبيلـة بنـي أسـد (غمـرة) إلى الموضـع الـذي يتضـمن بـئر دريـرات إلى الموضـع الـذي فيـه جبـل دثـين، وهـذان الموضـعان في شـبه الجزيـرة العربيـة، بيـد أنـه لم يـذكر المؤرخـون تحديـدًا دقيقًـا لموضـعيهما فـيما وقفت عليه من مصادر.

ومن دلالة التخصيص ما نظمه القتَّال الكلابي:

لعمري لحيٌّ من عقيلٍ لقيتهم بخَطْمَةَ أو لاقيتهم بالمناسك[3]

(خَطْمَـة) قـال ابـن شرَّاب: "بـئر خطمـة: مـن آبـار المدينـة التـي لا تعـرف جهتهـا، وإنمـا هـي في مسـاكن بنـي خطمـة مـن الأوس، وكـانوا يسـكنون العـوالي مـن المدينـة"[4]. وقـال يـاقوت الحمـوي: "خَطْمَـةُ: بفـتح أولـه، وتسـكين ثانيـه: موضـع في أعـلى المدينـة... وخَطْمـةُ: جبـل يصـب رأسـه في وادي أوعـال ووادي القـرى، كـذا قـال ابـن الحائـك"[5]. وربمـا أن الشـاعر لا يقصـد بقولـه (بخطمـة) البـئر التـي أشرنـا إليهـا، وإنمـا يقصـد الموضـع الـذي يتضـمن البـئر المسـمى باسـم الموضـع (بـئر خطمـة)، بيـد أن مـا يـرجح تأويـل مـا ذهبنـا إليـه في أن الـراجح أن يكـون التقـى بـبعض بنـي عقيـلٍ عنـد بـئر موضـع خطمـة حيـث المشـهور أن اللقـاءات كانـت تـتم في مواضـع الميـاه، لأن هـذه المواضع تعد علامات مميزة للمنطقة خصوصًا في البوادي.

كـما أتى بعـض الشـعراء عـلى ذكـر الموضـع الجغـرافي الـذي يتضـمن آبـار الميـاه وغـدرانها، كـما في قوله القتَّال الكلابي:

---

1 - ياقوت الحموي، معجم البلدان، ج2، ص 454.
2 - ياقوت الحموي، معجم البلدان، ج2، ص 439.
3 - ديوان القتَّال الكلابي، ص 71.
4 - محمد بن محمد حسن شُرَّاب، المعالم الأثيرة في السنة والسيرة، ص 42.
5 - ياقوت الحموي، معجم البلدان، ج2، ص 379.

طَوالعُ مِن حَوضي الرَّداه كأنَّها نواعمُ من مَرَّانَ أوقَرَها البُسْرُ[1]

(مـرَّان) قريـة غنَّـاء كثـيرة العيـون والآبـار والنخيـل والمـزارع وهـي عـلى طريـق البصرة لبنـي هلال.

تجـدر الإشـارة إلى أننـا وجـدنا بعـض الشـعراء يوظفـون مفـردات البيئـة الصـحراوية المتعلقـة بالآبـار في شـعرهم، حيـث إن للآبـار مكانـة مهمـة في حيـاة البـداوة في شـبه الجزيـرة العربيـة، فعليهـا يقـوم معاشـهم في سـنوات القحـط والجفـاف. ومـن أبـرز أمثلـة التوظيـف مـا نظمـه حاجز بن عوف الأزدي:

فباتَ الدمعُ يخضلني كأنِّي تقيتُ بريطتي غربي محالهْ[2]

يخضـلني: يرشـني، تقيـت: اتقيـت، الريطـة: ثـوب لـين مـن قطعـة واحـدة، غـرب: دلـو، المحالـة: البكـرة التـي يتحـرك عليهـا حبـل الـدلو الـذي يكـون في بـئر المـاء. حيـث اسـتفاد الشـاعر مـن متعلقات الآبار ووظفها في شعره توظيفًا دقيقًا ومتقنًا.

9- النـدى: وهـو لغـة مـن الجـذر اللغـوي (نـدي) ومـن معانيـه في لسـان العـرب: "النـدى: البلـل. والنـدى: مـا يسـقط بالليـل، والجمـع أنـداء وأنديـة، عـلى غـير قيـاس. ونـدى الأرض: نـداوتها وبللهـا. وأرض نديـة، عـلى فعلـة بكسرـ العـين، ولا تقـل نديـة، وشـجر نـديان. والنـدى: الكـلأ، ويقـال: النـدى نـدى النهـار، والسـدى نـدى الليـل؛ يضرـبان مـثلاً للجـود ويسـمى بهـما. ونـدي الشيءـ إذا ابتـل فهـو نـد، مثـال تعـب فهـو تعـب. وأنديتـه أنـا ونديتـه أيضـا تنديـة. ومـا نـديني منـه شيء أي؛ نـالني، ومـا نديت منه شيئًا أي؛ ما أصبت ولا علمت"[3].

ومن ذلك، للقتَّال الكلابي:

1 - ديوان القتَّال الكلابي، ص 49.
2 - أحمد محمد عبيد، شعراء جاهليون، ص 181.
3 - ابن منظور، لسان العرب، مادة (ندي).

وما روضةٌ بالحَزنِ قفرٌ مَجُودةٌ يمجُّ النَّدى ريحانُها وصبيبُها[1]

ومنه ما نظمه أبو صخر الهذلي في وصف إحدى الرياض، حيث جاء على ذكر (نجاء الدلو) كما فعل الشاعران تأبط شرًّا والقتَّال الكلابي، مما يؤكد لنا أن النجاء مقترنة بالمرحلة الزمنية المسماة الدلو، وهو "كوكبان مضيئان أحدهما شمالي والآخر جنوبي"[2].

فما روضةٌ بالحَزمِ طاهرةُ الثَّرى وَلَتْهَا (نجاء الدَّلو) بعدَ الأبارِدِ
يمجُّ خُزَامَاها النَّدَى وعرَارَها بعَليَاء لم يُؤثر بها جَرسُ وَارِدِ[3]

فهو يصف روضة في مكان مُشرفٍ أصابها مطر الولي -وهو النوع الثاني من مراتب المطر بعد الوسمي- من السحاب المسمى (النجاء) المتعلق بزمن نوء الدلو، وهو يريد (الدلو المؤخر) لأن وقته بعد ذهاب البرد، وكذلك أصاب الندى شجرها وخزاماها بعد الولي، وهي بمنطقة لم يسمع بها صوت أحد.

نلاحظ الشبه بين ما نظمه القتَّال الكلابي وأبو صخر الهذلي، حيث إن الأول أشار إلى أن الندى يمج الريحان، واستعمل الثاني الفعل نفسه في يمج الخزامى والعرار.

وتنَّوع الشعراء بين استعمال الاسم الصريح للندى، أو الإشارة إليه بلفظ (الطلّ)، ومن ذلك، لقيس بن الحدادية:

---

1 - ديوان القتَّال الكلابي، ص 31.
2 - زكريا بن محمد بن محمود القزويني، عجائب المخلوقات وغرائب الموجودات، لا . ط، مطبعة التقدم، مصر، د.ت، ص 49.
3 - الحسن بن الحسين السكري، شرح أشعار الهذليين، ج2، ص 932.

إذا اشتدّ إرهامُ النَّدى فهو ساقِطٌ خَضولٌ كظَهرِ البُرجُدِ المُتصببِ[1]

ولأبي الخرّاش الهذلي:

ونَعْلٍ كأشلاءِ السُّمانى نبذتُها خلافَ ندًى من آخر الليل أو رهمِ[2]

ولتأبَّط شرًّا في المعنى نفسه :

طرحتُ لهُ نَعْلاً من السَّبت طلَّةً خلاف ندًى من آخر الليل مخضلِّ[3]

وللشنفرى في استدعاء توظيف لفظ الندى :

تعسَّفت منه بعدما سقط النَّدى غماميلُ يخشى عيلها المتعسِّفُ[4]

وأما توظيف الندى من خلال أسمائه الأخرى أو صفاته، فقد استعمل الشعراء الصعاليك (الطلّ) في الإشارة إلى الندى، ومن ذلك، للشنفرى:

فبتنا كأن البيت حجر فوقنا بريحانة ريحت عشاءً وطُلَّتِ[5]

ولتأبَّط شرًّا في الفخر:

أنا الذي نكح الغيلان في بلدٍ ما طلَّ فيه سماكي ولا جادا[6]

فعلى الرغم من أن سياق البيت جاء في الفخر، جاء استعمال (الطَّلِّ) في سياقٍ سلبي، حيث يذكر الشاعر أرضًا قفرًا لا ماء فيها ولا مطر.

---

1 - حاتم صالح الضامن، شعر قيس بن الحدادية، ص 205.
2 - يوسف خليف، الشعراء الصعاليك في العصر الجاهلي، ص 226. الرهم: المطر الضعيف الساكن اللين.
3 - ديوان تأبط شرًّا وأخباره، ص 185.
4 - ديوان الشنفرى، ص 55.
5 - ديوان الشنفرى، ص 34. طلت: أصابها الطل، وهو الندى.
6 - ديوان تأبط شرًّا وأخباره، ص 77.

وفي جانب آخر فقد جاء توظيف الندى دلالة على الكرم والسخاء، ونلاحظ في هذا الاستعمال أنه تضمن تطورًا دلاليًّا في تحول مفردة اقتران الكف بالندى من المعنى اللغوي إلى المعنى الدلالي، ومن ذلك، للشنفرى:

يابسُ الجنبين من غير بؤسٍ وندِيُّ الكفَّين شهمٌ مدلّ[1]

وللشنفرى في سياق الفخر والمدح:

شامسٌ في القُرِّ حتَّى إذا ما ذكت الشّعرى فبردٌ وطَلُّ[2]

تجدر الإشارة هنا إلى أن الدلالة المركزية للتركيب اللغوي (نديُّ الكفِّ) تشير إلى بلل الكف بقطرات الماء الصغيرة، وهي دلالة لغوية، بيد أن الدلالة الهامشية تشير إلى أن استعمال هذا التركيب لا يكون إلا في سياق مدح الكرم والسخاء. مما يجعلنا نلاحظ أن الدلالة الهامشية تفوقت على الدلالة المركزية وأصبحت أكثر شيوعًا منها. وهذا ما سنتناوله بالتفصيل في الفصل الثالث من هذه الدراسة.

1 - ديوان الشنفرى، ص 86.
2 - ديوان الشنفرى، ص 85-86.

الفصل الثالث

الألفاظ المتصلة بالماء ودلالاتها

مدخل

تـزداد أهميـة عنصر الماء كلـما كـان شـحيحًا نـادرًا، خصوصًـا في البيئـة الجافـة، ومـن ذلـك، بيئـة البادية العربيـة قبـل أن تتـوفر فيهـا الآبـار الارتوازيـة وقنـوات الميـاه الصـالحة للشرـب. وتعـود عناية الشعراء الصعاليك بعنصر الماء إلى سببين اثنين:

1- **أهمية الماء لكونه قوام العناصر المكونة للحياة.**
2- **نـدرة المـاء بسـبب طبيعـة البيئـة الجافـة، خصوصًـا مـع عـدم اسـتقرار الشـعراء الصـعاليك في موضـع واحـد، وتـنقلهم الـدائم في البـوادي، مـما يجعـل عنصر المـاء عاملاً مهمًّا للاستقرار الآني لدى موارده.**

اسـتعمل العـرب قـديمًا ألفاظًـا مختلفـة للإشـارة إلى المـاء وصـفاته وأحوالـه العلويـة والأرضـية، وخصوصًـا الأفعـال المتعلقـة باسـتعمال المـاء في الشرـب أو جريانـه، فخصصـوا لكـل حـالٍ لفظًـا مميـزًا يـدل عليـه، واسـتعمل الشـعراء هـذه الألفـاظ في مواضـع متفرقـة في قصـائدهم، وهـو مـا سـنتناوله في هـذا الفصـل بـالوقوف عـلى أهـم الاشـتقاقات اللغويـة لألفـاظ المـاء ودلالاتهـا في شعر الصعاليك.

ذكـر الثعـالبي في كتابـه (فقـه اللغـة) في فصـل: (تقسـيم خـروج المـاء وسـيلانه مـن أماكنـه)، مـا نصـه: "مـن السـحاب: سحَّ، مـن الينبـوع: نبـعَ، مـن الحَجَـر: انـبجسَ، مـن النهـر: فـاضَ، مـن السـقفِ: وكـفَ، مـن القربـةِ: سربَ، مـن الإنـاءِ، رشـحَ، مـن العـينِ: انسـكبَ، مـن المـذاكيرِ: نطفَ، من الجرحِ: ثعَّ"[1].

وفـيما يـأتي نتنـاول تحليـل أبـرز الشـواهد الشـعرية لـدى مـا وقفـت عليـه مـن قصـائد الشـعراء الصـعاليك التـي تضـمنت الألفـاظ المتصـلة بالمـاء ومـدى ملاءمتهـا للدلالـة والتأويـل، إضـافة إلى إلقـاء الضـوء عـلى أوجـه التطـور الـدلالي لألفـاظ المـاء بحسـب السـياقات التـي وردت فيها وذلك في مبحثين اثنين.

---

1 - **عبدالملك بن محمد الثعالبي، فقه اللغة وأسرار العربية، ص 305.**

المبحث الأول: الاشتقاقات المتصلة بالماء ودلالاتها

وفيه نتناول أبرز الاشتقاقات اللغوية لألفاظ الماء وكيفية توظيف الشعراء لهذه الاشتقاقات في شعرهم، ومدى توفيقهم في توظيفها ومطابقتها للمعنى، ونبدأ أولاً بلفظ (الشرب) على النحو الآتي:

1- الشُّرْب: وتحديده لغة في لسان العرب: "الشرب: مصدر شربتُ أشربُ شربًا. ابن سيِّده: شربَ الماء وغيره شُربًا. والمَشْرَبُ: شريعةُ النهر، والمَشرَبُ: المشروبُ نفسه. والشَّرابُ: اسمٌ لما يُشرب. وكلُّ شيءٍ لا يُمضغ فإنه يقال فيه: يُشرَب. والشروب: ما شُرِب. والماء الشروب والشريب: الذي بين العذب والملح، وقيل: الشروب: الذي فيه شيء من عذوبة، وقد يشربه الناس على ما فيه. والشريب: دونه في العذوبة، وليس يشربه الناس إلا عند ضرورة ، وقد تشربه البهائم؛ وقيل: الشريب العذب؛ وقيل: الماء الشروب الذي يُشرب"[1].

وجاء لفظ الشرب عند الشعراء الصعاليك في مواضع سياقية متنوعة، فتعلق الشرب بالماء حينًا، وبالخمر حينًا، وبالدم حينًا، وعلى سبيل الكناية أحيانًا كثيرة. ثم إن توظيف الشعراء للفعل (شرب) ومشتقاته جاء موافقًا للسياق النصي- الذي وردت فيه، سواء من حيث السبك العروضي واختيار الألفاظ المناسبة لإقامة الوزن الشعري، أو من موافقة الاستعمال للدلالة والتأويل.

فمن أبرز مواضع استعمال المصدر الميمي (مشرب) فإنها جاءت متعلقة بالماء الحقيقي فيما نظمه الشاعر الشنفرى وهو يصف خطورة وروده على بعض مواضع الماء الصالح للشرب فقال ما نصه:

---

1 - ابن منظور، لسان العرب، مادة (شرب).

وإنَّكِ لو تدرينَ أنْ رُبَّ مَشربٍ مَخُوفٍ كدَاءِ البطنِ أو هُوَ أخوَفُ[1]

استعمل الشاعر (مشرب) على وزن (مفعل) وهي نفسها على وزن (موضع)، ودلالة استعمال هذا الاشتقاق اللغوي دون غيره في الإشارة إلى موضع ماء الشرب في البادية، أن الاشتقاق (مشرب) مصدر ميمي مصاغ من الفعل الثلاثي (شرب)، ويصح أن يحمل دلالة على المكان.

والمشرب الذي يقصده الشاعر هو مورد الماء (الغدير) وقد أسماه مشربًا في دلالة أنه من الغدران أو العيون الصالحة للشرب، ولذلك فإن الحصول على هذا الماء في البيئة الجافة يكون أمرًا عسيرًا لرغبة الكثيرين بالاستحواذ عليه وامتلاكه. وتظل الخشية ملازمة كل من تسول له نفسه بالدنو من موضع ماء الشرب، وكأن هذا الخوف والقلق أشبه بالخوف من داء البطن، الذي كان معروفًا في تلك الفترة بأنه وباء لا شفاء منه، وأن المصاب به لن ينجو ولن يعيش طويلاً فيكون الموت محققًا، وكذلك الأمر لمن يرد غدير الماء فإنه متيقن من موته تيقن مريض داء البطن من ذلك، بل أشد خوفًا منه.

وفي بيتٍ لاحقٍ يستمر هذا القلق عند الشاعر الشنفرى فيظهر خشيته بأن يكون موته لدى مغامرته في وِرْدِ أحد عيون الماء، حيث يقول:

إني لأعلمُ أنَّ حتفيَ في التي أخشى لدى الشُّربِ القليلِ المُنزَفِ[2]

ثم إن الشاعر أعاد تأكيد الخطر الذي يحمل موضع الماء الذي أشار إليه بالمصدر (المشرب) في البيت السابق، لكنه استعمل هنا مصدرًا آخر للدلالة عليه (الشرب)، والدلالة التي يحملها هذا المصدر أن الشاعر بيّن في البيت الأول الموضع وخطورته، وأظهر في البيت الثاني خشيته من أن يموت على حافة المشرب من أجل شربة ماء قليلة.

1 - ديوان الشنفرى، ص 54.
2 - ديوان الشنفرى، ص 56.

إن إصرار الشاعر وتأكيده على موضع الخطورة في ورود ماء الشرب يدل على ندرة غدران الماء الصالحة للشرب في بيئته، ولعل هذا يشير إلى أن الأعوام كانت وقتئذٍ قاحلة بشكل شديد.

وتجدر الإشارة إلى أن الشاعر السليك بن السلكة استعمل جمع الشرب على (شروب) في قوله:

وقلتُ له خُذ هجمةً حِميريَّةً وأهلاً ولا يبعد عليكَ شروبُ[1]

بينما اكتفى الشنفرى في لاميته باستعمال الفعل (تشرب) لما صور سرعته في العدو والوصول إلى الماء ليشرب منه قبل وصول طيور القطا إليه، وهو في هذه الصورة يقول في توظيف لفظ الشرب بأن هذه الطيور تشرب الماء المكدر بعد أن مر الشاعر عليه وشرب وانصرف عنه:

وتشربُ آسارِي القَطا الكُدْرَ بعدما سَرَتْ قَرَبًا أحشاؤها تَتصلصَلُ[2]

فاستعمل الشاعر الفعل المضارع (تشربُ) في توظيف منطقي للفعل في سياق البيت الشعري دون الحاجة إلى التلاعب بالأوزان والإتيان باشتقاقات أخرى لإبراز لغة البيت.

2- المَج: ورد معناها في لسان العرب تحت الجذر اللغوي (مَجَجَ): "مَجَجَ: مجَّ الشراب والشيء من فِيْهِ يمجُّهُ مجًّا ومَجَّ به: رماه. وخصَّ بعضهم به الماء، ومجَّ بريقه يمجُّهُ: إذا لفظه. وانمجَّت نُقطةٌ من القلم: تَرشَّشت. وشيخٌ ماجٌّ: يمجُّ ريقَهُ ولا يستطيع حبسهُ من كثره. وما بقي في الإناء إلا مجَّةٌ أي: قدر ما يُمَجُّ. والمجاج: ما مجَّهُ من فِيْهِ... والمجاجة: الريق الذي تمجُّه من فيك. ومجاجة الشيء: عصارته. ومجاج الجراد: لُعابه. ومجاج فم الجارية: ريقها. ومجاج العنب: ما سال من عصيره"[3].

1 - طلال حرب، ديوان الشنفرى ويليه السليك بن السلكة وعمرو بن براق، ص 81.
2 - يوسف خليف، الشعراء الصعاليك في العصر الجاهلي، ص 45.
3 - ابن منظور، لسان العرب، مادة (مَجَجَ).

الأصل في المجِّ أن يكون للماء، وقد استعمله القتَّال الكلابي بهذا المعنى الصريح في قوله:

وما روضةٌ بالحَزنِ قفرٌ مَجُودةٌ يمجُّ النَّدى ريحانُها وصبيبُها[1]

يعد الندى من متعلقات الماء لاعتباره جزءًا منه، ولارتباطه في تكوينه بقطرات الماء، كما أن التوظيف لكل من الفعل (مجَّ) و(الندى) جاء متوافقًا مع السياق، حيث إن المج في اللغة يعني صبَّ الماء على دفعات، أو بقدر محدد يكون بقطرات أو بمجَّات قليلة، ولهذا فإن قطرات الندى يوافقها المجُّ دون غيره. فالشاعر يصور كيف أن الندى العالق بأوراق نبات الريحان ينصب عنها وكأن الريحان يمج هذا الندى عن أوراقه.

وتجاوز بعض الشعراء المعنى اللغوي الشائع للمجِّ المقترن بالماء في معظم استعمالاته، ووظفوه في استعمالات دلالية أخرى خاصة بالسوائل من غير الماء، كما فيما نظمه الشاعر الشنفرى فيمادة سائلة مغايرة تمامًا للماء، وهو السم، فقال في ذلك ما نصه:

فطَعْنَةُ خِلسٍ مِنكُمُ قد تَركتُها تَمجُّ على أقطارِها سُمَّ أَسودِ[2]

حيث إن من خواص الماء وأساسياته أنه قوام الحياة، والفناء متحقق بوجوده حتمًا، فيجيء السمُّ مغايرًا لدلالة الماء الحقيقية، حيث إنه يؤدي إلى الهلاك، وإن استعمال الشاعر للفعل (مجَّ) في هذه الدلالة المغايرة تمامًا لا يؤثر على دلالة التوظيف، حيث إن كلاًّ من الماء والسمِّ يتشابهان في وحدة الحالة الفيزيائية بإدراجها ضمن السوائل.

نلاحظ اختيار الشاعر للفعل (مجَّ) دون غيره من الأفعال الدالة على الشرب، ويعود تعليل اختياره إلى أن السم الذي قصده، هو سمُّ الحيَّة السوداء، ومن طبيعة هذا السم أن يكون على شكل قطرات صغيرة، وكميته قليلة، فيوافقه الفعل (مج) في جميع الأحوال.

1 - ديوان القتَّال الكلابي، ص 31.
2 - ديوان الشنفرى، ص 45.

3- العَلَـل: ورد معناهـا في لسـان العـرب تحـت الجـذر اللغـوي (عَلَـلَ): "علـل: العـلُّ والعلـل: الشرـبة الثانيـة، وقيـل: الشرـب بعـد الشرـب تباعًـا، يقـال: علـل بعـد نهـل. وعلَّـه يعلُّـه ويعلّـه إذا سـقاه السـقية الثانيـة، وعـلَّ بنفسـه، يتعـدى ولا يتعـدى. وعـلَّ يعـلُّ ويعـلُّ عـلاًّ وعـلاً، وعلَّـت الإبـل تعـلُّ وتعـلُّ إذا شربـت الشرـبة الثانيـة. ابـن الأعـرابي: عـلَّ الرجـل يعـلُّ مـن المـرض، وعـلَّ يعـلُّ ويعـلُّ مـن علـل الشرـاب. قـال ابـن بـري: وقـد يسـتعمل العلـل والنهـل في الرضـاع كـما يسـتعمل في الـورد. الأصـمعي: إذا وردت الإبـل المـاء فالسـقية الأولى النهـل، والثانيـة العلـل. وأعللـت الإبـل إذا أصـدرتها قبـل ريِّهـا، وفي أصـحاب الاشـتقاق مـن يقـول هـو بـالغين المعجمـة كأنـه مـن العطـش، والأول هـو المسـموع. أبـو عبيـد عـن الأصـمعي: أعللـت الإبـل فهـي إبـل عالـة إذا أصـدرتها ولم تروهـا ؛ قـال أبـو منصـور: هـذا تصـحيف، والصـواب أغللـت الإبـل بـالغين وهـي إبـل غالـة. وروى الأزهري عن نصير الرازي قال: صدرت الإبل غالة وغوال، وقد أغللتها من الغلة والغليل وهو

4- حـرارة العطـش، وأمـا أعللـت الإبـل وعللتهـا فهـما ضـدا أغللتهـا؛ لأن معنـى أعللتهـا وعللتهـا أن تسقيها الشربة الثانية ثم تصدرها رواء، وإذا علت فقد رويت"[1].

ومن ذلك، قول الشاعر عبدة بن الطبيب:

حتى إذا مضَّ طعنًا في جواشِنِها وروقُهُ من دَمِ الأجوافِ مَعلُولُ[2]

(مـض): أوجـع وأحـرق يقـال: أجـدُ مضًـا ومضضًـا أي؛ حرقـة. و(الجواشـن) الصـدور: الواحـد جوشـن، ويقـال لـه: جؤشـوش، والجمـع: الجآشـيش. و(المعلـول) الـذي سـقي الـدم مـرة بعـد مـرة، أخـذ مـن العلـل، وهـي الشرـبة الثانيـة مـن الـدم، وإنمـا قـال: (دم الأجـواف) لأن الثـور تعمَّـد مقاتلة الكلاب.

1 - ابن منظور، لسان العرب، مادة (عَلَلَ).
2 - يحيـى الجبـوري، شـعر عبـدة بـن الطبيـب، ص 69. المعلـول: الـذي سـقى الـدم مـرة بعـد مرة، ومأخوذة من العلل وهي الشربة الثانية.

وفي البيت يصف الشاعر قرن الثور بأنه متلون بلون الدم لكثرة ما اخترق صدور وبطون المعتدين عليه، واختار الشاعر لفظ (معلول) دون سواها لتحقيق دلالتين اثنتين:

الدلالة الأولى: موافقة القافية اللامية في القصيدة.

الدلالة الثانية: العل يكون بالشرب مرة بعد مرة، وهو يوافق دلالة التأويل في أن الثور كان يقاتل مرة بعد مرة، وفي كل منها يسقي قرنه من دم الأجواف من المعتدين عليه.

وقول الشاعر تأبَّط شرًّا:

كمشية الأرخ تريد العلة[1]

"الأرخ: الأنثى من البقر، وهي البكرُ التي لم يَنْزُ عليها الثيران. والعلةُ: بمعنى الشربة الثانية من قولهم (علَّ) أي؛ شرب ثانية على غير ظمأ. وعلى هذا يكون المعنى: أنها تمشي مشية الأرخ المتبخترة قاصدة الماء لتشرب ثانية، وخصَّ بالذكر الشربة الثانية لأنها أبطأ للأرخ في مشيتها وأهدأ لها فهي ليس على ظمأ يعجل بها في سيرها نحو الماء"[2].

ومن خلال ما بيّنه الشارح نلاحظ أن الشاعر وفّق في استعمال (العلة) دون سواها من المفردات الدالة على معنى الشرب، وحقق بذلك الدلالة التي يريدها في وصف التبختر في المشي بهدوء ورفق.

ومن ذلك، ما نظمه تابَّط شرًّا في قصيدة أخرى:

يُنْهِلُ الصعدةَ حتى إذا ما نَهِلَتْ كانَ لها منهُ عَلُّ[3]

1 - ديوان تأبط شرًّا وأخباره، ص 200.
2 - ديوان تأبط شرًّا وأخباره، ص 200. الحاشية من كلام شارح الديوان.
3 - ديوان تأبط شرًّا وأخباره، ص 250.

"وقوله ينهل الصعدة يريد الإبانة عن الحال التي أشار إليها من دوام الحرب، وبسط القتل، فيقول: يروي الرمح من دمائهم بالسقية الأولى، فإذا ما رويت لم يرضه ذلك حتى يعقبه بمثله من السقية الثانية. والمعنى اتصال الوقعات، وامتداد البلاء منه في صب الغارات. والصعدة: القناة تنبت مستويةً، وجمعها صعداتٌ بفتح العين"[1].

اتكأ الشاعر على المعنى اللغوي للمفردة (علّ) والتي تعني الشربة الثانية، فهو كلما انتهى من سقى رمحه من دمائهم مرة أولى، عاد ليسقيها مرة ثانية، فجاء اختيار (العل) موافقًا للسياق والتأويل.

ومن ذلك، ما نظمه الشاعر الشنفرى بقوله:

تراها كأذناب الحسيل صوادرًا وقد نهلت من الدماء وعلّت[2]

"الحسيل: جمع حسيلة، وهي أولاد البقر، وقد شبه الشاعر السيوف بأذناب الحسيل إذ رأت أمَّاتها فأخذت تحرِّك أذنابها. ونهِل: شرب أوَّل الشرب. وعلَّ: شرب بعد الشرب الأول ثانيةً أو تباعًا"[3].

من خلال الأبيات السابقة نلاحظ عناية الشعراء باختيار مفرداتهم بدقة لتناسب فكرة الأبيات وتعبر عن المعنى ببلاغة واضحة لا إبهام أو لبس فيها، فيختارون الألفاظ وفق الدلالة المحددة التي تشير إليها، ومن ذلك، في المثال الأخير اختيار الشاعر الشنفرى لمفردة النهل أي؛ الشربة الأولى، ثم العلل أي؛ الشربة الثانية، وهو ترتيب موافق للدلالة ومنسجم مع المعنى.

1 - أحمد بن محمد بن الحسن المرزوقي الأصفهاني، شرح ديوان الحماسة، تحقيق: غريد الشيخ، ط1، دار الكتب العلمية، بيروت، 2003م، ص 593.
2 - ديوان الشنفرى، ص 36-37.
3 - ديوان الشنفرى، ص 36- 37. الحاشية: من كلام شارح الديوان.

5- الغَبُـوق: جـاء في لسـان العـرب تحـت الجـذر اللغـوي (غَبَـقَ) مـا نصـه: "غبـق: الغبـق والتغبـق والاغتبـاق: شرب العشي. والغبـوق: الشرـب بالعشي. رجـل غبقـان وامـرأة غبقـى كلاهـما عـلى غـير الفعـل؛ لأن افتعـل وتفعـل لا يبنـى مـنهما فعـلان. والغبـوق: مـا اغتبـق، وخـص بعضـهم بـه اللـبن المشرـوب في ذلـك الوقـت، وقيـل: هـو مـا أمسى. عنـد القـوم مـن شرابهـم فشرـبوه، وجمعـه غبـائق عـلى غـير قيـاس. وغبـق الإبـل والغـنم: سـقاها أو حلبهـا بالعشي. واسـم مـا يحلـب منهـا الغبـوق، والغبـوق: مـا اغتبـق حـارًّا مـن اللـبن بالعشي. ويقـال: هـذه الناقـة غبـوقي وغبـوقتي أي؛ أغتبـق لبنهـا، وجمعهـا الغبـائق، وكـذلك صـبوحي وصـبوحتي، ويقـال: هـي قيلتـه وهـي الناقـة التـي يحتلبهـا عنـد مقيلـه. وقـال بعـض العـرب لصـاحبه: إن كنـت كاذبًـا فشرـبت غبوقًـا بـاردًا أي؛ لا كـان لـك لـبن حتـى تشرـب المـاء القـراح، فسـماه غبوقًـا عـلى المثـل، أو أراد قـام لـك ذلـك مقـام الغبـوق. ولقيته ذا غبوق وذا صبوح أي؛ بالغداة والعشي، لا يستعملان إلا ظرفًا"[1].

ومن ذلك، قول الشاعر أبي الخراش الهذلي:

وإني لأثوي الجُوعَ حتى يَمَلَّني فَيذهبَ لم يَدنَسِ ثيابي ولا جرمي

وأغتبقُ الماءَ القَرَاحَ فأنتهي إذا الزادُ أمسى للمزلَّج ذا طعمِ[2]

إن السـياق الـذي ورد فيـه الفعـل (أغتبـق) سـياق فخـر، حيـث إن الشـاعر يبـيّن اعتـزازه بنفسـه عـن الطلـب وإن كـان محتاجًـا، فهـو يصـبر عـلى الجـوع حتـى يمـل هـذا الجـوع مـن الشـاعر ويـذهب عنـه، وفي آخـر الليـل يغتبـق المـاء القـراح، وهـو المـاء الـزلال الصـافي الصـالح للشرـب، وينتهـي بـه فيكتفي عن أي طعام.

وظـف الشـاعر الفعـل (أغتبـق) في السـياق بمـا يوافـق المعنـى والتأويـل، حيـث إنـه بـيّن صـبره عـلى الجوع وذلـك يكـون طـوال النهـار ومعظـم الليـل، ثـم أوضـح أنـه يشرـب المـاء في آخـر الليـل قبـل أن ينام، فحدد الوقت بدقة من خلال الفعل (أغتبق) بما يحمله من دلالة لغوية في المعجم.

1 - ابن منظور، لسان العرب، مادة (غَبَقَ).
2 - ديوان الهذليين، القسم الثاني، ص 127.

6- الغَـبُّ: ورد في لسـان العـرب تحـت الجـذر اللغـوي (غَبَـبَ) مـا نصُّـهُ: "والغـبُّ: وِرْدُ يـوم، وظـمء آخـر؛ وقيـل: هـو ليـوم وليلتـين؛ وقيـل: هـو أن ترعـى يومًـا وتـرِدَ مـن الغـد. ومـن كلامهـم: لأضربنـك غـب الحـمار وظـاهرة الفـرس؛ فغـب الحـمار: أن يرعـى يومًـا ويشرـب يومًـا وظـاهرة الفـرس: أن تشرب كل يـوم نصـف النهـار. وغبـت الماشـية تغـب غبًّـا وغبوبًـا: شربـت غبًّـا؛ وأغبهـا صـاحبها؛ وإبـل بنـي فـلان غابـة وغـواب. الأصـمعي: الغـبُّ إذا شربـت الإبـل، يومًـا وغبَّـت يومًـا؛ يقـال: شربـت غبًّـا؛ وكـذلك الغـبُّ مـن الحمـى. ويقـال: بنـو فـلان مغبـون إذا كانـت إبلهـم تـرد الغـب؛ وبعـير غـاب؛ وإبـل غـواب إذا كانـت تـرد الغـب. وغبـت الإبـل، بغـير ألـف تغـب، غبـا إذا شربـت غبًّـا؛ ويقـال للإبـل بعـد العشرـ: هـي ترعـى عشرًـا وغبًّـا وعشرًـا وربعًـا، ثـم كـذلك إلى العشرـين. والغـب مـن ورد الماء: فهو أن تشرب يومًا، ويومًا لا. وأغبت الإبل: من غبَّ الورد"[1].

ومن ذلك، قول القتَّال الكلابي مفتخرًا ببدويته:

تعلو النِّجادَ بِمَضْرَحِيٍّ لَمْ يَذُقْ لبَأَ الإمَاءِ غَدَاةَ غِبِّ المَوْلِدِ[2]

أوضـح شـارح ديـوان القتـال الكـلابي أن المضرـحيَّ مـن أسـماء النسرـ وربمـا سُـمِّي الرجـل الكـريم مضرـحيًّا. والمضرـحيُّ هـو جَـدُّ الشـاعر القتَّـال الكـلابي، حيـث ذكـر هـذا النسـب في مواضـع عديـدة من قصـائده. ويظهـر أن الشـاعر يفتخـر بأنـه لم يـذق لبـأ الإمـاء مـن قبـل، وهـي إشـارة إلى عداوتـه للإمـاء، ولعلهـا تعـد إشـارة إلى رفضـه أسـلوب الرضـاعة الـذي كـان في ذلـك الوقـت، خصوصًـا إذا كانت أم الطفل حية ترزق.

ولعـل الشـاعر هنـا يعـود بنفسـه إلى الطفولـة فيفضـل أن يرضـع يومًـا ويصـوم آخـر عـلى أن يرضـع مـن إحـدى الإمـاء، ولعـل في كلامـه إشـارة إلى سـنة قحـط وجفـاف أيـام مولـده، فجـف الضرـع واستعصـت الرضـاعة المسـتمرة، فكـان الغـب هـو الحـل في ذلـك، وهـو تأويـل لعلـه يحتـاج إلى توضـيح خصوصًـا مـع حاجـة الطفـل إلى الطعـام باسـتمرار فـلا قـدرة لديـه عـلى الصـيام، وأظـن أن أطعمة أخرى كانت تغني عن الرضاعة إن لم توجد.

1 - ابن منظور، لسان العرب، مادة (غَبَبَ).
2 - ديوان القتَّال الكلابي، ص 42.

7- الحَسو: جاء في لسان العرب ما نصُّهُ: "حسا: حسا الطائر الماء يحسو حسوًا: وهو كالشرب للإنسان، والحسو الفعل، ولا يقال للطائر شرب، وحسا الشيء حسوًا وتحساه. قال سيبويه: التحسي عمل في مهلة. واحتساه: كتحساه. وقد يكون الاحتساء في النوم وتقصي سير الإبل، يقال: احتسى سير الفرس والجمل والناقة. وجمع الحسوة حسى، وحسوت المرق حسوًا. ورجل حسو: كثير التحسي. ويوم كحسو الطير، أي؛ قصير. والعرب تقول: نمت نومة كحسو الطير إذا نام نومًا قليلاً. والحسو على فعول: طعام معروف، وكذلك الحساء، بالفتح والمد، تقول: شربت حساءً وحسوًا. ابن السكِّيت: حسوت شربت حسوًا وحساءً، وشربت مشوًا ومشاءً، وأحسيته المرق فحساه واحتساه بمعنى، وتحساه في مهلة... وفي الإناء حُسوة، بالضم، أي؛ قدر ما يُحسى مرَّةً"[1].

ومن ذلك، قول تأبط شرًّا:

فاحتسوا أنفاسَ نومٍ فَلَمَّا ثَمِلوا رُعتُهُم فاشمَعَلُّوا[2]

"احتسى الشَّرَاب: تنَاوله شَيْئًا شَيْئًا. والأنفاس الجرع: وهوم الرجل إِذا هز رَأسه من النعاس. واشمعلوا: أَسْرعُوا فِي السّير. ورعتهم: أفزعتهم، وَهُوَ جَوَاب لما. وَالْمعْنَى: كَانُوا فِي النعاس فَلَمَّا أفزعتهم جدوا فِي السّير"[3].

وظف الشاعر الفعل (حسا) في سياق الكناية لغير ما ورد فيه حقيقة، حيث إن الحسو يكون للماء وما أشبهه من السوائل، بيد أن الشاعر استعمله في غير معناه الأصيل وجعله مقترنًا بأنفاس النوم، وهي صورة شعرية جميلة تعبر عن حالتي الزفير والشهيق بهدوء عند النائم وكأنه يحسو أنفاس الهواء حسوًا.

1 - ابن منظور، لسان العرب، مادة (حسا).
2 - ديوان تأبط شرًّا وأخباره، ص 249.
3 - يحيى بن علي بن محمد الشيباني التبريزي، شرح ديوان الحماسة، د. ط، دار القلم، بيروت، د.ت، ص 345.

وقول أمير الصعاليك عروة بن الورد في بيته المشهور:

أقسِّمُ جِسمي في جُسومٍ كثيرةٍ وأحسُو قراحَ الماءِ والماءُ بَارِدُ[1]

جاء في شرح ديوان الحماسة في التعليق على هذا البيت ما نصه: "وقوله أقسِّم: أراد قوت جسمي وطعمته، لأني أوثر به الغير على نفسي. وأجتزىء بحسو الماء القراح، وهو البحت الذي لا يخالطه شيء من اللبن وغيره، والماء بارد، أي؛ والشتاء شاتٍ والبرد متناهٍ. وقال بعضهم: المهزول يجدُ برد الماء أكثر مما يجده السمين"[2].

نلاحظ أن الشاعر استعمل لفظ (الحسو) وفق معناه الحقيقي المقترن بالماء على غير ما استعمله الشاعر تأبَّط شرًّا في البيت السابق، وقد وفق الشاعر في توظيف (الحسو) في سياق البيت ومعناه، حيث إن الماء البارد لا يمكن شربه دفعة واحدة، إنما يكون حسوًا على مهل، ولو استعمل الشاعر أي لفظ من الألفاظ الدالة على الشرب مكان (أحسو) لما وافق المعنى وحقق البلاغة.

8- النَّهَل: جاء في لسان العرب تحت الجذر اللغوي (نَهَلَ) ما نصُّهُ: " نهل: النهل: أول الشرب، تقول: أنهلت الإبل وهو أوَّل سقيها، ونهلت هي إذا شربت في أول الورد، نهلت الإبل نهلاً وإبل نواهل ونهال ونهل ونهول ونهلة ونهلى. يقال: إبل نهلى وعلًّى للتي تشرب النهل والعلل. وقال ثعلب: المنهل الموضع الذي فيه المشرب. والمنهل: الشرب. قال أبو مالك: المنازل والمناهل واحد، وهي المنازل على الماء. وأنهل القوم: نهلت إبلهم. قال خالد بن جنبة الغنوي وغيره: والمنهل من المياه: كل ما يطؤه الطريق، وما كان على غير الطريق لا يدعى منهلاً. والنهل:

9- الشرب الأول. وقد نهِل، بالكسر، وأنهلته أنا لأن الإبل تسقى في أول الورد فترد إلى العطن، ثم تسقى الثانية وهي العلل فترد إلى المرعى. قال الأصمعي: إذا أورد إبله الماء فالسقية الأولى النهل، والثانية العلل"[3].

1 - ديوان عروة بن الورد، ص 61.
2 - أحمد بن محمد بن الحسن المرزوقي الأصفهاني، شرح ديوان الحماسة، ص 1158.
3 - ابن منظور، لسان العرب، مادة (نَهَلَ).

وقد ربط بعض الشعراء النهل بالدماء، في إشارة إلى شدة القتل وضراوته، كما في قول الشنفرى:

تراها كأذناب المطيِّ صوادرًا وقد نهلتْ منه الدماء وعلّت[1]

جاء في تعليق شارح الديوان على معنى النهل ما نصه: "ونهِل: شرب أوَّل الشرب"[2]، وفي هذا الموضع نلاحظ أن الشاعر استعمل (النهل) مع الدماء وليس مع الماء، فخرج من المعنى الحقيقي إلى المعنى المجازي، ويبقى هذا الاستعمال مقبولاً حيث إن الدماء تشترك مع الماء في الخاصية الفيزيائية التكوينية السائلة لكليهما.

وفي قول تأبَّط شرًّا موظفًا (النهل) مع الدماء ما نصه:

يُنْهِلُ الصَّعدةَ حتَّى إذا ما نَهِلَتْ كانَ لها منهُ عَلُّ[3]

بيّن شارح ديوان تأبط شرًّا معنى البيت بما نصه: "يقول: يروي الرمح من دمائهم بالسقية الأولى، فإذا ما رويت لم يرضه ذلك حتى يعقبه بمثله من السقية الثانية"[4]. والمعنى استمرار المعارك والمواجهات الحربية.

وأشار بعضهم إلى منهل الماء حقيقةً، وهو المكان الذي يجتمع فيه الماء مثل: الحوض وما إلى ذلك، كما في قول عروة بن الورد:

إذا ما هبطنا مَنهَلاً في مَخوفَةٍ بَعثنا رَبيئًا في المَرابئِ كالجذلِ[5]

وكنا قد أشرنا من قبل إلى أن ندرة مواضع الماء الصالح للشرب في البادية تجعل من هذه المواضع مكانًا خطرًا على كل من يرتاده لكثرة الطامعين به، وقد أشار الشاعر الشنفرى إلى هذا المعنى في موضعين ذكرناهما من قبل.

---

1 - ديوان الشنفرى، ص 98.
2 - ديوان الشنفرى، ص 36-37. الحاشية: من كلام شارح الديوان.
3 - ديوان تأبط شرًّا وأخباره، ص 250.
4 - ديوان تأبط شرًّا وأخباره، ص 250. الحاشية: من كلام شارح الديوان.
5 - ديوان عروة بن الورد، ص 90.

نلاحظ من خلال الأبيات السابقة أن (المنهل) جاء في سياقات متنوعة بين الإيجابية والسلبية ضمن إشارات وقرائن تأويلية تدل على ذلك، فلما اقترن النهل بالدماء كان سلبيًّا في جانبٍ خاص بطبيعة الدم، وإيجابيًّا في سياق آخر خاص بالفخر في الانتصار في المعارك والنهل من دماء الأعداء.

ومن أبرز مواضع التوظيف الإيجابي للنهل ما جاء في سياق مقترن بالسقاية الخاصة بحجاج بيت الله، كما في قول قيس بن الحدادية:

وأتبعتُ بين المشعرين سقايةً لحُجَّاج بيت الله أكرم منهلِ[1]

وفي التوظيف الإيجابي ما ورد في سياق الغزل كما في قول القتَّال الكلابي:

كأنَّ الشِّفاهَ الحُوَّ مِنهنّ حُمِّلَتْ ذَرَى بَرَدٍ يَنْهَلُّ عَنها غَرُوبُهَا[2]

والشفة الحواء: هي الشفة السمراء. والذرا: ما نفضته الريح من بَرَد. والغَروب: هو الماء الذي يجري على الأسنان، أي؛ أنه من أسماء الريق. ومعنى البيت: خلف شفتيها أسنان بيض كالبَرد الذي يسقط من السحاب الداكن (إشارة إلى الشفاه السمراء). ينهل: ينهمر (يسقط بكثرة و سرعة). الغروب جمع غرب: نقط ماء تسقط من الدلو وهو ينقل من البئر إلى الحوض. فالشاعر يريد أن يقول: إن ريقها جارٍ، حيث إن جريان الريق من علامات الحُسن، لأن الفم إذا جفَّ كانت له رائحة كريهة.

ومن ذلك، ما قاله الشاعر عبدة بن الطبيب في توظيف الصفة الإيجابية للماء في المنهل العذب، والانتفاع بالسقاية منه وسد الظمأ:

أوردتُهُ القومَ قد رَانَ النُّعاسُ بهمْ فقلتُ إذْ نَهِلُوا مِن جمِّهِ: قِيلُوا[3]

بيد أن المنهل لم يكن إيجابي الحضور في قصائد الشعراء الصعاليك دائمًا، حيث يقول الشاعر عبدة بن الطبيب:

---

1 - حاتم صالح الضامن، شعر قيس بن الحدادية، ص 215.
2 - ديوان القتَّال الكلابي، ص 30.
3 - يحيى الجبوري، شعر عبدة بن الطبيب، ص 72.

ومنهلٍ آجنٍ في جمِّه بَعَرٌ مما تسوقُ إليه الريحُ مَجلولُ[1]

فقد وصف المنهل بأنه آجن كدر، وهي صفة سلبية مباشرة في السياق.

10- السِّـقَايَة: جـاء في لسـان العـرب تحـت الجـذر اللغـوي (سـقي) مـا نصُّـهُ: "السـقي: معـروف والاسـم السـقيا، بالضـم، وسـقاه الله الغيـث أسـقاه. ويقـال: سـقيته لشـفته، وأسـقيته لماشـيته، وأرضـه، والاسـم السـقي، بالكسر، والجمـع الأسـقية. ابـن سـيده: سـقاه سـقيًا وسـقاه وأسـقاه، وقيـل: سـقاه بالشـفة وأسـقاه: دلـه عـلى موضـع المـاء، سـيبويه: سـقاه أسـقاه جعـل لـه مـاء أو سـقيًا فسـقاه ككسـاه، وأسـقى كـألبس. أبـو الحسـن يـذهب إلى التسـوية بـين فعلـت وأفعلـت، وأن أفعلـت غـير منقولـة مـن فعلـت لضرب مـن المعـاني كنقـل أدخلـت. والسـقي: مصـدر سـقيت سـقيًا، وفي الـدعاء سـقيًا لـه ورعيًـا. وسـقاه ورعـاه: قـال لـه: سـقيًا ورعيًـا. وسـقيت فلانـا وأسـقيته إذا قلـت لـه سـقاك الله. والسـقي: مـا أسـقاه إيـاه. والسـقي: الحـظ مـن الشرب. يقـال: كـم سـقي أرضـك أي؛ كـم حظهـا من الشرب. وقال الليث: الإسقاء من قولك أسقيت فلانًا نهرًا أو ماءً إذا جعلت له سقيًا"[2].

واسـتعمل بعـض الشـعراء الصـعاليك (السـقيا) ضـمن الجملـة الشـعرية المركبـة (سـقى الله) التـي تفيد الدعاء بحسب موضعها في السياق.

ومـن الأمثلـة عـلى معنـى الإمـداد بـالخير والـدعاء بـالحفظ مـا نظمـه الشـاعر القتَّـال الكـلابي بمـا نصه:

سقى الله حيًّا من فزارة دارهم بسبّى كرامًا حيث أمسوا وأصبحوا[3]

1 - يحيى الجبوري، شعر عبدة بن الطبيب، ص 72.
2 - ابن منظور، لسان العرب، مادة (سقي).
3 - ديوان القتَّال الكلابي، ص 39. سبى: غدير ماء لبني سليم.

إن الدلالة التي تحملها السقيا في هذا البيت تفيد الدعاء بالخير والرعاية والحفظ لحي بني فزارة ممدوحي الشاعر، ومن ذلك، ما نظمه أمير الشعراء الصعاليك عروة بن الورد في قوله:

سقَى سَلمَى وأينَ دِيارُ سَلمَى إذا حلّتْ مجاورةَ السَّرير[1]

وهي صيغة دعاء مقدَّرة على حذف لفظ الجلالة، وسياقها الحفظ لسلمى وديارها، ويذهب التأويل في اتجاهين اثنين:

الأول: أن الشاعر يستذكر زمن سلمى ويحن إليه، على تقدير سقى الله أيام أو زمان سلمى.

الثاني: على حذف (ديار) في قوله سقى ديارَ سلمى، لأنه يسأل بعدها بقوله: (وأين ديار سلمى)، فكان السياق اللاحق كافيًا للإشارة إلى السياق السابق القريب منه ومغنيًا عن ذكره.

أما الدلالة الأخرى التي تفيدها السقاية بماء المطر ونزول الغيث فقد جاءت في مواضع شعرية كثيرة لدى ما وقفت عليه من قصائد الشعراء الصعاليك، ومن ذلك، قول الشاعر القتَّال الكلابي:

سقى اللهُ ما بين الرجامِ وغَمرةٍ وبئر ذُريَّات بهنَّ جَنين[2]

وفي رواية أخرى للبيت نفسه:

سقى الله ما بين الشطون وغمرة وبئر دريرات وهضب دثين[3]

وما نظمه الشاعر قيس بن الحدادية:

1 - ديوان عروة بن الورد، ص 63.
2 - ديوان القتَّال الكلابي، ص 91.
3 - ديوان القتَّال الكلابي، ص 92. الشطون: اسم ماء لبني أبي بكر بن كلاب.

سقى الله أطلالاً بنعم ترادفت بهنَّ النوى حتى حللنَ المطاليا[1]

استعمل الشاعران الجملة الشعرية (سقى الله) في مطلع الأبيات، كما أنها هذه الجملة الشعرية وردت في عجز البيت لا صدره في مواضع أخرى، كما في قول القتَّال الكلابي:

يا دارُ بينَ كُليَّاتٍ وأظفَارِ والحمَّتينِ سَقَاكِ اللهُ مِنْ دَارِ[2]

وورد عند القتَّال الكلابي مستعملاً الصيغة نفسها بسياق مختلف:

أعالي أعلى اللهُ جدَّك عاليًا وأسقى بريّاك العضاةَ البواليا[3]

وفي هذا البيت يطلب الشاعر السقيا من الله سبحانه وتعالى، لكنها ليست سقيا ماء أو دعاء بالحفظ والصون، كما سبق وقلنا، إنما هي خاصة بصفات الممدوح، حيث يدعو الشاعر الله ليسقي بغيث الممدوح كل مواضع القحط في البلاد، والريّا المقصودة في هذا البيت، هي كرم الممدوح وخصاله الحميدة.

وجاءت السقاية في إشارة إلى الخمرة كما في قول الشاعر تأبَّط شرًّا:

حَلَّت الخمرُ، وكانت حرامًا وبِلأيٍ ما ألمَّت تحلُّ

فاسقنيها يا سَوادَ بنَ عَمرٍو إنَّ جسمي بعدَ خالي لَخَلُّ[4]

وما نظمه الشاعر عروة بن الورد وقد أسمى الخمر بالنسء:

سقوني النسء ثم تكنفوني عداة الله من كذب وزور[5]

وتسمى الخمرة بالنسء لأنها تُنسي، فيقول الشاعر: اسقوني هذه الخمرة علّي أنسى بها الحب الذي كنتُ أجده.

---

1 - حاتم صالح الضامن، شعر قيس بن الحدادية، ص 217.
2 - ديوان القتَّال الكلابي، ص 104.
3 - ديوان القتَّال الكلابي، ص 94.
4 - ديوان تأبط شرًّا وأخباره، ص 250.
5 - ديوان عروة بن الورد، ص 63.

وقد يشير الشعراء إلى الساقي أو المستسقي دون التصريح به، ويكتفون بذكر شيءٍ من صفاته أو لوازمه الدالة عليه، كما في قول القتَّال الكلابي:

بكيتُ بخلصى شنةً شدَّ فوقها على عجلٍ مُستخلفٌ لم تبللِ[1]

والمُستخلف هو المستسقي، والمعنى أنه عند موضع (خلصى) بكى فانحدرت دموعه كأنها الماء يسيل من قِربة ربطها المستسقي على عجل فلم يحكم ربطها.

واستعمل بعض الشعراء السقاية التي تختص بالشعائر الدينية من سقاية الحُجَّاج، وهي مهمة تولتها قريش لضيوف بيت الله، فسرت هذه السقاية مثلاً بين الشعراء، ومن توظيف هذه السقاية قول الشاعر قيس بن الحدادية:

وأتبعتُ بين المشعرينَ سِقايةً لحُجَّاجِ بيتِ اللهِ أكرِم منهلِ[2]

وذكر بعض الشعراء الصعاليك السقاية في إشارة إلى الترف والشبع، حيث يقول الشاعر القتَّال الكلابي في وصف ابن بشر:

يسقّى ابنُ بشرٍ ثمَّ يمسحُ بَطنَهُ وحولي رجالٌ ما يسوغُ شرابها[3]

أي؛ إن ابن بشر- هذا يجد الطعام والشراب وافرًا حوله، فيشرب ويأكل ثم يمسح بطنه براحة كفِّهِ دلالة على الشبع والتخمة، بينما لا يسيغ الرجال المحيطون بالشاعر شرابهم فلا يجدون اللذة في طعام أو شراب.

وأشار بعض الشعراء الصعاليك إلى التمنع عن السقاية ومنهم قيس بن الحدادية في ذلك:

فأقسمن لا يسقينني قطر مزنةٍ لشيي ولو سالت بهنَّ الأباطح[4]

---

1 - ديوان القتَّال الكلابي، ص 74.
2 - حاتم صالح الضامن، شعر قيس بن الحدادية، ص 215.
3 - ديوان القتَّال الكلابي، ص 33.
4 - حاتم صالح الضامن، شعر قيس بن الحدادية، ص 206.

واستعمل بعض الشعراء السقاية في سياق الكناية، كأن يسقي الموت لأعدائه، وذلك في قول الشاعر قيس بن الحدادية:

وأصبحت بعد الأنس لابسَ جُبَّةٍ أُساقي الكُماة الدراعين العواليا[1]

ومن ذلك، قوله :

غداة سقينا أرضهم من دمائهم وأُبْنَا بأُدمٍ كُنَّ بالأمس وُضَّحا[2]

مستذكرًا شجاعة قومه في الحروب والمعارك وكيف أنهم كانوا يسقون الأرض من دماء أعدائهم في كل لقاء بينهم.

ومن خلال الأمثلة التي وقفت عليها فيما يتعلق بلفظ (سقى) والمشتقات اللفظية الدالة على السقاية، وجدنا أن السقاية جاءت في جانبين: الأول سلبي والثاني إيجابي، كما أن الشعراء قرنوها بالماء تارةً، والدم أخرى، وبالريق أخرى، كما بيَّنا توظيف الشعراء لجملة (سقى الله) في أكثر من موضع في قصائدهم، إما في مطلع البيت أو في عجزه، وأفادت دلالتين اثنتين؛ الأولى دلالة الدعاء باستنزال المطر والغيث من السماء، والثانية دعاء بالحفظ والصون والرعاية.

11- البَلَل: ورد في لسان العرب تحت الجذر اللغوي (بلل) ما نصُّهُ: "البلل: الندى. ابن سيده: البلل والبلة الندوة. والبلال: كالبلة، وبله بالماء وغيره يبله بلاًّ وبلةً وبلله فابتلَّ وتبلَل. ويقال: ما في سقائك بلال، أي؛ ماء. وكل ما يبل به الحلق من الماء واللبن بلال، ومنه قولهم: انضحوا الرحم ببلالها، أي؛ صلوها بصلتها وندوها. والبلُّ: مصدر بللت الشيء أبله بلاًّ. الجوهري: بله يبله أي؛ نداه وبلله، شدد للمبالغة فابتلَّ. والبلال: الماء. والبلالة: البلل. والبلال: جمع بلة، وهو جمع نادر. واسقه على بلته أي؛ ابتلاله. وبلة الشباب وبلته: طراؤه، والفتح أعلى"[3].

1 - حاتم صالح الضامن، شعر قيس بن الحدادية، ص 217.
2 - حاتم صالح الضامن، شعر قيس بن الحدادية، ص 207.
3 - ابن منظور، لسان العرب، مادة (بلل).

وجاء البلل ضمن سياق الإيجابية حينًا والسلبية حينًا آخر، فمن الإيجابية ما نظمه الشاعر عبدة بن الطبيب في قوله:

أوردتهُ القوم قد رانَ النعاسُ بهم فقلتُ إذ نهِلوا من جمِّهِ: قِيلوا
حدّ الظهيرةِ حتَّى ترحلوا أُصُلاً إنَّ السِّقاءَ لهُ رمٌّ وتبليلُ[1]

وفي معنى البيت جاء: "حدّ الظهيرة: شدة حرها وصعوبته، فأراد الشاعر لصحبه القيلولة في مثل هذا الوقت. أصلاً: أي؛ عشيًّا بعد غياب الشمس. الرم: الإصلاح. تبليل: من بلله بالماء"[2]. وطلب الشاعر من أصحابه أن يقيلوا بعد أن استسقوا من المنهل العذب، خصوصًا أن شدة الحر تمنعهم من المسير، وأوصاهم بالقيلولة لما فيها من فائدة تطرد الحر عنهم فينعمون بالماء الذي بلل قرابهم.

وفي سياق السلبية ما نظمه الشاعر حاجز بن عوف الأزدي بما نصه:

ومعترِكٍ كأنَّ القومَ فيهم تبلُّ جُلودَ أوجههمْ جَحيمُ[3]

قرن الشاعر البلل بالجحيم في الشطر الثاني من البيت، وهو توظيف سلبي للبلل في هذا السياق، حيث إن البلل يختص بالسوائل المتصفة بالإيجابية لعلاقتها بالماء الذي هو أهم عنصر في الحياة. لكن الشاعر خرج إلى المجاز واستعار البلل للدلالة على حمم النار التي تسيل كأنها الماء، ووصف بللها على وجوه القوم.

1 - يحيى الجبوري، شعر عبدة بن الطبيب، ص 73.
2 - المفضليات، تحقيق وشرح: أحمد محمد شاكر، عبدالسلام محمد هارون، ط6، من منشورات ديوان العرب: مجموعات من عيون الشعر (1)، دار المعارف، القاهرة، د.ت، ص 141.
3 - أحمد محمد عبيد، شعراء جاهليون، ص 187.

ومن السلبية انتفاء البلل، كما يقول الشاعر القتَّال الكلابي:

بكيت بخلصى شنة شدَّ فوقها على عَجلٍ مُستخلفٌ لم تبللِ[1]

وفي السياق السلبي ما نظمه الشاعر تأبَّط شرًّا في من لامته على الحرب وهي لا تعلم ما يدور فيها من خطر وقتل، فقال:

لامتْ ولو شهدتْ لكانَ نكيرُها ماءٌ يبلُّ مشافِرَ القبقابِ[2]

أي؛ إنها لامته دون أن ترى ما يحصل في أرض المعركة من قتل وذبح، ولو أنها رأت ذلك فإنها ستبول على نفسها من رهبة المشهد.

ومن الدلالات السلبية أن يستعمل الشاعر البلل للعرق الجسدي كناية عن التعب والإجهاد، كما في قول الشاعر القتَّال الكلابي:

بها ظعنةٌ مِن ناسكٍ مُتعبدٍ يمورُ على مَتنِ الحَنيف بلالها[3]

حيث إنه يعني بالبلال العرق، والمعنى: "أنها رحلة مجهدة حتى أصبح العرق من شدتها يمور على ظهر ذلك الرجل الناسك"[4].

ومن خلال ما وقفت عليه من أمثلة في لفظ (البلل)، وجدت أن الدلالات السلبية طغت على الدلالات الإيجابية على الرغم من أن الأصل في البلل أن يكون إيجابيًّا لأنه صفة متعلقة بالماء والندى، إلا أن الشعراء اعتمدوا الانزياح عن الدلالة الأصلية إلى الدلالة الثانوية واعتمدوا عليه في تجويد قصائدهم.

---

1 - ديوان القتَّال الكلابي، ص 74. المستخلف: المستسقي، والمعنى أنه عند خلصى بكى فانحدرت دموعه كأنها الماء يسيل من قربة ربطها المستسقي على عجل فلم يحكم ربطها.
2 - ديوان تأبط شرًّا وأخباره، ص 237.
3 - ديوان القتَّال الكلابي، ص 80.
4 - ديوان القتَّال الكلابي، ص 80. الحاشية: من كلام شارح الديوان.

12- الغَسُول: جاء في لسان العرب تحت الجذر اللغوي (غَسَلَ) ما نصُّهُ: "غسل الشيء يغسله غَسلاً وغُسلاً، وقيل: الغسل المصدر من غسلت، والغسل -بالضم- الاسم من الاغتسال، يقال: غسل وغسل. والغسل: تمام غسل الجسد كله، وشيء مغسول وغسيل، والجمع غسلى وغسلاء، كما قالوا قتلى وقتلاء، والأنثى بغير هاء، والجمع غسالى. والغسول: الماء الذي يغتسل به وكذلك المغتسل. والغسول: كل شيء غسلت به رأسًا أو ثوبًا أو نحوه. والمغسل: ما غسل فيه الشيء. وغسالة الثوب: ما خرج منه بالغسل. وغسالة كل شيء: ماؤه الذي يغسل به. والغسالة: ما غسلت به الشيء"[1].

ومن ذلك،، قول الشاعر عبدة بن الطبيب:

كأنَّ قرحَتُهُ إذ قامَ مُعتدِلاً شَيبٌ يلوِّحُ بالحِنَّاء مَغسُولُ[2]

وظف الشاعر لفظ الغسول في حقله الدلالي الحقيقي الذي يعني به استعمال الماء في غسل الأشياء وتنظيفها، ولم يستعمله في سبيل الكناية في المستوى البسيط للمفردة، إنما جاء على سبيل الكناية في مستوى الشطر؛ إذ إن التشبيه بين الشطرين هو تشبيه تمثيلي.

1 - ابن منظور، لسان العرب، مادة (غَسَلَ).
2 - يحيى الجبوري، شعر عبدة بن الطبيب، ص 77.

13- النَّضح: جاء في كتاب (اللب اللباب) ما نصُّه: "النَّضَحُ: الرَّشُّ، من نضح عليه الماء ينضحه نضحاً إذا ضربه بشيء فأصابه منه رشاش، والنضح والنضخ لغتان بمعنى واحد وكله الرَّشُّ"[1]. و"النضح: حوضٌ يتَّخذ لماء السماء وهو النضح. والنضحات: الشيء اليسير المتفرق من المطر، والناضح: المطر؛ وقد نضحتنا السماء ونضح أقل من الطلِّ وهو قَطرٌ بين قَطرين، وذكر أنه كل شيء يتحلب من ماء أو عرف أو بول ينضح"[2]. وعرفه الثعالبي بما نصُّهُ: "النضحُ: الحوض يقرب من البئر حتى يكون الإفراغ فيه من الدلو"[3].

وفي لسان العرب: "النضح: الرش، نضح عليه الماء ينضحه نضحًا إذا ضربه بشيء فأصابه منه رشاش، ونضح عليه الماء: ارتش. قال ابن الأعرابي: سمي بذلك؛ لأنه ينضح عطش الإبل أي؛ يبله، قال أبو عبيد وقال أبو عمرو: نضحت الري بالضاد؛ وقال الأصمعي: فإن شرب حتى يروى قال نصحت، بالصاد، نصحا ونصعت به ونقعت، قال: والنضح والنشح واحد، وهو أن يشرب دون الري، والنضح: سقي الزرع وغيره بالسانية، ونضح زرعه: سقاه بالدلو، والناضح: البعير أو الثور أو الحمار الذي يستقى عليه الماء، والأنثى بالهاء ناضحة وسانية"[4].

واستعمال النضح في الألفاظ الدالة على المعجم المائي لم يكن بغزارة استعمال الألفاظ الأخرى من المعجم نفسه، فمن المواضع التي ورد فيها هذا اللفظ قول الشاعر عبدة بن الطبيب:

يحملن أُتْرُجَّةً نَضْحُ العبيرِ بها كأنَّ تطيابها في الأنف مشموم[5]

1 - محمد رضا الغراوي، اللب اللباب في غريب اللغة والحديث والكتّاب، تحقيق: السيد أحمد الحسيني، ط1، مطبعة الآداب في النجف الأشرف، 1968م، ص 40.
2 - صلاح مهدي جابر، "معجم ألفاظ الماء"، مجلة أهل البيت، العدد (7)، لا تا، ص 209.
3 - أبو منصور الثعالبي، فقه اللغة وأسرار العربية، ص 308.
4 - ابن منظور، لسان العرب، مادة (نضح).
5 - يحيى الجبوري، شعر عبدة بن الطبيب، ص 86.

يمكـن إدراج هـذا البيـت ضـمن الدلالـة الإيجابيـة لمـا يحملـه البيـت مـن مفـردات ذات حضـور مـبهج يعـبر عـن الرائحـة الزكيـة، وقـد علَّـق شـارح ديـوان عبـدة ابـن الطبيـب عـلى هـذا البيـت بمـا نصه: "جعـل أسـامة بـن منقـذ هـذا البيـت مـن بـارد الشـعر، وقـال عنـه: لأن الشـمّ لا يكـون بـالعين وإنما هو بالأنف والتطياب من أقبح المصادر وأبردها وأغثها"[1].

ومن مواضع استعمال لفظ النضح ما نظمه الشاعر القتَّال الكلابي:

يمنعها كل مدروء بصعدته نضح الدباء على عريان مغوار[2]

نظـم الشـاعر هـذا البيـت مـن قصـيدة في هجـاء عليـة بنـت شـيبة، ولـذلك يكـون توظيـف الشـاعر للنضح في سياق السلبية توافقًا مع غرض الهجاء في القصيدة.

ووظـف الشـاعر تـأبَّط شرًّا النضـح خـارج سـياق المـاء، فاسـتعمله للإشـارة إلى الـدماء، فقـال في ذلك:

دنوتُ له حتى كأنَّ قميصهُ تشرّب من نضح الأخادع عُصفرا[3]

علـق شـارح الـديوان عـلى هـذا البيـت بمـا نصـه: "النضـحُ: الـرش يكـون للـماء والـدم. والأخـادع والأخدعان عرقان في جانبي العنق. والعُصفر: نبات صبغي أحمر يشبه الدم"[4].

ومـن خـلال مـا وقفـت عليـه، وجـدت أن الشـعراء لم يلتزمـوا بالألفـاظ الدالـة عـلى المـاء، مثـل: (النضـح) ضـمن معناهـا الـذي وضـعت لـه للـماء، بـل تجـاوزوا ذلـك إلى الكنايـات لغـير المـاء، مثـل: الـدم والعبـير ومـا إلى ذلـك، وهـو توظيـف بلاغـي للخـروج باللغـة مـن الإخباريـة التقريريـة إلى الشعرية والمجازية.

14- التَّقْطِـيْر: ورد في لسـان العـرب تحـت الجـذر اللغـوي (قَطَـرَ) مـا نصُّـهُ: "قطـر المـاء والـدمع وغـيرهما مـن السـيال يقطـر قطـرا وقطـورا وقطرانـا وأقطـر، الأخـيرة عـن أبي حنيفـة، وتقـاطر. وقطران الماء،

1 - يحيى الجبوري، شعر عبدة بن الطبيب، ص 86. الحاشية: من كلام شارح الديوان.
2 - ديوان القتَّال الكلابي، ص 59.
3 - ديوان تأبط شرًّا وأخباره، ص 102.
4 - ديوان تأبط شرًّا وأخباره، ص 102. الحاشية: من كلام شارح الديوان.

15- بالتحريك، وتقطير الشيء: إسالته قطرة قطرة. والقطر: المطر. والقطار: جمع قطر وهو المطر. والقطر: ما قطر من الماء وغيره، واحدته قطرة، والجمع قطار. وسحاب قطور ومقطار: كثير القطر، حكاهما الفارسي عن ثعلب. وأرض مقطورة: أصابها القطر. واستقطر الشيء: رام قطرانه. وأقطر الشيء: حان أن يقطر. وغيث قطار: عظيم القطر. وقطر الصمغ من الشجرة يقطر قطرًا: خرج. وقطارة الشيء: ما قطر منه... وفي الإناء قطارة من ماء، أي: قليل، عن اللحياني: والقطران والقطران: عصارة الأبهل والأرز ونحوهما، يطبخ فيتحلب منه، ثم تهنأ به الإبل"[1].

يعد هذا الاستعمال قليلاً فيما وقفت عليه من قصائد الشعراء الصعاليك، فمن ذلك ما استعمله الشاعر تأبَّط شرًّا في الإتيان بلفظ يحيل إلى المعنى اللغوي للقطر، وهو قوله:

أصم قطاري يكون خروجه بعيد غروب الشمس مختلف الرمس[2]

و"القطاريُّ: الحيَّةُ، مأخوذ من القُطار، وهو سُمُّهُ الذي يقطُر من كثرته"[3]. فالأصل في التسمية مأخوذة من حال السم وهو يقطر من نابي الحيّة من كثرته وغزارته، والتوظيف في هذا السياق يكون سلبيًّا بوحدة معجمية سلبية الدلالة في نفسها.

والثاني: قول الشاعر القتَّال الكلابي من دون أن يذكر الفعل بلفظه الصريح، إنما بالإشارة إلى التقطير من خلال استعمال الفعل (شلشل) والذي يعني تقاطر الماء تباعًا، وذلك في قوله:

جديدٌ كُلاها منهجٌ حجراتها فللماء سحٌّ من طبابٍ مُشلشلِ[4]

يصف الشاعر في هذا البيت قربة الماء، وقد علق شارح الديوان على البيت بما نصه: "الكُلى: جمع كلية وهي جليدة مستديرة مشدودة العروة قد خرزت مع الأديم تحت عروة المزادة. منهج: بال. حجراتها: نواحيها. الطبابة: الجلدة التي تجعل على طرفي الجلد في القربة. شلشل: يقطر منه الماء متتابعًا"[5].

---

1 - ابن منظور، لسان العرب، مادة (قَطَرَ).
2 - ديوان تأبط شرًّا وأخباره، ص 104.
3 - ابن منظور، لسان العرب، مادة (قطر).
4 - ديوان القتَّال الكلابي، ص 74.
5 - ديوان القتَّال الكلابي، ص 74. الحاشية: من كلام شارح الديوان.

16- العَصِيْر: جاء في لسان العرب تحت الجذر اللغوي (عَصَرَ) ما نصُّهُ: "وعصر العنب ونحوه مما له دهن أو شراب أو عسل يعصره عصرًا، فهو معصور، وعصير، واعتصره: استخرج ما فيه، وقيل: عصره ولي عصر ذلك بنفسه، واعتصره إذا عصر له خاصة، واعتصر عصيراً اتخذه، وقد انعصر وتعصر. وعصارة الشيء وعصاره وعصيره: ما تحلب منه إذا عصرته"[1].

ويعد هذا الاستعمال قليلاً في أشعار الشعراء قياسًا إلى الألفاظ الدالة على الماء في حقله الدلالي، ومنه في قول الشاعر الشنفرى:

ومقرونةٍ شمالُها بيمينِها أجنِّبُ بَزِّي ماؤُها قد تعصَّرا[2]

ومنه في قول أمير الشعراء الصعاليك عروة بن الورد:

بآنسةٍ الحديث رضابُ فِيْهَا يُعِيدُ النومَ كالعِنبِ العَصيرِ[3]

ويقصد الشاعر هنا تشبيه رضاب ثغر المتغزَّل بها وكأنه الخمر، والقاسم المشترك بين الخمر ورضاب فم المتغزل بها في البيت أن كليهما يجلب النوم لمتذوقه، بمعنى أنهما مسكران. وفي هذا التشبيه ترك الشاعر التصريح بالخمر وأتى على ذكر أصلها المأخوذة منه، وهو العنب العصير، ويسمى العنب العصير لأن آلية صناعة الخمر تكون بعصر العنب وتعتيقه لمدة زمنية طويلة ليختمر ويكون بعدها خمرًا.

ومن خلال ما وقفت عليه في المبحث الأول "الألفاظ المتصلة بالماء ودلالاتها" وجدنا اختلاف الألفاظ في درجة ترتيبها من حيث الاستعمال والتوظيف في قصائد الشعراء الصعاليك، فمنها اتصفت بالغزيرة، مثل: (الشرب) ومنها اتصفت بالندرة، مثل: (الغسول).

ولم يلتزم الشعراء بتوظيف الألفاظ وفق المعنى الأصلي لها المتصل بالماء، بل إنهم عبروا بها عن الدم حينًا والحمم حينًا والأشياء المجردة على سبيل الكناية في بعض الشواهد الشعرية، ولاحظنا اختلاف الدلالات بين الإيجابية والسلبية بحسب تحديد السياق لهذه الدلالة أو تلك، فالسياق كان الحكم الفصل في تحديد وجه الدلالة.

---

1 - ابن منظور، لسان العرب، مادة (عَصَرَ).
2 - ديوان الشنفرى، ص 46.
3 - ديوان عروة بن الورد، ص 63.

المبحث الثاني: الألفاظ المتصلة بالماء وتطورها الدلالي

نقصد بالألفاظ المتصلة بالماء: جميع الألفاظ التي تحمل في مدلولها صلة بعنصر الماء في تكوينه أو وسائل استعماله، والبحث عن التطور الدلالي الذي حملته بعض هذه الألفاظ في قصائد الشعراء الصعاليك، وإلى أي؛ مدى وصل هذا التطور الدلالي بين الدلالتين المركزية والهامشية، إضافة إلى التركيز على الدلالتين السلبية والإيجابية وقدرة الشعراء على القلب بين هاتين الدلالتين لتحقيق غرض ما في السياق.

إن ظاهرة التطور الدلالي عامة لا تقتصر على لغة دون أخرى، وتكاد تشمل جميع اللغات في العالم، وسبب ذلك يعود إلى كون اللغة ظاهرة اجتماعية تخضع لما تخضع له الظواهر الاجتماعية من عوامل التطور، فجميع اللغات مشمولة بهذا القانون، وقد كان ذلك واضحًا في صدر الإسلام حين استبدل كثيرًا من الكلمات التي لا يحسنُ ورودها على الألسن، واستعمل أيسرها على النطق، وأبينها في الدلالة على المعنى، كما حرص على مطابقة القول لمقتضى الحال.

والصلة بين المعنى والدلالة وطيدة جدًّا؛ فالمعنى هو الموضوع الأساس لعلم الدلالة الذي يعرفه اللغويون بأنه: "العلم الذي يدرس المعنى"[1]. فالدلالة "هي المعنى، ودلالة أي لفظ هي ما ينصرف إليه هذا اللفظ في الذهن من معنى مدرك أو محسوس. والتلازم بين الكلمة ودلالتها أمرٌ لابد منه في الغة ليتمَّ التفاهم بين الناس"[2].

1 - رمضان عبدالتواب، لحن العامة والتطور اللغوي، ط1، دار المعارف، مصر، د.ت، ص 30.

2 - ستيفن أولمان، دور الكلمة في اللغة، ترجمة: كمال محمد بشر، ط3، مكتبة الشباب، القاهرة، 1972م،ص 153.

- **تعريف التطور الدلالي**

التطـور في لسـان العـرب يعـود إلى الجـذر اللغـوي (طَـوَرَ) ويعنـي: "الطـور: التـارة، تقـول طـورًا بعـد طـور أي؛ تـارة بعـد تـارة، وجمـع الطـور أطـوار. والنـاس أطـوار، أي؛ أصـناف عـلى حـالات شـتى. والطـور: الحـال، وجمعـه أطـوار. وقـال ثعلـب: أطـوارًا أي؛ خلقًـا مختلفـة كـل واحـد عـلى حـدة... والأطـوار: الحـالات المختلفـة والتـارات والحـدود، واحـدها طـور... والطـور: الحـد بـين الشيئين"[1]. فهو بذلك يعني الانتقال من طور إلى آخر ومن شكل لآخر.

وجـاء في الجـامع الصـحيح مـا نصـه: "مـا عـاكس الجمـود والسـكون، والتحـول إلى الأفضـل"[2]. جـاء في القـرآن الكـريم: "وقـد خلقكـم أطـوارًا"[3]. ولكننـا عنـدما تسـتعمل لفظـة (تطـور) فـنحن لسـنا بصـدد الحـديث عـن وضـع أفضـل، أو الحكـم بـأن الوضـع الجديـد الـذي تـم الانتقـال إليـه هـو الأفضـل، وأوضـح رمضـان عبـدالتواب هـذه النقطـة في قولـه: "كـما أن اسـتخدام اللغـويين لكلمـة التطـور لا يعني تقييم هذا التطور والحكم عليه، فإنه لا يعني عندهم أكثر من مرادف لكلمة التغيير"[4].

أمـا الدلالـة فهـي في اللغـة مـن الجـذر اللغـوي (دَلَـلَ) ومـن معانيـه في لسـان العـرب: "أدلَّ عليـه وتـدلَّ: انبسـط. والدالـة: مـا تـدل بـه عـلى حميمـك... وفـلان يُـدِلُّ عـلى أقرانـه كالبـازي يـدل عـلى صـيده... ودل عـلى الشيء يدلـه دلاً ودلالـةً فانـدلَّ: سـدده إليـه، ودللتـه فانـدلَّ، والـدليل: مـا يسـتدلُّ لـه"[5]. فالدلالـة بالنسـبة إلى الألفـاظ: هـي مـا تـدلنا عليـه مـن معـانٍ توضـح هـدف المـتكلم من كلامه.

وقـال ابـن فـارس في مقـاييس اللغـة: "الـدال والـلام أصـلان: أحـدهما إبانـة الشـيء بأمـارة تعلّمهـا، والآخـر اضـطراب في الشيء. فـالأول قـولهم: دلَلْـت فلانـاً عـلى الطريـق. والـدليل: الأمـارة فـي الشيء. وهو بين الدَّلالة والدِّلالة"[6].

---

1 - ابن منظور، لسان العرب، مادة (طور).
2 - محمد ناصر الدين الألباني، الجامع الصغير، المكتب الإسلامي، د.ت، ج1، ص 207.
3 - نوح: 17.
4 - رمضـان عبـدالتواب، التطـور اللغـوي: مظـاهره وعللـه وقوانينـه، ط1، مطبعـة المـدني، مصر، 1983م، ص 9.
5 - ابن منظور، لسان العرب، مادة (دلل).
6 - ابن فارس، معجم مقاييس اللغة، ج2، ص 259.

والتطور الدلالي هو: "تغيير معاني الكلمات وإطلاق لفظ التطور على هذه الحالة؛ لأنه انتقال بالكلمة من طور إلى طور"[1].

- **عوامل التطور الدلالي**

تنوعت أسباب التطور الدلالي بتنوع العوامل المؤثرة في تطور اللغة، ويمكن إجمال عوامل التطور الدلالي، في نوعين من العوامل:

- **عوامل خارجية: تتعلق بالبيئة الاجتماعية والتاريخية والثقافية والنفسية.**
- **عوامل داخلية: تتعلق باللغة نفسها، وهي الأسباب أو العوامل الصوتية والاشتقاقية والنحوية والسياقية التي نميزها من خلال الاستعمال.**

ويرى الباحث الدكتور علي عبد الواحد وافي أن اللغة تتأثر في تطورها بعوامل كثيرة يرجع أهمها إلى ست طوائف: إحداها عوامل اجتماعية خالصة تتمثل في حضارة الأمة، ونظمها، وعاداتها وتقاليدها، وعقائدها، ومظاهر نشاطها العلمي والعقلي، وثقافتها العامة، واتجاهاتها الفكرية، ومناحي وجدانها ونزوعها... وهلم جرا. وثانيهما تأثر اللغة بلغات أخرى. وثالثتها عوامل أدبية تتمثل فيما تنتجه قرائح الناطقين باللغة، وما تبذله معاهد التعليم والمجامع اللغوية وما إليها من سبيل حمايتها والارتقاء بها. ورابعتها انتقال اللغة من السلف إلى الخلف. وخامسها عوامل طبيعية تتمثل في الظواهر الجغرافية والفيزيولوجية... وما إليها. وسادسها عوامل لغوية ترجع إلى طبيعة اللغة نفسها وطبيعة أصواتها وقواعدها ومتنها[2].

---

1 - عبدالملك الثعالبي، فقه اللغة وأسرار العربية، ص 207.
2 - انظر: علي عبدالواحد وافي، اللغة والمجتمع، ط4، مكتبة عكاظ، المملكة العربية السعودية، 1983م، ص 11.

ويضاف إلى هذه العوامل عوامل أخرى منها "عوامل مقصودة متعمدة، كقيام المجامع اللغوية، والهيئات العلمية بمثل ذلك، عند وجود الحاجة إلى خلع دلالات جديدة على بعض الألفاظ التي تطلبتها حياة اجتماعية، أو اقتصادية، أو سياسية جديدة. وهناك عوامل أخرى لا شعورية، منها السياق المضلل الذي نسمع فيه الكلمة لأول مرة... ومن

عوامل التطور الدلالي سوء الفهم، وهو عامل له صلة بموضوع (القياس) لأن الإنسان يقيس ما لم يعرف، على ما عرف من قبل ويستنبط على أساس هذا القياس، فيصيب حينًا، ويخطئ حينًا آخر فيستخرج دلالة جديدة... ومن العوامل: تطور أصوات الكلمة، بحيث تصبح تلك الكلمة مماثلة لكلمة أخرى لها معنى آخر... ومن العوامل : اختصار العبارة، فتؤدي كلمة واحدة منها ما كانت تؤديه العبارة كاملة، قبل اختصارها... وهناك عامل آخر وهو كثرة دورانها في الحديث... وعامل الابتذال الذي يصيب الألفاظ في كل لغة، لظروف سياسية أو اجتماعية أو عاطفية"[1].

وتجدر الإشارة هنا إلى أنه إذا كانت الدلالة المعجمية تعنى بدراسة الكلمات وعناصرها ومعانيها في سياقها الحقلي، فإن ذلك لا يعني أن المعجمية محصورة في اللفظة المفردة، بل إن الحصول على الدلالات يتطلب وجود "الوحدة المعجمية بعناصرها الثلاثة؛ أولها المفردة، وثانيها التركيب، وثالثها التلازم، وأهم ما يمكن الاتكاء عليه هو أن مفهوم الوحدة المعجمية أشمل من مفهوم المفردة، فإن كل مفردة وحدة معجمية ولكن ليست كل وحدة معجمية مفردة".[2]

---

1 - إبراهيم السامرائي، التطور اللغوي التاريخي، ط2، دار الأندلس، بيروت، 1981م، ص 30- 32.

2 - إبراهيم بن مراد، الوحدة المعجمّية بين الإفراد والتضام والتلازم، "مجلّة الدراسات المعجمية"، المغرب، 2006م، العدد (5)، ص 23-31؛ وانظر: إبراهيم بن مراد، من مشاكل الترجمة في المعجم، "مجلّة في الحياة الثقافية"، تونس، 172– إبريل 2006م، العدد (172)، ص 35– 45؛ وانظر: إبراهيم بن مراد، المعالجة القَامُوسيّة للوَحَدات المعْجميّة العربيّة: نظَراتٌ في مْنهَج الترتيب، "مجلّة الدراسات المعجميّة بالمغرب"، العدد7، 2008م.

وهـذا لا يلغـي أهميـة المفـردة بوصـفها العنصر الأسـاس في التحليـل والدراسـة البنيويـة، حيـث إنهـا الأسـاس الـذي تقـوم عليـه عمليـة فـرز الـدلالات بـين مركزيـة وثانويـة، وهـو مـا بيَّنـه د. عـلي زويـن بقولـه: "ولمـا كانـت (الكلمـة) تعـد أصـغر (وحـدة دلاليـة) في النظريـة الدلاليـة الحديثـة اتضحت لنا أهمية دراسة الكلمات من حيث احتوائها على معان ثابتة ثبوتًا نسبيًّا"[1].

ولعـل التركيـز عـلى دراسـة الكلمـة المفـردة، أو دراسـة الـنص مـن خـلال تقطيعـه إلى أجزائـه البنيويـة الرئيسـة، يعـد مـن أهـم النظريـات اللسـانية التـي تخضـع الـنص الأدبي للتفكيـك، ثـم الـربط بـين الأجـزاء التـي تـم فصـلها مـن خـلال حقـول دلاليـة تجمـع قواسـمها المشـتركة، لتقـف عـلى العلاقـة المتأتيـة مـن هـذا الجمـع بعـد الفصـل. لكـن هـذا لا يعطـي ذريعـة لأن تكـون الكلمـة وحـدها ذات دلالـة مفـردة دائمـة التـأثير والتغيـير في معنـى الـنص، بـل إن سـلكها ضـمن السـياقات المتنوعـة هـو مـا يعطيهـا التـأويلات الدلاليـة التـي لولاهـا لاقتصرت كـل كلمـة عـلى معنـى أصـلي واحد.

"وأحسـن طريقـة لفهـم معنـى الكلمـة هـو وجودهـا في التركيـب الـذي يسـهم في إبـراز معناهـا ويجعلهـا متباينـة عـن تلـك التـي تقاربهـا أو تبـدو مشـابهة لهـا، بالإضـافة إلى الوظـائف الدلاليـة ذات الارتبـاط بـالمحيط والثقافـة اللـذين يعـبران عـن دلالـة اللفـظ المسـتقلة عـن كـل كلمات اللغة"[2].

1 - علـي زويـن، ظـلال المعنـى بـين الدراسـات التراثيـة وعلـم اللغـة الحـديث، "مجلَّـة آفـاق عربية"، السنة 15، أيار 1990م، ص 73.
2 - أحمـد عـزوز، أصـول تراثيـة فـي نظريـة الحقـول الدلاليـة، منشـورات اتحـاد الكتـاب العـرب، دمشق، 2002م، ص 8.

وقد اهتم علماء اللغة قديمًا وحديثًا بالكلمة المفردة لكونها عنصرًا رئيسًا من عناصر البناء اللغوي، بل إنها حظيت عندهم بمكانة عظيمة في الدرس اللساني، فقدموا لها تعريفات مختلفة، ومن هؤلاء (الزمخشري ت538هـ) الذي عرفَّها بأنها: "اللفظة الدالة على معنى مفرد بالوضع، وهي جنس تحته ثلاثة أنواع الاسم والفعل والحرف"[1]. ويعرفها ابن عقيل (ت 769هـ) بأنها: "اللفظ الموضوع لمعنى مفرد، وقولنا الموضوع لمعنى أخرج المهمل كديز. وقولنا: مفرد؛ أخرج الكلام فإنه موضوع لمعنى غير مفرد"[2]. ويعرفها الأشموني (ت 929هـ) بأنها: "اللفظ المفرد أي؛ الصوت المشتمل على بعض الحروف، مفيد بالوضع فائدة يحسن السكوت عليها، فخرج باللفظ غيره من الدال ما ليس بلفظ مثل: الإشارة والخط"[3].

أما الدكتور تمَّام حسَّان فإنه يقترح تعريفًا للكلمة يتعلق بوظيفتها ودلالتها في سياق النص العربي، قائلاً: "إنها صيغة ذات وظيفة لغوية معينة في تركيب الجملة تقوم بدور وحدة من وحدات المعجم، وتصلح لأن تفرد، أو تحذف، أو تحشى أو يغير موضعها، أو يستبدل بها غيرها في السياق، وترجع في مادتها غالبًا إلى أصول ثلاثة، وقد تلحق بها زوائد"[4].

فالأصل في كل مفردة أن يكون لها دلالتها الخاصة بها، والتي يتم بها التعبير عن الأشياء وصفًا أو تعريفًا أو إشارةً، ومن أمثلة هذه الدلالة التي جاءت متعلقة بدلالتها الحقيقية قول حاجز بن عوف الأزدي:

---

1 - محمود بن عمر الزمخشري، المفصل في علم العربية، ط1، طبع على نفقة محمد أمين الخانجي الكتبي وشركاه (الاستانة ومصر)، مطبعة التقدم بشارع محمد علي، القاهرة، 1323هـ، ص 6.

2 - عبدالله بن عبدالرحمن ابن عقيل، شرح ابن عقيل على الألفية، تحقيق: محمد محيي الدين عبد الحميد، ط دار العلوم الحديثة، 1964م، م1، ص 15.

3 - علي بن محمد بن عيسى، شرح الأشموني على الألفية، تحقيق: محمد محيي الدين عبدالحميد، ط1، بيروت: دار الكتب العلمية، 1998م، ص 16.

4 - تمام حسان، مناهج البحث في اللغة، ط2، المغرب: دار الثقافة، 1974م، ص 232.

يا ربُّ لطمة غدرٍ قد سخنتُ بها بكفِّ عمرو التي بالغدرِ قد غرقتْ[1]

إن اللفظ المتعلق بالماء في البيت هو: (الغرق) في قوله "قد غرقتْ". والغرق لغةً في لسان العرب لابن منظور: "الرسوب في الماء. ويشبه الذي رَكِبَهُ الدَّين وغمرتهُ البلايا، يُقال: رجل غرق وغريق، وقد غرق غرقًا وهو غارق. والجمع غرقى، وهو فعيل بمعنى مفعل، أغرقه الله إغراقًا، فهو غريق"[2].

فالدلالة التي يحملها الغرق في معناه الأصلي سلبية الحضور، وقد استعملها الشاعر في البيت سلبية كما وردت في الأصل، دون أن يضفي عليها تطورًا دلاليًّا يخرجها به من السلبية إلى الإيجابية. وإننا في المبحثين الآتيين سنتناول التطور الدلالي الذي يخرج اللفظ من إيجابيته إلى سلبيته، ثم من سلبيته إلى إيجابيته، على النحو الآتي.

ومن الأمثلة على ذلك ما نظمه الشاعر أبو صخر الهذلي في وصف وتشبيه قبيلة قريش بالغيث ليدلل على كرمهم:

هم البيضُ أقدامًا وديباجُ أوجهٍ وغيثٌ إذا الجوزاء قلَّتْ رهامها[3]

فهو يصفهم ببياض الوجه وهذا كناية عن الكرم، وشبههم بالرمح لشجاعتهم، وشبههم بالغيث لكرمهم في الوقت الذي تقل فيه مطر الجوزاء وهي ليست من الأنواء ولكن يشيرون بها إلى "الهنعة والهقعة" وهما من الأنواء، ومن أجزائها ، ويتصفان بالمطر الغزير، ولم يصب في معناه حين وصفهم بالمطر الغزير في زمن قلة مطر الجوزاء، ولم ينتبه إلى أن المطر القليل يعيش الناس فالأجدر به أن يجعلهم مطرًا غزيرًا في زمن الجدب ليرفع من قيمتهم أكثر.

1 - أحمد محمد عبيد، شعراء جاهليون، ص 161.
2 - ابن منظور، لسان العرب، مادة (غرق).
3 - السكري، شرح ديوان الهذليين، ج2، ص 955.

وقال الشاعر أبو صخر الهذلي في وصف كرم خالد بن عبد العزيز بن عبدالله ما نصه:

وركبانُ أنضَاءٍ يبلُّ رِحَالَهـمْ ضريبُ عَثانِينَ مِنَ الثلجِ بـاردِ
غَدوا ومداهم خالـدٌ، ورِكَابُهمْ بجنبي مُنيرٍ لاحبٍ ذِي عوانـدِ
فجلَّى قِتَامَ النَّحسِ عَنهمْ فأسْفَرُوا أَغرَّ مِنَ الأَعْيَاصِ ليسَ بِجَامـدِ
إذا ضَنَّ بالقَطْرِ السَّحابُ وأَمْحَلُوا سَمَوا نَحوَ فَيَّاضٍ كَثيرِ العَوائِدِ[1]

يصف الشاعر كرمه ويشبهه بالمطر ذي الثلج البارد الذي بلَّ رحال الركبان الذين يقصدونه بالغداة لكرمه، ويصفهم بأنهم ركبان نحساء مروا بمنطقة منير وبكرمه لهم أبعد عنهم النحس فذهبوا عنه راضين.

فأعطى الشاعر بوصفه حالة الرضا الصورة عاطفة تعكس مدى الابتسامة التي ارتسمت على أوجه القوم وهم قافلون، وأضفى على حال سرورهم اللون الأبيض وفضلهم على غيرهم فألبس المعنوي ثوب المحسوس، وجعل خالدًا قبلة يقصده الناس عندما تقل الأمطار ويكثر المحل، ووصفه بأنه كريم فياض كثير العوائد، وكلمة (سموا) توحي إليك بأنهم بدأوا يصعدون إلى من هو أعلى منهم، وتعطي صورة مهمة لمكانة الأمير بينهم وأضفت إلى التعبير قوة وحركة وجمالاً. ووصف السحاب بأنه هو الذي يضن بالمطر ليوازي به إرادة الممدوح على الكرم وتقديم الفيض لطالبيه.

ومن أبرز الأمثلة على هذا الأسلوب ما نظمه الشاعر تأبَّط شرًّا في سياق المدح ما نصه:

يابسُ الجنبين من غير بؤس وندي الكفين شهم مدلّ[2]

حيث استعمل الشاعر التركيب اللغوي (ندي الكفين) وهي في معناها المعجمي أي؛ الدلالة المركزية للمفردتين: "نـدِي الشّـخصُ: ابتـلَّ" وهـي مـأخوذة مـن النـدى الـذي يتشـكل عـلى هيئـة قطـرات مـن المـاء. أمـا الكفَّـان: "كَـفّ اليَـدِ: رَاحَـةُ اليَـدِ مَـعَ الأَصَـابِعِ: الرَّاحَـةُ مـع الأَصـابع في اليـد". ولا علاقة لهذا المعنى اللغوي بالكرم والسخاء المقصود في البيت.

1 - السكري، شرح ديوان الهذليين، ج2، ص 966.
2 - ديوان تأبط شرًا وأخباره، ص 249.

أما الدلالة الثانوية أو الهامشية فجاءت أن هذا التركيب لما انتشر استعماله بدلالته على الكرم فاق في شهرته الدلالة المركزية اللغوية، وأصبح مرتبطًا بهذا المعنى وأكثر اشتهارًا به. ويسمى هذا التحول بين الدلالتين تطورًا دلاليًّا نتيجة كثرة الاستعمال بالتوظيف الثانوي وإغفال الدلالة المركزية.

فالدلالة المركزية هي: "فعالية معرفية تؤلف الشفرات من مجموعة الأعراف والتقاليد وهذه الشفرات يمتلكها أعضاء ثقافة أو مجتمع معين، على أنها القدرة اللغوية لهم....، والشفرات إذا قبلها المجتمع، تخلق عالمًا (ثقافيًّا) يرتبط وجوده بنظام ثقافي يجسم الطريقة التي يفكر بها المجتمع ويتكلم، وحين يتكلم يوضح مدلول فكرة عن طريق الأفكار الأخرى"[1].

وإلى جوار تسميتها بـ (الفعالية المعرفية) فإنه يُعَبَّر عنها بمصطلح آخر هو (المعنى التقّني) أو (المعنى المنطقي) ويحدده محمود السعران بأنه: "يقوم على شيفرة من الشيفرات الكلامية التي يجعلها الاستعمال اجتماعية وتواضعية إلى حد ما، ونستطيع أن نعد أنه كلما تم الإجماع على معنى بعض الإشارات تأخذه هذه درجة الشيفرة التقنية، والإشارات التقنية تدل على نسق من العلاقات الموضوعية والواقعية والحقيقية"[2].

أما الدلالة الهامشية فهي: "تلك الظلال التي تختلف باختلاف الأفراد وتجاربهم وأمزجتهم وتركيب أجسامهم وما ورثوه عن آبائهم وأجدادهم. وهي لدى فرد من البيئة الاجتماعية توحي بظلال من الدلالة قد لا تخطر في ذهن آخر من البيئة نفسها؛ لأن تجاربهما مع الكلمة مختلفة"[3].

---

1 - وليم راي، المعنى الأدبي من الظاهراتية إلى التفكيكية ، ترجمة: يوئيل يوسف عزيز، ط1، دار المأمون للترجمة والنشر، بغداد، دار الحرية للطباعة، د.ت، ص 125.
2 - محمود السعران، علم اللغة، د.ط، دار الفكر العربي، القاهرة، د.ت، ص 303.
3 -إبراهيم أنيس، دلالة الألفاظ، ط3، مكتبة الأنجلو المصرية، القاهرة، 1976م، ص 107، 173.

وفيما يأتي سنتناول رقي الدلالة أو انحطاطها للألفاظ المتصلة بالماء في شعر الصعاليك، ونقصد برقي الدلالة الخاصة بألفاظ الماء أن يوظف الشاعر عنصر الماء أو لفظًا من الألفاظ الدالة عليه توظيفًا إيجابيًّا في سياق النص، ونقصد بانحطاط الدلالة أن يوظف الشاعر عنصر الماء أو لفظًا من الألفاظ الدالة عليه توظيفًا سلبيًّا، بمعنى أن ينقله الشاعر من الإيجابية إلى السلبية أو العكس لتأدية دلالة محددة وتحقيق غاية تخدم فكرة النص الشعري.

للمطر مثلاً دلالات متنوعة في شعر الصعاليك، وجميع هذه الدلالات مستوحاة من طبيعة مادة المطر منذ نشوئه إلى ركوده أو استهلاكه، ومن أبرز هذه الدلالات: الرحمة والطمأنينة: حيث يعد المطر إيجابيًّا في طبيعته، حيث إنه رمز الخصب والنماء لدى البشر بعامة، ولدى سكان المناطق الجغرافية القاحلة كسكان البوادي، ويعد الشعراء الصعاليك أبرز مثال على تصوير دلالة المطر بالرحمة والطمأنينة، ومن ذلك، قول الشاعر تأبط شرًّا في صورة فنية أخرجه فيها من دلالته الحقيقية المشيرة إلى الخير والخصب والنماء، واقتصر على دلالة صفة من صفاته، وهي الغزارة، فقال:

جزى الله فتيانًا على العوص أمطرت سماؤهم تحت العجاجة بالدم[1]

تحول الدلالة من إيجابية الماء المشيرة إلى الخير والنماء إلى سلبية الدم وما تحمله صورته الدلالية من قتل وألم وحزن وفقد.

ونشير هنا إلى التوافق الدلالي الحاصل في استعمال لفظ (المطر) في الإشارة إلى الدم والقتل أو العذاب بمعنى أعم، وهذا يتطابق مع الاستعمال الشائع للفظ المطر في القرآن الكريم، حيث ورد المطر في القرآن سبع مرات جميعها جاءت للعذاب، ومن أمثلة ذلك:

1 - ديوان تأبط شرًّا وأخباره، ص 206.

- قال تعالى: ﴿وَلَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ إِن كَانَ بِكُمْ أَذًى مِّن مَّطَرٍ﴾[1].
- قال تعالى: ﴿وَأَمْطَرْنَا عَلَيْهِم مَّطَرًا ۖ فَانظُرْ كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُجْرِمِينَ﴾[2].
- قال تعالى: ﴿وَأَمْطَرْنَا عَلَيْهِم مَّطَرًا ۖ فَسَاءَ مَطَرُ الْمُنذَرِينَ﴾[3].

فالشعراء وفقوا في توظيف المطر في السياق المعروف عنه، وهذا يدل على دقة التوظيف والعناية بالسياق والمفردات الدالة عليه بدقة، ويعد هذا من أظهر سمات البلاغة في النص الشعري.

وفي التطور الدلالي للمفردات المتصلة بالماء، وتحول وظيفتها الدلالية من الصورة السلبية المركزية إلى الصورة الإيجابية الثانوية، يكون حاصلاً في استعمالات الشعراء الصعاليك، ومن ذلك، قول الشاعر عروة بن الورد أمير الصعاليك:

أبا المثلم إني غير مهتضم إذا دعوت تميمًا سالت المسل[4]

أعلن الشاعر أن قومه يلبون دعوته إذا دعاهم، فيسرعون لنصرته كما تسيل الشعاب بالماء. والمسل: جمع مسيل، وهو مسيل الماء.

فالدلالة التي يحملها السيل في ذاته سلبية الحضور، بيد أن الشاعر جاء بها هنا في سياق الفخر والمدح، حيث أخذ من صفات السيل الغزارة والسرعة في الجريان، وترك من نتائجه الخراب والدمار، فكان توظيفه إيجابيًّا في هذا الموضع، وهو تطور دلالي يواكب حال السياق الموضوعي للغرض الشعري.

---

1 - النساء: 102.
2 - الأعراف: 84.
3 - النمل: 58.
4 - يوسف خليف، الشعراء الصعاليك في العصر الجاهلي، ص 249.

وإلى المفردة المعجمية نفسها (السيل) فقد كان لها حضور إيجابي مأخوذ من طبيعة مادة تكوينها، وهو عنصر الماء الإيجابي في ذاته، كما في قول الشاعر أبي الخرَّاش الهذلي:

غذاهُ من السرين أو بطنِ حليةٍ فروعُ الآباء في عميمِ السَّوائلِ[1]

استعمل الشاعر السيل في سياق المدح، فكان التطور الدلالي متوافقًا مع السياق العام لفكرة البيت، ويعد هذا التوفيق من أبرز سمات الوحدة الموضوعية الداخلية في مستوى الفكرة والبيت الواحد.

ولعلَّ حضور السيل بغزارة في أشعار الصعاليك أبناء البوادي، لما للمعجم المائي من أهمية في حياتهم اليومية، حيث به قوام معاشهم وأساس استقرارهم من عدمه، وقد جاء توظيف السيل إيجابًا في أكثر من موضع، طور الشاعر من خلالها دلالة السيل السلبية لتكون دلالة إيجابية بحسب ما يقتضيه السياق، ومن ذلك، قول عمرو بن برَّاقة في المدح:

وكم لاقيتُ ذا نجبٍ شديدٍ تسيلُ به النفوسُ على الصدورِ[2]

وعند أبي الطمحان:

يظلُّ فتيتُ المِسكِ في رونقِ الضُّحَى تَسيلُ به أصداغُهُ وَمَفارقُه[3]

وظف الشاعران السيل في سياق الإيجابية بانزياح عن الدلالة السلبية المركزية التي يأتي بها السيل، وجعل الشعراء دلالة السيل متعلقة بمكانها في السياق الذي يرد فيه، فالشاعر عمرو بن برَّاقة وظف السيل في سياق الفخر والمدح بدلالة إيجابية، والشاعر أبو الطمحان وظفه في سياق الغزل بدلالة إيجابية .

1 - يوسف خليف، الشعراء الصعاليك في العصر الجاهلي، ص 205. العميم: ما اعتم من النبت في سوائل المطر، والسوائل الأماكن التي تسيل بالماء.
2 - شريف راغب علاونة، عمرو بن برّاقة الهمداني من مخضرمي الجاهلية والإسلام: سيرته وشعره، ص 96.
3 - يوسف خليف، الشعراء الصعاليك في العصر الجاهلي، ص 254.

ومـن خـلال مـا وقفـت عليـه في بعـض مظـاهر التطـور الـدلالي للألفـاظ المتصـلة بالمـاء، أو مظـاهر المفـردات والاشـتقاقات الدالـة عـلى المـاء المكونـة لـه أو التابعـة لاسـتعمالاته، لاحظنـا أن السـياق هـو الـذي يحـدد دلالـة الكلمـة فيـه بـين الإيجابيـة والسـلبية، وأن الشـعراء وفقـوا في توظيـف المفـردات في السـياقات المختلفـة، سـواء في المـدح، أو الفخـر، أو الغـزل، أو الهجـاء، أو الوصف، أو الحض والاستنهاض.

نتائج الدراسة

من خلال ما تناولناه في الدراسة توصلنا إلى مجموعة من النتائج نعرضها على النحو الآتي:

1- إن حضور عنصر الماء في شعر الصعاليك حضور واضح ومميز ويشير إلى أهمية هذا العنصر لديهم في بيئة البادية.

2- استعمل الشعراء العديد من الألفاظ الدالة على مكونات الماء في حقل العلويات: السحاب والرعد والبرق والمطر، وفي كل منها استعملوا ألفاظًا دقيقة تبين حال التكوين وتصفه بدقة.

3- ورد للسحاب (13) ثلاثة عشر اسمًا مختلفًا لدى ما وقفت عليه من قصائد الشعراء الصعاليك، تم توظيفها في دلالاتها اللغوية الموافقة لمعناها وفق السياقات التي وردت فيها، فجاءت صريحة حينًا، وكنائية حينًا آخر.

4- ورد للرعد (5) خمسة أسماء جميعها تتعلق بالصفة الحسية الوحيدة للرعد وهي الصوت، إضافة إلى انزياح الدلالة نحو التجريد، حيث استعمل الشعراء الرعد في الإشارة إلى الغضب والوعيد والتهديد.

5- ورد للبرق (4) أربعة أسماء جميعها تتعلق بالصفة الحسية الوحيدة للبرق وهي الرؤية بالعين المجردة، إضافة إلى انزياح الدلالة نحو التجريد، حيث استعمل الشعراء البرق في الإشارة إلى شدة اللمعان والإنارة إضافة إلى إخلاف الوعد.

6- ورد للمطر (16) ستة عشر اسمًا مختلفًا في الدلالة والتوظيف في السياق.

7- ورد لفظ المطر في سياق سلبي لا إيجابي، موافقًا للدلالة التي ورد فيها في القرآن الكريم، وهذا التوافق يشير إلى أن الدلالة السلبية للمطر أصل في اللغة، حيث إن الشعراء الذين أوردوا المطر بدلالة سلبية يسبقون عصر نزول القرآن الكريم.

8- ورد السيل في شعر الصعاليك في مسميات ثلاثة: السيل، والشعاب، والجداول، وكان أغزرها حضورًا وأكثرها تنوعًا دلاليًّا هو السيل، حيث جاء بمعناه الحقيقي الدال على الماء الجاري حينًا، ضمن دلالة سلبية، وبمعنى الإيجابية ضمن الاستعمال الكنائي في سياق آخر خاص بالمجردات، كالكرم، والشهامة، والمروءة. أما الشعاب، فجاءت في دلالتين: العموم: في موضعين للشاعر تأبط شرًا. والخصوص: في ثلاثة مواضع، لكل من: القتال الكلابي، وتأبط شرًّا، والشنفرى. وهي: (الشعاب المتفرعة من وادي عاقل، والشعب القريب من موضع سلع، وشعب نجد). أما الجداول، فجاءت في موضع واحد عند الشاعر تأبط شراً.

9- وردت الأحواض في ستة مواضع مختلفة، ثلاثة منها تم التصريح فيها بلفظ الحوض، واثنان اكتفى الشعراء فيهما بالإشارة إلى أجزاء الحوض ومسمياته، وواحد جاء في سياق الكناية.

10- وردت الغدران في شعر الصعاليك ضمن دلالتين اثنتين: الأولى دلالة العموم وجاءت في موضع واحد للشاعر الشنفرى، والثانية دلالة الخصوص وجاءت في عشرين موضعًا، كان أكثرها لدى الشاعر القتال الكلابي. ومن الغدران: (صعداء، الشطون، ذي البردين، فردة، حرة ليلى، سبَّى، ثجر، الجبابة، العِتاب، ذو بقر، عاسم، ذي النقير، حلاءة، عَمَرَين، غيقة، السدير، بارق، مرّان، حوضى).

11- كان الشاعر القتَّال الكلابي أكثر الشعراء الصعاليك عناية بدلالة الخصوص في تحديد المواضع الجغرافية الخاصة بالماء بدقة، سواء أكان هذا التحديد بالاسم الدقيق للموضع، أم بالقرائن البيئية والجغرافية القريبة منه والدالة عليه.

12- ورد للقيعان في شعر الصعاليك (9) تسعة أسماء مختلفة الدلالة بحسب المعنى الدقيق لها، وقد وظفها الشعراء توظيفًا دقيقًا يدل على تمكنهم من اللغة وبلاغتها، واستعمال كل لفظ لمعناه المناسب له.

13- تعد الأودية الأغزر حضورًا في شعر الصعاليك، إزاء الألفاظ المتصلة بالماء المتعلقة بالتجمعات المائية وتكويناتها، ووردت ضمن دلالتين اثنتين: الأولى دلالة العموم، حيث ذكر الشعراء أودية عامة دون ذكر أسمائها، أو قرينة بيئية تشير إليها، وجاءت في ثمانية مواضع. أما الدلالة الثانية فهي دلالة الخصوص، حيث يسمِّي الشعراء الوادي المقصود باسمه الخاص، أو يضمنون إشارات وقرائن تدل على المكان وتحدده، وتفرد الشاعر القتَّال الكلابي في دقة وصفه لأماكن الأودية وأسمائها دون غيره من الشعراء الصعاليك، ولعل هذا يدل على عنايته الجغرافية وعلمه بالبادية العربية، وربما يشير إلى كثرة ترحاله خصوصًا أنه عاش حياة التشرد متخذًا من الجبال والشعاب موطنًا له نتيجة كثرة الجنايات التي ارتكبها.

14- أسماء الأودية التي وردت في شعر الصعاليك هي: (شبا، والرسيس، وعاقل، والغول، والشطون، وذو سدير، والعرج، وذو العش، وذو البقر، والدواهن، وقضيب، ومبايض، وجو جواذة، والأحص، وعليب، وحلية، وبوى، وقو، وضيم، ويليل).

15- اعتنى الشعراء الصعاليك بذكر البحر ومتعلقاته والألفاظ الدالة عليه على الرغم من اعتباره خارج بيئتهم، وذلك لا ينكر معرفتهم به أو رؤيتهم له، وذكره كل من: حاجز بن عوف الأزدي، وتأبط شرًّا، وقيس بن الحدادية، وعمرو بن برَّاقة الهمداني، وصخر الغي الهذلي، وعبدة بن الطبيب، والقتال الكلابي.

16- غلب على توظيف الآبار في شعر الصعاليك دلالة الخصوص، بتحديد اسم البئر وموضعه أو قرائن بيئية تدل على مكانه، بينما لم يكن لدلالة العموم حضور في ذلك. ومن الآبار التي وردت في شعرهم: (بئر مبين، وبئر ذريات، وبئر الشطون، وبئر دريرات، وبئر خَطْمَة).

17- اعتنى الشعراء الصعاليك بتوظيف الندى في ثنايا شعرهم بحسب سياق القصيدة وفكرتها وغرضها، فكان التوظيف باللفظ الصريح والمعنى اللغوي الأصيل حينًا، والاستعمال الكنائي في الإشارة إلى الكرم والسخاء حينًا آخر.

18- استند الشعراء الصعاليك في الألفاظ الدالة على استعمال الماء إلى توظيفها بحسب المعنى الدقيق لها ضمن السياق اللغوي للبيت الشعري، وهو يدل على فصاحتهم، وسعة معجمهم اللغوي، والتمكن من معانيه، مما حقق البلاغة في قصائدهم فيما يتعلق بالألفاظ الدالة على الماء واستعمالاته.

19- لم يلتزم بعض الشعراء الصعاليك بالمعنى اللغوي الدقيق للمفردة واعتماد الانزياح الدلالي في توظيفها ضمن سياقات مختلفة لا علاقة لها بالماء، تكون حسية حينًا، مثل: الدم والدمع والخمر، وتجريدية حينًا، مثل: الوفاء والمروءة والغضب والكذب. وقد أكسب هذا الانزياح الشعر وظيفة جمالية وفنية تتمثل في الصورة الشعرية.

20- غلّب بعض الشعراء الدلالة الهامشية على الدلالة المركزية في الألفاظ الدالة على الماء، ومن أبرز الأمثلة على ذلك تركيب (ندي الكف) حيث خرجت من دلالتها المركزية الدالة على بلل راحة اليد بقطرات الماء، إلى الدلالة الهامشية التي تعني الكرم، واشتهرت الدلالة الهامشية أكثر من المركزية وأصبحت أصلاً دلاليًّا.

21- حملت بعض الألفاظ الدالة على الماء تطورًا دلاليًّا بين السلبية والإيجابية بحسب السياق الخاص بالبيت الشعري أولاً، وبالسياق العام للقصيدة ثانيًا.

قائمة المصادر والمراجع

مصادر الدراسة

1- حاتم صالح الضامن، "شعر قيس بن الحدادية"، مجلّة المورد، بغداد، 1979م، المجلد الثامن، العدد (9).

2- حاتم صالح الضامن، المستدرك على دواوين الشعراء، ط1، عالم الكتب للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت، 1999م.

3- الحسن بن الحسين السُّكَّري، شرح أشعار الهذليين، تحقيق: عبدالستَّار أحمد فرَّاج، مراجعة: محمود محمَّد شاكر، مطبعة المدني، القاهرة، د. ت.

4- حميد آدم ثويني؛ كامل سعيد عواد، السليك بن السلكة: أخباره وشعره، ط1، مطبعة العاني، بغداد، 1984م.

5- ديوان تأبَّط شرًّا وأخباره، جمع وتحقيق وشرح: علي ذو الفقار شاكر، ط1، دار الغرب الإسلامي، 1984م.

6- ديوان الشنفرى عمرو بن مالك، جمعه وحققه وشرحه: إميل بديع يعقوب، ط2، دار الكتاب العربي، بيروت، 1996م.

7- ديوان عروة بن الورد أمير الشعراء الصعاليك، دراسة وشرح وتحقيق: أسماء أبو بكر محمد، منشورات محمد علي بيضون، دار الكتب العلمية، بيروت، 1998م.

8- ديوان القتَّال الكلابي، حققه وقدم له: إحسان عباس، د.ط، دار الثقافة، بيروت، 1989م.

9- شريف راغب علاونة، عمرو بن برّاقة الهمداني من مخضرمي الجاهلية والإسلام: سيرته وشعره، ط1، دار المناهج للنشر والتوزيع، عمَّان، 2005م.

10- طلال حرب، ديوان الشنفرى ويليه السليك بن السلكة وعمرو بن برَّاق، ط1، الدار العالمية، بيروت، 1993م.

11- يحيى الجبوري، شعر عبدة بن الطبيب، دار التربية للطباعة والنشر والتوزيع، بغداد، 1971م.

مراجع الدراسة

12- القرآن الكريم.

13- إبراهيم السامرائي، التطور اللغوي التاريخي، ط2، دار الأندلس، بيروت، 1981م.

14- إبراهيم أنيس، دلالة الألفاظ، ط3، مكتبة الأنجلو المصرية، القاهرة، 1976م.

15- إبـراهيم بـن إسـماعيل الأجـدابي الطرابلسي، كفايـة المـتحفظ وغايـة المـتلفظ في اللغـة، تحقيـق: عبدالرزاق الهلالي، ط7، مطبعة دار الحرية للطباعة، بغداد، 1968م.

16- إبـراهيم بـن مـراد، المعَالجـة القَامُوسـيّة للوَحَـدات المعْجميّـة العربيّـة المركبـة والمعقّـدَة والعبَاريّـة، نظَراتٌ في مْنهَج الترتِيب، "مجلَّة الدراسات المعجميّة بالمغرب"، العدد (7)، 2008م.

17- إبـراهيم بـن مـراد، "الوحـدة المعجمّيـة بـين الإفـراد والتضـام والـتلازم"، مجلَّـة الدراسـات المعجمية، المملكة المغربية، 2006م، العدد (5).

18- إبـراهيم بـن مـراد، "مـن مشـاكل الترجمـة في المعجـم"، مجلَّـة في الحيـاة الثقافيـة، تـونس، أبريـل 2006م، العدد (172).

19- أحمـد بـن عبـد الوهـاب بـن محمـد بـن عبـد الـدائم النـويري، نهايـة الأرب في فنـون الأدب، ط1، دار الكتب والوثائق القومية، القاهرة، 1423هـ.

20- أحمـد بـن فـارس الـرازي، معجـم مقـاييس اللغـة، تحقيـق: عبدالسـلام محمـد هـارون، دار الفكـر، 1979م.

21- أحمـد بـن محمـد بـن أحمـد بـن إبـراهيم النيسـابوري الميـداني، مجمـع الأمثـال، تحقيـق: محمـد محيي الدين عبدالحميد، مطبعة السنة المحمدية، 1955م.

22- أحمـد بـن محمـد بـن إسـحاق الهمـداني المعـروف بـابن الفقيـه، البلـدان، تحقيـق: يوسـف الهـادي، ط1، عالم الكتب، بيروت، 1996م.

23- أحمـد بـن محمـد بـن الحسـن المرزوقـي الأصـفهاني، شرح ديـوان الحماسـة، تحقيـق: غريـد الشـيخ، ط1، دار الكتب العلمية، بيروت، 2003م.

24- أحمـد بـن محمـد بـن الحسـن المرزوقـي الأصـفهاني، الأزمنـة والأمكنـة، ط1، مطبعـة مجلـس دائـرة المعارف، الهند – حيدرأباد، 1332هـ.

25- أحمد بن محمد بن عبد ربه الأندلسي، العقد الفريد، ط1، دار الكتب العلمية، بيروت، 1404هـ.

26- أحمد عزوز، أصول تراثية في نظرية الحقول الدلالية، منشورات اتحاد الكتاب العرب، دمشق، 2002م.

27- أحمد محمد عبيد، شعراء جاهليون، المجمع الثقافي، أبو ظبي، مؤسسة الانتشار العربي، بيروت، 2001م.

28- تمام حسان، مناهج البحث في اللغة، ط2، دار الثقافة: المملكة المغربية، 1974م.

29- الجوهري، الصحاح: تاج اللغة وصحاح العربية، تحقيق: أحمد عبد الغفور عطار، دار الكتاب العربي، مصر، د. ت.

30- ابن حجر العسقلاني، أحمد بن علي بن حجر، فتح الباري شرح صحيح البخاري، دار الريَّان للتراث، 1986م.

31- الحسن بن عبدالله، بلاد العرب، تحقيق: حمد الجاسر؛ صالح العلي، دار اليمامة للبحث والنشر، الرياض، د. ت.

32- حسن ظاظا، كلام العرب: من قضايا اللغة العربية، دار النهضة العربية للطباعة والنشر، بيروت، 1970م.

33- خالد الحسن الخزينة، الأنواء في أشعار الهذليين: دراسة وصفية فنية تحليلية، رسالة مقدمة لنيل درجة الماجستير في اللغة العربية وآدابها، قسم اللغة العربية، كلية الآداب، جامعة الخرطوم، السودان، 2005م.

34- خير الدين الزركلي، الأعلام: قاموس تراجم لأشهر الرجال والنساء من العرب والمستعربين والمستشرقين، ط15، دار العلم للملايين، بيروت، 2002م.

35- ابن دريد، جمهرة اللغة، ط1، طبعة الدكتور رمزي منير بعلبكي، دار العلم للملايين، بيروت، 1987م؛ إضافة إلى: ط1، مطبعة مجلس دائرة المعارف العثمانية، حيدرأباد- الدكن، 1345هـ.

36- ديوان الهذليين، تحقيق: أحمد الزين؛ محمود أبو الوفا، دار الكتب المصرية، القاهرة، 1965م.

37- رشيد الحاج صالح، "التحليل اللغوي ونظرية المعنى عند فتجنشتين"، عالم الفكر، المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب، الكويت، أبريل/ يونيو، 2001م، مجلد (29)، العدد (4).

38- رمضان عبدالتواب، التطور اللغوي: مظاهره وعلله وقوانينه، ط1، مطبعة المدني، مصر، 1983م.

39- رمضان عبدالتواب، لحن العامة والتطور اللغوي، ط1، دار المعارف، مصر، د. ت.

40- زكريا بن محمد بن محمود القزويني، عجائب المخلوقات وغرائب الموجودات، د. ط، مطبعة التقدم، مصر، د. ت.

41- أبو زيد القرشي، جمهرة أشعار العرب، د. ط، دار نهضة مصر للطباعة والنشر، مصر، د.ت.

42- ستيفن أولمان، دور الكلمة في اللغة، ترجمة: كمال محمد بشر، ط3، مكتبة الشباب، القاهرة، 1972م.

43- سعيد الغانمي، اللغة والخطاب الأدبي، ط1، المركز الثقافي العربي، بيروت- الدار البيضاء، 1993م.

44- سعيد بن أوس الأنصاري، كتاب المطر، ط2، المطبعة الكاثوليكية، بيروت، 1914م.

45- السيد أحمد عبدالغفار، التصور اللغوي عند علماء أصول الفقه، دار المعرفة الجامعية، الإسكندرية، 1995م.

46- السيد أحمد عمارة، دراسة في نصوص العصر الجاهلي تحليل وتذوق، مكتبة المتنبي، د. ت.

47- ابن سيده، علي بن إسماعيل، المحكم، تحقيق: مجموعة من المحققين، ط1، مكتبة البابي الحلبي، مصر، 1972م.

48- ابن سيده، علي بن إسماعيل، المخصص، دار الفكر أوفسيت عن المطبعة الكبرى الأميرية بيولاق، مصر، 1318هـ.

49- الشريف الجرجاني، التعريفات، ط1، مؤسسة الحسني، الدار البيضاء، المملكة المغربية، 2006م.

50- صلاح الدين سليم محمد، "لفظ الماء وما يدل عليه في نصوص من التنزيل: دراسة دلالية"، مجلّة أبحاث كلية التربية الأساسية، المجلد 9، العدد (4)، كلية العلوم السياسية - جامعة الموصل، 2010م.

51- صلاح مهدي جابر، "معجم ألفاظ الماء"، مجلّة أهل البيت، العدد (7)، د.ت.

52- طاهر سليمان حمود، دراسة المعنى عند الأصوليين، الدار الجامعية، الإسكندرية، 1997م.

53- عاتق بن غيث بن زوير البلادي الحربي، معالم مكة التاريخية والأثرية، ط1، دار مكة للنشر والتوزيع، مكة المكرمة، 1980م.

54- عاتق بن غيث بن زوير البلادي الحربي، معجم الْمَعَالِمِ الْجُغْرَافِيَّةِ فِي السِّيرَةِ النَّبَوِيَّةِ، ط1، دار مكة للنشر والتوزيع، مكة المكرمة، 1982م.

55- عبد الله بن عبد العزيز بن محمد البكري الأندلسي، معجم ما استعجم من أسماء البلاد والمواضع، ط3، عالم الكتب، بيروت، 1403هـ.

56- عبد المؤمن بن عبد الحق، ابن شمائل القطيعي البغدادي، مراصد الاطلاع على أسماء الأمكنة والبقاع، ط1، دار الجيل، بيروت، 1412هـ.

57- عبدالفتاح الصعيدي وحسين يوسف موسى، الإفصاح في فقه اللغة، ط1، مطبعة دار الكتب العلمية، بيروت، 1987م.

58- عبدالله بن عبدالرحمن ابن عقيل، شرح ابن عقيل على الألفية، تحقيق: محمد محيي الدين عبد الحميد، ط دار العلوم الحديثة، 1964م.

59- عبدالملك بن محمد الثعالبي، فقه اللغة وأسرار العربية، ضبطه وعلّق حواشيه وقدم له ووضع فهارسه: ياسين الأيوبي، ط2، المكتبة العصرية للطباعة والنشر، صيدا- بيروت، 2000م.

60- علاء النشمي، أسطورة الماء في الأديان فكرًا وطقسًا، مقال منشور في الموقع الإلكتروني لاتحاد الجمعيات المندائية في المهجر، الجمعة، 05 نيسان/أبريل 2013م. http://www.mandaeanunion.org/ar.

61- علي بن الحسين بن محمد، أبو الفرج الأصفهاني، الأغاني، ط1، دار إحياء التراث العربي، بيروت، 1415هـ.

62- علي بن عبدالله بن أحمد الحسني الشافعي السمهودي، وفاء الوفاء بأخبار دار المصطفى، ط1، دار الكتب العلمية، بيروت، 1419هـ.

63- علي بن محمد بن عيسى، شرح الأشموني على الألفية، تحقيق: محمد محيي الدين عبد الحميد، ط1، بيروت: دار الكتب العلمية، 1998م.

64- عـلي زويـن، ظـلال المعنـى بـين الدراسـات التراثيـة وعلـم اللغـة الحـديث، "مجلـة آفـاق عربيـة"، السنة 15، أيَّار 1990م.

65- علي عبدالواحد وافي، اللغة والمجتمع، ط4، مكتبة عكاظ، المملكة العربية السعودية، 1983م.

66- عمـرو بـن بحـر الجـاحظ، الحيـوان، تحقيـق ونشـر: عبدالسـلام محمـد هـارون، ط1، مكتبـة مصطفى البابي الحلبي، القاهرة، 1943م؛ ط2، دار الكتب العلمية، بيروت، 1424هـ.

67- فؤاد زكريا، مشكلة البنية، دار سحنون، تونس، مكتبة مصر، د. ت.

68- الفيروزأبادي، القاموس المحيط، دار الفكر، بيروت، 1983م.

69- ابـن قتيبـة الـدينوري، المعـاني الكبـير، تحقيـق: عبـد الـرحمن بـن يحيـى الـيماني، ط1، دار الكتـب العلمية، بيروت، 1984م.

70- محمـد بـن أبي بكـر الـرازي، مختـار الصـحاح، تحقيـق: يوسـف الشـيخ محمـد، ط5، المكتبـة العصرية- الدار النموذجية، بيروت- صيدا، 1999م.

71- محمـد بـن أحمـد القرطبـي، الجـامع لأحكـام القـرآن، راجعـه وضـبطه وعلـق عليـه: محمـد إبـراهيم الحفناوي، ط1، طبعة دار الحديث، 2002م؛ دار الكتب العلمية، بيروت، 1988م.

72- محمـد بـن المبـارك بـن محمـد بـن ميمـون البغـدادي، منتهـى الطلـب مـن أشـعار العـرب، ط1، تحقيق: محمد نبيل طريفي، دار صادر، بيروت، 1999م.

73- محمـد بـن عبـد الله بـن عبـد المـنعم الحِمـيري، الـروض المعطـار في خـبر الأقطـار، تحقيـق: إحسـان عباس، ط2، مؤسسة ناصر للثقافة - بيروت - طبع على مطابع دار السراج، 1980م.

74- محمـد بـن محمـد حسـن شُرَّاب، المعـالم الأثـيرة في السـنة والسـيرة، ط1، دار القلـم، الـدار الشـامية - دمشق- بيروت، 1411هـ.

75- محمـد بـن مـوسى بـن عـثمان الحـازمي الهمـداني، الأمـاكن أو مـا اتفـق لفظـه وافـترق مسـماه مـن الأمكنة، تحقيق: حمد بن محمد الجاسر، دار اليمامة للبحث والترجمة والنشر، 1415هـ.

76- محمـد ثنـاء الله المظهـري، التفسـير المظهـري، تحقيـق: غـلام نبـي التونسي، مكتبـة الرشـدية، باكستان، 1412هـ.

77- محمد رضا الغراوي، اللب اللباب في غريب اللغة والحديث والكتّاب، تحقيق: السيد أحمد الحسيني، ط1، مطبعة الآداب في النجف الأشرف، 1968م.

78- محمد مرتضى الحسيني الزبيدي، تاج العروس من جواهر القاموس، تحقيق: مصطفى حجازي، من إصدارات التراث العربي: سلسلة تصدرها وزارة الإعلام في دولة الكويت، العدد (16)، مطبعة حكومة الكويت، 1987م.

79- محمد مفتاح، مجهول البيان، دار توبقال، الدار البيضاء، 1990م.

80- محمد ناصر الدين الألباني، الجامع الصغير، المكتب الإسلامي، د. ت.

81- محمود السعران، علم اللغة، د. ط، القاهرة: دار الفكر العربي، د. ت.

82- محمود بن عمر الزمخشري، الجبال والأمكنة والمياه، تحقيق: أحمد عبدالتواب عوض، دار الفضيلة للنشر والتوزيع، القاهرة، 1999م؛ تحقيق: محمد أبو عامود، الجزيرة للنشر والتوزيع، القاهرة، 2007م.

83- محمود بن عمر الزمخشري، المفصل في علم العربية، ط1، طبع على نفقة محمد أمين الخانجي الكتبي وشركاه (الاستانة ومصر)، مطبعة التقدم بشارع محمد علي، القاهرة، 1323هـ.

84- محمود حمدي زقزوق، الموسوعة الإسلامية العامة، مطابع الأهرام، قليوب، مصر، د. ت.

85- المفضليات، تحقيق وشرح: أحمد محمد شاكر، عبدالسلام محمد هارون، ط6، من منشورات ديوان العرب: مجموعات من عيون الشعر (1)، دار المعارف، القاهرة، د. ت.

86- ابن منظور، لسان العرب، ط3، دار صادر، بيروت، 2003م.

87- نصرت عبدالرحمن، الصورة الفنية في الشعر الجاهلي في ضوء النقد الحديث، دار كنوز المعرفة، عمَّان، 2013م.

88- نعيم بن حماد المروزي، الفتن، تحقيق وتقديم: سهيل زكار، ط1، دار الفكر للطباعة والنشر بيروت، 1993م.

89- هلال الجهاد، فلسفة الشعر الجاهلي، ط1، دار المدى، دمشق، 2001م.

90- وليم راي، المعنى الأدبي من الظاهراتية إلى التفكيكية ، ترجمة: يوئيل يوسف عزيز، ط1، دار المأمون للترجمة والنشر، بغداد، دار الحرية للطباعة، د.ت.

91- يـاقوت بـن عبـد الله الحمـوي، الخـزل والـدأل بـين الـدور والـدارات والـديرة، تحقيـق: يحيـى زكرياء عبارة؛ محمد أديب جمران، منشورات وزارة الثقافة، دمشق، 1998م.

92- يـاقوت بـن عبـد الله الحمـوي، معجـم البلـدان، د. ط، دار صـادر للطباعـة والنشـر بـيروت، 1957م.

93- يحيى بن علي بن محمد التبريزي، شرح ديوان الحماسة، د.ط، دار القلم، بيروت، د.ت.

94- يوسـف خليـف، الشـعراء الصـعاليك في العصـر الجـاهلي، ط3، دار المعـارف، القـاهرة، مكتبـة الدراسات الأدبية، كتاب رقم (8)، 1978م.